دراسات حول المدينة المنورة
(١٢)

ديـــوان
إبراهيم بن حسن الأسكوبي
١٢٦٤ ـ ١٣٣١ هـ

تحقيق وتقديم
الدكتور محمد العيد الخطراوي

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة ـ ص. ب: ١٦٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان
إبراهيم بن حسن الأسكوبي

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

مكتبة دار التراث - المدينة المنورة
شارع الأمير عبد المحسن (قربان)
ص. ب: ١٦٤٧ - ت: ٨٢٦٥٤٥٢

مقدمة التحقيق

إنني أحمد الله على ما منّ به علي من عافية، وما رزقني به من وقت، مكناني من مواصلة الجهد في إخراج هذه السلسلة المباركة: (دراسات حول المدينة المنورة) متوسعاً في معنى الحولية هذه، حتى شملت تراث أبنائها الشعري والنثري، إذ المقصود في الأصل هو إبراز مكانة هذا البلد الطيب المبارك، والكشف عن إسهاماته الثقافية والأدبية والعلمية في مختلف العصور، وما تراث بنيها المخطوط، ومهمة تحقيقه وإخراجه، إلا جزء من ذلك القصد.

وإنني لأرد الفضل في إخراج هذا الديوان، إلى الشاب الأديب الأستاذ خالد صالح الأسكوبي، أحد أبناء عمومة شاعرنا إبراهيم الأسكوبي، فهو الذي هيأ لي النسخة المصورة من الديوان، ودفتر السيد علي حافظ المنقول من هذه النسخة، والمطبوعة المستقلة لقصيدة (المفاخرة بين وابور البحر ووابور البر)، وزودني ببعض المعلومات المتعلقة بالأسرة، فجزاه الله عني، وعن محبي المدينة المنورة، وشاعرها الأسكوبي كل خير.

وليت أبناء شاعرنا الكبير المرحوم محمد سعيد دفتردار يقرؤون هذه المقدمة، فيستجيبوا لرجاءاتي المتوالية التي توجهتُ لهم بها أكثر من مرة، في أن يطلقوا سراح ديوانه ومجموعة أعلام المدينة التي كتب أكثرها في الصحف والمجلات، وكان ينوي نشرها في كتاب مستقل لولا أن عاجلته

المنية رحمه الله. وسأكون سعيداً لو أخذ هذان الكتابان طريقهما إلى النور، وأكون أسعد لو أخذا موقعهما في هـذه السلسلة، فقد كـان المرحـوم محمد سعيد دفتردار قريباً إلى روحي عزيزاً على نفسي، وكان له فضل يعرفه أمثالي من أصدقائه ومحبِّيه.

وقد شرعت بحمدالله في تحقيق مجموعة من الكتب المدنيّة، أرجو أن يوفقني الله في سرعة إنجازها، منها: ديوان الشاعر البـوسنوي، وديوان البيتي، وكتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين للسمهـودي.

والله المستعان الموفق لكل خير

د. محمد العيد الخطراوي

الشاعـــر

هــو إبراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأُسكـوبي، نسبة إلى أسكوب، بلدٍ بيوغسلافيا.

قال لزركلي: إنه ألباني الأصل[1]. وقال في ترجمة والده حسن: إنه أرنأودي[2]. والأرنأوط ألبانيون كما نعلم.

وربما كان الأمر كذلك، ثم انتقل أحد أجداد الأسرة إلى (أسكوب) واستقر بها فترة من الزمن، فنُسب إليها. ولعل انتقاله إليها بسبب تولِّيه أحد المناصب الدينية فيها، كالإمامة أو القضاء أو الإفتاء، فقد كانت هذه الأسرة من الأسر المعروفة بالعلم والأدب[2]. وربما كان السبب نفسه وراء انتقالها بعد ذلك إلى المدينة المنورة، أو لتولي وظيفة أخرى، وربما يكون لمجرد الرغبة في المجاورة.

وعلى كل حال فإن أول من قدم المدينة من أفرادها هو حسين بن رجب، وكل آل الأسكوبي الموجودين فيها يعود نسبهم إليه، وكان قدومه إليها على وجه التقريب في أواخر القرن الثاني عشر الهجري أو أوائل الثالث عشر.

أما حسن والد الشاعر فإنه وُلد بالمدينة سنة ١٢٣٧، وبها نشأ وتعلم على يد الأشياخ بالمسجد النبوي، وكان بعـد ذلك من أئمتـه وخطبـائه

---

(١) الأعلام للزركلي ١: ٣٦.

(٢) المرجع السابق ٢: ١٨٦.

والمدرسين فيه، كما تفيد الحجة الشرعية التي أوقف بها بعض أملاكه على أولاده وقفاً ذرِّياً، والصادرة عن قاضي الأحناف بالمدينة السيد محمد شكري بن الحاج يوسف، بتاريخ اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٩٦ هجرية، وعليها ختمه، مؤيدة بعد ذلك بختم محمود كمال القاضي بالمدينة أيضاً، وذلك بتاريخ ١٣٠١، فقد جاء فيها: (قد حضر بالمجلس الشرعي العالم العلامة الفاضل، جناب المكرم الأفندي حسن بن المرحوم حسين بن المرحوم رجب الأسكوبي، الإمام، المدرّس بالمسجد النبوي الشريف. . . إلخ). ويبدو أنه كان ممن رزقهم الله فكراً ثاقباً أدرك به أن على علماء المسلمين أن يكونوا على صلة بالعلوم الدنيوية المعاصرين لها، وأن يأخذوا بوسائلها ما أمكنهم الأخذ، لذلك نراه يدرس علم الفلك، ويقيم فوق سطح منزله مرصداً فلكياً، جلبه من أوربا، يرقب منه حركة الأفلاك وأحوال الجو من حرارة وبرودة، وأمطار ورياح، إلى غير ذلك، ولكن هذا العمل لم يعجب زملاءه من علماء المدينة ممن حصروا أنفسهم في الحيز الضيق من التفكير، ورموه بالتشبه بالنصارى، ونظم فيه أحدهم وهو الشاعر عبد الجليل برادة[١]، رجزاً أوله:

ما قولكم في شيخنا الأسكوبي ... يبيت طول الليل في الراقوب
يرقب منه الفلك الدّوارا ... مشابهاً في فعله النصارى

ثم هاجموا بيته، فأنزلوا ما على سطحه من مناظير واصطرلابات وزوايا، وقاطعوه وهجروه، وربما شككوا علناً في صلاحيته لإمامة المسجد، فتأثر لذلك تأثراً كبيراً، واعتزل الناس حزيناً كئيباً، ومرض من جراء ذلك، حتى توفي سنة ١٣٠٣ رحمه الله.

ومن آثاره في هذا المجال مِزْوَلَةٌ[٢] كانت بالمسجد النبوي، كما خلّف وراءه مكتبة عامرة بكتب: (علم الهيئة) و(الميقات)، وطريقة استعمال آلات

---

(١) عبد الجليل برادة: ستأتي ترجمته بعد قليل في مشائخ الشاعر.
(٢) المزولة: الساعة الشمسية التي يعين بها الوقت بظل الشاخص الذي يثبّت عليها، جمعها مزاول.

المراصد الفلكية، بقيت عند ابنه إبراهيم، ثم بيعت في تركته بعد موته[١].

* وترك حسن هذا بنتين وأربعة من الذكور هم: إبراهيم، ومحمد، ومحمد علي، وهؤلاء الثلاثة مذكورون في حجة الوقف التي أشرنا إليها قبل قليل، فقد جاء فيها: (ثم مِن بعدِه تكون النظارة عليه لولديه: إبراهيم، ومحمدٍ. ومحمدُ عليّ إذا بلغ يكون معهما ناظراً، وكذلك كلما بلغ من أبنائه أحد يكون معهم ناظراً عليه، بالغاً ما بلغوا، ويكون أكبرهم وأرشدهم هو المرجع لهم في أمور الوقف المزبور[٢]. . الخ). والولد الرابع هو حسن، ربما سمي كذلك لولادته بعد موت أبيه. وكانت ذرية حسن هذا كلها من البنات.

* وأما محمد عليّ فقد أنجب بنتاً وولدين هما: عصام، وماجد.

* وأنجب محمد بنتين وثلاثة أولادٍ هم: عباس، وأبو السعود، الذي توفي شاباً، وحسيناً.

* ووُلد لعباس: محمدٌ[٣]، وفيصل، وفاروق، وهذا الأخير من طلابي في المرحلة الثانوية.

* وولد لحسين بن محمد: صالحٌ[٤]، ومحمدٌ، وإبراهيم.

* * أما شاعرنا إبـراهيم بن حسن الأسكوبي، فقـد أنجب حسناً، وعصاماً.

وفي ولده حسن كتب لاميته (رقم ٣٠) متشوقاً، حين تركه صغيراً في مكة، مصاحباً الشريف عون الرفيق في رحلة إلى جدة سنة ١٣١٩، ومطلعها:

أذاب الفــراقُ فؤادي انتحــالا   غداة النوى طـوّحت بي انتقالا

---

(١) الأعلام ٢ : ١٨٩ ، نقلاً عن محمد سعيد دفتردار في جريدة المدينة المنورة ١٢/٥/١٣٧٩ هـ.

(٢) المزبور: المكتوب.

(٣) يعمل محمد هذا الآن موظفاً بإدارة تعليم المدينة المنورة، وهو والد الشاب عباس الأسكوبي، الموظف بالهاتف الآلي.

(٤) ولخالد بن صالح هذا، يرجع الفضل في إخراج هذا الديوان. وهو الذي زودني بهذه التفريعات للأسرة.

ومنهـا:

فَيَـومـيَ مـن بُعـده مـظلمٌ ... وليليَ من بَعْـده بي استـطالا

على (الحسن) الصبرُ لمّا شددْ ... تُ رحليَ أزمـع عني ارتحـالا

وكان يكني نفسه بأبي عصام، وذلك كقوله:

فهـاكهـا رَوضـةٌ بـديـعـه ... تـائهـة بحُسْنهـا، منيعـه

غـدت بـوصفـك العَلِي رفيعـه ... يـا ليت تمّت مثلها (الـرفيعـهْ)[1]

ومن يلم فيك (أبا عصامٍ)

وقوله مخاطباً الشريف علي بن عبدالله:

فـأنت البحـر، والشعـراء وِرْدٌ ... فلم ينقصـه ـ دمت ـ ورودُ ظام

لينـظمْ من أراد الـنجـم عَـدًّا ... فبحر الوصف فيـك لديـه طام

ولكن فيـك نقـد ليس يخفَى ... عليـه مـا يقـول (أبـو عصـام)

* وترك حسنٌ ولداً واحـداً اسمه عمـر، يعمل الآن في الخـطوط السعودية.

* وولد شاعرنا إبراهيم بالمدينة أيضاً سنة ١٢٦٤ هجرية كمـا ذكر الزركلي، وفيها توفي سنة ١٣٣١، غير أن صاحب الموسوعة الأدبية يجعل ولادته سنة ١٢٦٩، ووفاته سنة ١٣٣٢[2]، ونشأ أيضاً بالمدينة، وتعلّم على أساتذتها ومشائخها، ولا بد أنه بدأ بدراسة الكتّاب، فحفظ القرآن الكريم، وبعض المتون. ومن الطبيعي أيضاً أن يكون قد استفاد من علم والده الشيخ حسن، الذي ذكرنا أنه كان من المدرسين البارزين بالمسجد النبوي.

---

(١) الرفيعة: اسم بستان الأسكوبي بالمدينة المنورة.

(٢) الموسوعة الأدبية لعبد السلام الساسي، ط ١، مطابع قريش بمكة سنة ١٣٨٨ جـ ١.

ومن أساتذته الذين صرح باسمهم:

١ ـ الشيخ حبيب الرحمن الهندي: وقد خصه الشاعر بالذكر في قصيدة ألقاها في الاحتفال الذي أقامه له والده بمناسبة انخراطه في سلك أئمة المسجد النبوي، ودخوله المحراب، بعد أن أشاد بعامة مشائخه، يقول الأسكوبي:

أقول لشيخنا القاري (حبيبٍ) سليل المصطفى: نلتَ الخلودا

تسمَّعْ يا إمام العلم شعري وباركْه ارتجازا أو قصيدا

فقد علّمتني نظم القوافي وقد لقّنتني العلم السديدا[١]

٢ ـ الشيخ عبد الجليل بَرَّادة، المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ، وهو من شعراء المدينة المعدودين، الذين تجاوزت شهرتهم الحجاز، لتصل إلى الأوساط الأدبية في البلاد الإسلامية، وهو ممن التحقوا بالأزهر ودرسوا فيه فترة من الزمن، وكان يحسن اللغة التركية والفارسية ويستفيد من آدابهما، (واتخذ هو وبعض علماء المدينة وأدبائها ندوة أسبوعية يعقدونها كل يوم ثلاثاء في بستانه... وتحفل هذه الندوة بالصفوة المختارة من أقطاب الفضل والمعرفة من المدنيين، وغير المدنيين، ممن يرد من العلماء والأدباء من الزوار الذين كانوا يدعونهم إليها لتبادل الفوائد، ووشج أواصر الصلة الثقافية)[٢]. وذكر عبيد مدني أيضاً أنه رأى للبرّادة مجموعاً خطياً فيه جملة أشعار[٢]، ولكنه لم يشر إلى مكانها. وقد سألت بعض أفراد أسرته من أحفاده وأبناء عمومته، فلم أظفر عندهم بشيء.

وقد أورد له البيطار في حلية البشر (٢: ٧٨١) مجموعة من الأبيات المفردة، وقصيدة كتبها بمناسبة انتصار الدولة العثمانية على اليونان سنة ١٣١٣، وكان الشاعر آنذاك في الآستانة، وهي:

---

(١) انظر القصيدة رقم (١١٨).

(٢) المنهل، عدد مايو، ويونيو ١٩٦٩، ص ٣٥٧ ـ ٣٦١، السيد عبيد مدني.

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخرُ … كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر

كذا فليكن ما يبلغ السؤل والمنى … كذا فليكن ما يدرك الثأر والوتْر

كذا فليكن سعي الملوك مقدّسا … يرافقه نُسْك، ويتبعه أجر

كذا فليكن قهر الأعادي، وهكذا … تخاض المنايا، والحديدلهاجسر

حديث عن (اليونان) يضحك باكيا … ويطرب محزوناً، ويلهو به غِرّ

أماني نفوسٍ في الدجى حلموا بها … وبالعكس في تعبيرها طلع الفجر

همُ دبَّروا أمر الأمور، وفكّروا … فعاد عليهم ضلّةً ذلك الفكر

فعاثوا، وجاسوا في البلاد بجهلهمْ … وعمَّ على جيرانهمْ منهمُ الغدر

صبرنا، وكم عنهم عفونا، فلم يُفِدْ … وعن مثلهمْ لا يحسن العفو والصبر

فقام أمير المؤمنين لردعهمْ … ببأسٍ شديدٍ لا يقوم له الصخر

فبادرهمْ منه هصورٌ غضنْفر … كذا الليث يُخشَى من بوادره الهصر

وشيّد أركانَ الخلافة فخرُها: … عظيمُ بني عثمان، يا حبذا الفخر!.

لقد قام في ذا العصر بالواجب الذي … هو الفرض من غزو تباهَى به العصر

فأحيا مواتاً للجهاد تقادمت … عليه دهور لا يشاد له ذكر

وقام به في الله، لله يبتغي … مثوبته العظمى، وحق له الشكر

غزاةٌ لعمرُ اللهِ قد نال خيرَها … وسالمه رغم العداة بها اليُسر

بفتكته البكر التي شاع ذكرُها … وأفضلُ فتكاتِ الملوك هي البكر

ليَهْنَك يا كهفَ الأنام وظلَّهمْ … فتوحٌ به سُرَّ المحصَّبُ والحِجْر

وقبرٌ لخير الخلق سُرَّ بطيبةٍ … وحق لهذا النصر أن يفرح القبر

فأنت ملاذ للعفاةِ مؤمَّل … وفضلُك جمٌّ، لا قليل، ولا نزر

لك الرأي بالحزم السديد مؤيَّد … تُعاملهمْ بالمكر إن لزم المكْرُ

فداوِ مريض الجهل بالحلم إن يُفد … وإلا فداءُ الشرِّ يحسمه الشر

ورأيُك سيف ما ألمَّتْ شباته … بأمر عصَى إلا استطاع له كسر

ومن أين للسيف الحسام مضاؤه إذا خامر الألباب من حادثٍ ذُعر؟ .
سمعنا بأن الجبن فيهم سجيـةٌ ولما التقينا صدّق الخَبَر الخُبْـرُ
لقد تركوا الأوطان والأهل عنوة وأجلاهمُ القتلُ المبـرّح والأسر
وما وقفوا في مأقِطِ الحرب لحظة ولا ثبتـوا، كلّا. . ولكنهمْ فرُّوا
وأدهمُ بـالدُّهِم الجيـادِ دهـاهمُ فحاصوا كحُمْرِ الوحش صادفها نِمْر
وتـرحالـه عنها تـرحّـل جمعهمْ ودكْدَك من أنحائها السهل والوعر
وغصت غلوص بعد ذاك بريقها فما ساغ لولا أن تداركها البحر

وربما كان لهذه القصيدة وأمثالها من شعر البرادة تأثير في شاعرية الأسكوبي بعد ذلك، حيث نراه يخرج بشعره عن نطاق المدح، والرثاء، والغزل، ونحوها، إلى شيء من الشعر السياسي الذي يعايش أحداث عصره، ويتفاعل معها سلباً وإيجاباً، كما في قصيدته: (يا آل عثمان).

وقد دفعه وفاؤه لهذا الشيخ إلى امتداحه بقصيدة هنأه بها بالقدوم إلى الحج سنة ١٣٢٠، حيث كان الشاعر مقيماً بمكة، ومطلعها:

قـرَّ عينا، وصلتَ خيْـرَ وُصول برضا الله ذي العُلى موصول[١]

وقال فيه بيتين يشيد به وبرسالة وصلته منه:

على شيخنا (عبد الجليل) تحيةٌ دواماً، فلا أُحصي مكارمه وَصْفا
قليـلٌ لكفٍّ منه أهـدتْ رقيمها على كل حرفٍ لو أقبِّلها ألفا[٢]

وحينمـا رزق بحفيده عبـد العزيـز بن علاء الـدين بن عبـد الجليـل سنة ١٣٢٢ هـ هنأه بقوله:

هـبـةُ الله مـن يُفدْها يُسـرْ وهبـاتُ المـولى الكـريم غُـرَرْ
فـاهْنَـا منهـا بـوافـد ابنٍ تجلّى عن سَنَا الشمس، أو ضياء القمر

(١) انظر القصيدة رقم - ٢١.
(٢) انظر المقطوعة رقم - ٥١.

١٧

إن شيخي (عبد الجليل) أباك الـ ـبحْـرَ لا زال فيه تُلقَى الـدرر
طال (عبدُ العزيز) عمْراً (علاء الد ين) حتى تـرى بـه خيـرَ بـر
ما ترد شكـر مَن حباك بـه أو مـا تؤرِّخ: أهلاً بنجـل أغـر[1]

وحين بدأ التدريس في المسجد النبوي في أوائل القرن الرابع عشر، رأيناه (يـدرِّس الفقـه، والحـديث، والتفسيـر، والمنـطق، وعلم الأدب، والهيئة)[2]، وهي ستة علوم لا يمكن في الغالب أن يكون تلقاها على شيخ واحد، فلهذا نفترض أن له شيوخاً آخرين، لم تسعفنا المراجع بأسمائهم.

وكان إلى جانب هذا يحسن ثلاث لغات، هي الفارسية، والتركية، والأردية، ولكن أثر معرفته لتلك اللغات لم يظهر على شعره، إلا ما كان من ترجمته لبعض القصائد التركية[3].

وقام برحلات كثيرة إلى خارج الحجاز، فرحل أكثر من مرة إلى كل من نجد، واليمن، والشام، وتركيا، ومصر، والهند، وكان من نتائجها مجموعة من القصائد والمقطوعات، كتبها في شخصيات ومعالم لبنانية وسورية، وأخرى مصرية، كما كان من نتائجها وصفه لبعض المخترعات الحديثة، وقد كتب قصيدته الشهيرة: (يا آل عثمان)، وهو في تركيا، وهي قصيدة أدت على المستوى الشخصي إلى سجنه، وأسهمت في شهرته بين أهل عصره في مختلف الولايات العثمانية آنذاك.

ورغم إعجاب الأسكوبي بأحمد شوقي والإقرار له بالشاعرية، واعتبار الاجتماع به أمنية. وبرغم إعجابه أيضاً بسليمان البستاني معرِّب الإلياذة، وامتداحه على ما قام به من جهد في هذا التعريب، فإن شعره لم يتأثر بشعر شوقي، ولا بأسلوب معرِّب الإلياذة، ولا بغيرهما، من قريب أو بعيد، ولعل

---

(١) انظر المقطوعة رقم ـ ٨٠.
(٢) الموسوعة الأدبية جـ٢.
(٣) انظر القصيدة رقم ـ ٤٥، ٤٦، والمقطوعة رقم ـ ٦٦.

ذلك راجع إلى عدم توافر الوقت لديه لتمثّلِ ما يحتك به من ثقافات، أو إلى وفائه للسائد والقديم. وحتى تجديده المزعوم في وصفه بعض المخترعات وفي توجُّهه إلى الشعر السياسي، فإنه لم يكن إلا على نطاق ضيق، وفي نماذج قليلة ومحصورة.

ولقي الأسكوبي حظوة كبيرة لدى أمراء مكة من الأشراف، وبخاصة الأمير الشريف عون الرفيق[1] بن محمد بن عبد المعين بن عون، الذي أغراه بالانتقال معه إلى مكة، ومن بَعده ابن أخيه: الأمير الشريف علي بن عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون[2]. وقد خصهما بأكثر مدائحه، وبخاصة الأمير علي، فلا تكاد مناسبة تمر دون أن يمدحه فيها، وقابل الأشراف ذلك المديح بالإغداق على الشاعر، ورعاية شؤونه في الحل والترحال، وفي الصحة والسقم، فقد كان سفره إلى مصر ولبنان للاستشفاء برعاية الشريف علي، وعلى حسابه الأميري، وبإشراف وكلائه ونوّابه هناك. والأسكوبي يسجل كل ذلك في شعره ويشيد به.

---

(١) الشريف عون الرفيق: ولد بمكة سنة ١٢٥٦، وتوفي بالطائف سنة ١٣٢٣هـ، ناب في حكم مكة عن أخيه الحسين بن محمد، ثم وليها أصالة سنة ١٢٩٩ بعد عزل الشريف عبد المطلب بن غالب، وكان قوياً عنيفاً، وقد أشار إلى ذلك الشاعر أحمد شوقي في قصيدته التي مطلعها:

ضج الحجاز، وضج البيت والحرم ... واستصرخت ربَّها في مكة الأمم

ودوّخ الأعراب، وأرهق الحجاج بأنواع من الضرائب، وضايق كل من خالفه الرأي من العلماء والأعيان، وقلص سلطة الوالي العثماني. وقيل: إنه كانت تنتابه نوبات من الصرع. حصل على لقب الوزارة والباشوية قبل ولايته. (تاريخ مكة للسباعي ص ٥٥٠، والأعلام ٥: ٩٧)

(٢) الشريف علي بن عبدالله: لم يذكروا تاريخ ولادته ولا مكانها، ولي إمارة مكة سنة ١٣٢٣ هـ بعد موت عون الرفيق، وعُزل سنة ١٣٢٦، فانتقل إلى مصر، وأقام بالقاهرة، إلى أن توفي فيها سنة ١٣٦٠ هـ، وكان حكمه بالوكالة، ولم يؤصل إلا في أوائل ١٣٢٦، وسبب عزله هو سخط الاتحاديين عليه بعد خلعهم السلطان عبد الحميد الثاني، واتهامه بالتباطؤ في إعلان الدستور بالولاية، بل اتهامه برفضه والإيعاز للأهالي بالثورة عليهم. (تاريخ مكة للسباعي ص ٥٥٧ ـ ٥٦٠، والأعلام ٤: ٣٠٩)

وهو وفي لأفراد أسرته ولأصدقائه، يشاركهم في أفراحهم وأتراحهم، فنراه يهنىء في الولادة والزواج، ويرثي في الموت، ويعزِّي في الكوارث، إلى غير ذلك من المشاركات الأخوية، من ذلك تهنئته لصديقه الشيخ محمد ماجد أفندي الكردي المكي سنة ١٣٢٥ بمولود، حيث يقول:

مبارَكٌ، وافد، يا ماجدٌ وفَدَا فنعْمَ والدُه شهماً، وما ولَدَا
لا زلتَ، لا زلتَ مغبوطاً به، ونَشَا سمحاً يكون على ما ترتجي وُلِدا
محمداً، صادقاً، برًّا بوالدةٍ ووالدٍ، ولإخوان له عضدا
فوصفُه في اسمه لا شك، وهْوَ له فالٌ، فطِب، واهْنَ، واشكرواحداًأحدا
فالله يبقيكمُ، هذا يُسَرُّ بذا دوماً، وأنت وهمْ في نعمة أبدا[1]

ورثى صديقه عوض الغمراوي المكي بقصيدة مطلعها:

لم يشْقني بدلٌ أو عوض بعد ما أودى لعمري (عوض)[2]

وعلاقته بأخيه محمد وإن تكدرت قليلاً في بعض الأوقات، ربما بسبب نظارة الوقف، فإنها عادت إلى الصفاء والود، وحين مات محمد رثاه إبراهيم بقصيدة مطلعها:

جزَعي عليك أطارَ من أجفاني طِيبَ الكرى، وأمرَّ في أحزاني
إني فقدتُك يا أخي، ففقدْتُ ما يحلو من العيش السعيد الهاني

ويختمها بقوله:

طِبْ ميّتا، واسعَدْ بواسع رحمةٍ واترك لنفسي ثورة الأحزان

وقد عاصر الأسكوبي بالحجاز مجموعة من العلماء والأدباء، منهم:

١ ـ الشيخ أحمد بن زيني دحلان: مفتي الشافعية بمكة، ولد سنة ١٢٣٢ في مكة، وتوفي بالمدينة سنة ١٣٠٤،

---

(١) انظر المقطوعة رقم ـ ١٠٤.
(٢) انظر القصيدة رقم ـ ٥٣.

يقول صاحب حلية البشر: (وله كتابات حسنة، وتأليفات مستحسنة. . . وكانت الإمارة الحجازية تنظر إليه بعين الرعاية، وتضمه إليها ضم العناية)، وكتب عدة مؤلفات منها: (الفتوحات الإسلامية) مجلدان، (والجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية)، و(خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام)، و(الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين)[١].

٢ ـ الشريف أحمد أسعد بن محمد أسعد بن أحمد: الحنفي، الحسيني، المدني، مفتي المدينة المنورة، وكان شاعراً على طريقة شعر العلماء، ولد بالمدينة سنة ١٢٤٥، وبقي في الإفتاء سنين طويلة، وفي سنة ١٢٨٤ ناب عن السلطان عبد الحميد في وكالة الفراشة، وتوفي بالآستانة سنة ١٣١٤ هـ[٢].

٣ ـ السيد جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين بن محمد البرزنجي: ولد بالسليمانية، بالعراق سنة ١٢٥٠، وكان أبوه رحل إليها من المدينة عند مهاجمة محمد علي باشا للحجاز، وذلك سنة ١٢٢٣، فلقي التكريم من واليها عبد الرحمن باشا. وسافر جعفر إلى مصر، ودرس فترة بالأزهر، ثم عاد مع والده إلى المدينة سنة ١٢٧١، واستكمل فيها دراسته على علمائها، وكانت فتوى الشافعية آنذاك بالمدينة في آل البرزنجي، فأسندت إليه، ثم تنازل عن المنصب لولده جعفر هذا، وذلك سنة ١٢٧٨، ثم تقلد جعفر بعد ذلك قضاء صنعاء إلى نهاية ١٣٠٢، رجع بعدها إلى المدينة، وتصدّر للتدريس، ثم تولى قضاء سيواس بتركيا سنة ١٣٠٧ لمدة عامين، وعاد إلى المدينة مفتياً ومدرّساً إلى أن توفي سنة ١٣١٧، له عدة مؤلفات منها: (نزهة الناظرين) في تاريخ المسجد النبوي، و(الشجرة الأترجية في سلالة السادة البرزنجية)، و(تاج الابتهاج على النور الوهاج في الإسراء والمعراج)، و(شواهد الغفران في فضائل رمضان)، وكان إلى ذلك يكتب الشعر ويمارس نظمه[٣].

---

(١) حلية البشر ١: ١٨١ ـ ١٨٣ والأعلام ١: ١٢٩.

(٢) الحلية ١: ٢١٥ ـ ٢٢٠.

(٣) المرجع السابق ١: ٤٥٢ ـ ٤٥٤، والأعلام ٢: ١٢٢.

هـذا الديـوان

اعتمدت في تحقيق هذا الديوان على نسخة مصورة من مخطوطة محفوظة في مكتبة الشاعر الأديب المرحوم السيد عبيد عبدالله مدني[1]، وعلى نسخة مكتوبة بخط الشاعر المرحوم السيد علي حافظ[2]، وهي متطابقة تماماً مع نسخة السيد عبيد مدني، لأنها منقولة عنها، ومقابلة عليها بعد النقل، غير أن الشاعر الأديب المرحوم محمد سعيد دفتردار[3] أضاف على نسخة السيد

---

(١) عبيد مدني: من شعراء المدينة الرواد في العصر الحديث، ولد بالمدينة في أواخر حكم العثمانيين للحجاز سنة ١٣٢٤ هـ، وبها نشأ وتعلم، من بيت فضل وعلم، وهو شقيق المؤرخ أمين عبدالله مدني، كانت أكثر دراسته على الأشياخ بالمسجد النبوي، ومن أبرز مشائخه المرحوم محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري. له ديوان مطبوع من ثلاثة أجزاء، يحمل عنوان: (المدنيات) طبعه أولاده سنة ١٤٠٦ هـ بعد وفاته التي كانت سنة ١٣٩٦ هـ، وقد كانت تربطنا به صداقة وعلاقة رحمه الله.

(٢) علي حافظ: هو علي بن عبد القادر بن عثمان حافظ، ولد في المدينة سنة ١٣٢٧ هـ، وتوفي سنة ١٤٠٨، تلقى تعليمه في إحدى المدارس العثمانية بالمدينة، ثم واصل دراسته بالمسجد النبوي. وتولى رئاسة البلدية بالمدينة فترة من الزمن انتهت بسنة ١٣٨٣، قدم خدمات اجتماعية وثقافية جليلة، منها تأسيسه مع أخيه عثمان حافظ جريدة المدينة عام ١٣٥٦، ومدرسة الصحراء الابتدائية بالمسيجيد عام ١٣٦٥، وله عدة مؤلفات منها: (فصول من تاريخ المدينة المنورة) و(سوق عكاظ) وديوان شعر بعنوان: (نفحات من طيبة).

(٣) محمد سعيد دفتردار: أديب، عالم، شاعر، ولد بالمدينة سنة ١٣٢٢، وبها توفي سنة ١٣٩٢ هـ، درس بالأزهر وتخرّج فيه، ثم عاد إلى المدينة سنة ١٣٦٢، فعمل فيها مدرّساً، ثم معتمداً للمعارف فيها (أي مديراً للتعليم)، فأسس مجموعة من المدارس، ثم =

علي حافظ مجموعة من القصائد والمقطوعات مما عثر عليه، كتبها بخطه رحمه الله، وقد أثبتها في آخر الديوان تحت عنوان: (زيادة الدفتردار).

وقال علي حافظ: إن الدفتردار استعار منه نسخته، ثم أعادها إليه ومعها ورقة كتب عليها ما يلي: (ليس المكتوب في هذا الدفتر ديوان الشيخ إبراهيم أسكوبي، بل هو القسم الذي نظمه في مكة المكرمة، بعدما هاجر إليها صحبة الشريف عون الرفيق، وسائر شعره عند ابنه حسن).

نعم، ليس المكتوب في نسخة السيد عبيد مدني، وبالتالي المكتوب في دفتر السيد علي حافظ، هوكل ديوان الأسكوبي، لأن مصورة نسخة السيد عبيد التي بين يدي، تبدأ بصفحتين غير مرقمتين، تحتويان على القصيدتين: (١، ٢)، وقد رأيت أن أبدأ بهما الديوان، لشدة صلتهما بالمدينة بلد الشاعر. ثم صفحتين تحملان رقم: (٣٣، ٣٤)، وتمثلان في مطبوعتنا المقطوعات رقم: (٣ إلى ١١)، ثم يبدأ الترقيم في الصفحات متوالياً من صفحة ٨٧ إلى صفحة ١٧٣، ثم ينقطع ليبدأ بصفحة ١٨٢، ويتوالى إلى صفحة ١٨٥، غير أن هذه الصفحة الأخيرة لا يوجد بها شيء من الشعر، أو شيء يصرح بنهاية الديوان أو تاريخ كتابته، وإنما فيها عنوانان لشخصيتين ربما كان الشاعر على صلة بهما، هما: أحمد بيك الحسيني، سكرتير مجلس النظار، بشارع قشلاق عابدين، ورفيع بيك العظم، بعمارة البابلي بشارع خيرت. كما فيها بيان لكيفية صنع الصابون بشكل سريع، وربما كان هذا دالاً بالفعل على نهاية الديوان. وتبقى ورقة من غير ترقيم، آثرنا أن نعطيها في مطبوعتنا رقم:

= استعفي من العمل الإداري وعاد إلى التدريس، وهو من أعضاء (أسرة الوادي المبارك الأدبية)، وكان يتابع نشر قصائده وكتاباته التاريخية والأدبية في الصحف، وبخاصة المنهل، وجريدة المدينة، له عدة مصنفات منها (تاريخ الأدب العربي)، و(نصوص مختارة)، و(المجيدي الضائع ـ والحاجة فلحة)، قصتان، وديوان شعر، وأعلام المدينة.
وكان رحمه الله محبوباً لدى جميع الناس، وذا مكانة فيهم. وصلة الدفتردار بالشاعر إبراهيم الأسكوبي وثيقة جداً، فهو جده لأمه.

(١١٢)، ونختم بها نسخة السيد عبيد، وذلك لتأخر تاريخها وتفرّد موضوعها بالنسبة لقصائد الديوان، وهو مدح خديوي مصر.

ومعنى هذا أن المفقود من النسخة اثنتان وثلاثون صفحة من أولها، وثماني صفحات من أواخرها، واثنتان وأربعون من وسطها، فالمجموع اثنتان وثمانون صفحة. فإذا طرحنا منها ثلاث الصفحات غير المرقمة التي أشرنا إليها، يكون النقص تسعاً وسبعين، ثم لو قابلنا زيادة الدفتردار تقريبياً بتسع صفحات، يصبح النقص المحقق سبعين صفحة من واقع عدد صفحات الديوان: (١٨٤)، ونحن لا نقلل من شأن هذا المحذوف من حيث الكم ولا من حيث النوع. أما من حيث الكم فإنه يمثل أكثر من الثلث، وأما من حيث النوع فإنه ربما كان ممثلاً لبعض بدايات الأسكوبي الشعريّة، أو كاشفاً عن بعض جوانب حياته الذاتية أو الاجتماعية، وكل ذلك مهم ـ كما هو معلوم ـ في دراسة شعر أي شاعر.

وربما كان هذا المفقود أيضاً ممثلاً لبعض وجوه حياته بالمدينة، لا كل حياته فيها كما أشار الدفتردار، ذلك أن المتبقي لدينا ليس مكياً خالصاً، بل إن بعضه يتعلق بالمدينة، وذلك كما في المقطوعة رقم (٨)، التي تحدث فيها عن بستاني الصديقتين في عوالي المدينة.

وفي الديوان مطولة من اثنتين وتسعين مخمساً، سماها: (المفاخرة بين وابور البحر ووابور البر) سبق أن طبعها الشيخ محمد ماجد أفندي الكردي[١] على نفقته سنة ١٣٢٤ هجرية، بالمطبعة الحسينية بمصر، وكان الكردي

---

(١) محمد ماجد كردي: هو محمد ماجد بن محمد صالح بن الشيخ فيض الله، الكردي، المكي، ولد سنة ١٢٩٢ هـ بمكة، وبها توفي سنة ١٣٤٩ هـ، انتقل إليها جده في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. كان محمد ماجد شغوفاً بنشر العلم، فنشر على نفقته كثيراً من الكتب، ثم أنشأ مطبعة، واضطهد في عهد الشريف حسين بن علي، فلزم بيته، ولم يعد إلى الحياة العامة إلا في عهد آل سعود، حيث عين وكيلاً لإدارة المعارف، ثم مديراً للأوقاف. وله عدة مؤلفات منها، (معجم كنز العمال) (الأعلام ٧: ١٦).

صاحب مكتبة بمكة المكرمة، يتعلق بالطبع والنشر. وقد رجعنا إليها في التحقيق.

أما قصيدته الرائية: (يا آل عثمان) التي وجهها للعثمانيين، وأُبعد من أجلها عن المدينة، والتي قالوا: إنها نشرت آنذاك في الصحف في أقطار إسلامية عديدة، فإنني لم أظفر بها مطبوعة في صحيفة، وإنما وجدتها فيما أضافَه الدفتردار إلى الديوان، وهي أيضاً مما تناقله من أرخوا للشعر السعودي.

وقد رأيت أن لا أتكلف للمقطوعات والقصائد التي احتواها الديوان، عنوانات لم يضعها صاحبه، ولم أشأ أن أعيد ترتيبها في مجموعات حسب أغراضها، بل أوردتها كما كتبها صاحبها الذي كان يصدّرها غالباً بمناسباتها بادئاً ذلك بكلمة: قلت.. واكتفيت بترقيمها، فبلغت (١٢٢) ما بين قصيدة ومقطوعة[1]، منها قصيدة للشاعر عثمان الراضي: (رقم ٧٣)، وأخرى للشاعر المدني أنور عشقي: (رقم: ٨٤)، وثلاث قصائد للشيخ عثمان الموصلي: (رقم ٩٦، ٩٧، ٩٨)، كان الشاعر يرد عليها بمثلها.

ومنها ست مقطوعات نبطية: (رقم ١٢، ١٣، ١٦، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢).

أما الأغراض الشعرية التي تناولها الشاعر فهي:

١ ـ **المديح**: وهو الغرض الغالب على الديوان، وأغلبه كان موجهاً إلى الشريف علي بن عبدالله أمير مكة الذي كان الشاعر يحظى بمواهبه وعطاياه، وينعم بظل سلطانه ورعايته، وبعضه كان دافعه الوفاء أو الإعجاب، فقد مدح رسول الله ﷺ بقصيدتين، ومدح أستاذه عبد الجليل بقصيدة، وكذلك مدح أستاذه حبيب الرحمن. ومدح الشاعر أحمد شوقي، وسليمان البستاني

---

(١) عدد المقطوعات لا يقل عن ست وأربعين.

مترجم الإلياذة، دون أن يراهما، ومدح الخديوي عباس حاكم مصر.

٢ ـ الغزل: وكان أرقّه ما كتبه في ممرضة قامت على تمريضه في أثنـاء العملية التي أجريت له في لبنان بسبب فتاق قديم كان أصابه وأقضّ مضجعه عدة سنوات. أما ما جاء منه ضمن قصيدة المديح فقد كان على الطريقة التقليدية التي تعتمد في صورها وألفاظها على الذاكرة، ولا تعير الانفعال أو التجربة أي اعتبار، وأقل من ذلك شأناً ما كان الدافع إليه الصنعة البديعية، وهذا النوع من الغزل قد يكون بالمؤنث وقد يكون بالمذكر، إذ المهم فيه هو تحقيق المحسِّن البديعي من جناس أو تورية ونحو ذلك، دون نظر إلى مدى علاقته بواقع حياة الشاعر، وقد كان ذلك سمة من سمات ما قبل عصر الأسكوبي، استمرت بعض أصدائها عند أمثاله من الشعراء التقليديين.

٣ ـ الرثاء: فقد رثى بعض أصدقائه ومعارفه، ورثى الشريف عون الرفيق بمطوّلة، كما رثى أخاه محمداً رثاء مؤثراً.

٤ ـ الإخوانيات: من إبداء شوق لغائب، أو عتاب لصديق، أو مفاكهة، أو تهنئة بمولود، أو ما يمكن أن نسميه بالرسائل الشعرية، ونحو ذلك.

٥ ـ الوصف: وأهم قصيدة في ذلك وصفه للقطار والسفن البخارية، في أسلوب مفاخرة أجراها بين الاثنين تحت عنوان: (المفاخرة بين وابور البحر ووابور البر)، كما وصف القمر، ووصف مدينة دمشق، وقلعة بعلبك. ووصف شرب الشاي والقهوة العربية، وغيرها.

٦ ـ الشعر السياسي: ويتمثل في قصيدته: (يا آل عثمان)، وربما كانت له قصائد أخرى في هذا الغرض ضاعت ضمن الجزء المفقود من الديوان.

٧ ـ التعريب عن التركية: فقد قام بتعريب قصيدة في وصف مسكن، وأخرى غزلية، كما عرّب مقطوعة في الشكوى، ثم حاول أن يحتذيها في مقطوعة أخرى، وليته أكثر في هذا المجال بالذات. وهناك أغراض أخرى ألمّ بها إلماماً قليلاً كالشكوى، والأحاجي والألغاز.

مكانة الأسكوبي الشعرية

لا يستطيع دارس الحركة الشعرية في الحجاز، بل في الجزيرة العربية كلها، إلا أن يضع الأسكوبي في إطار عصر البعث العربي في العصر الحديث، الذي تحمّل الكثير من أعبائه الشعراء، وبشروا به، وفتحوا عيون مواطنيهم على الشعور بالذاتية، والوعي بالمسؤولية الوطنية تجاه أوطانهم. يقول المرحوم عبد القدوس الأنصاري: (ثم بدأ عصر البعث العربي في أعقاب حرب الدولة العثمانية مع إيطاليا... فكانت بلاد العرب تموج بحركات الاستنكار لالتواءات الرجل المريض، كما تموج بحركات اليقظة والشعور بالذاتية.... ونفخ شعراؤها في أبواق التبشير بتفتح الوعي، وبانطلاقه من القيود، واسترجاع مجده السليب، فنال رشاش من هذا البعث العام هذه البلاد، ولم تتمكن من مسايرته ولا من تتبّع خطواته بما يغيّر من دفة اتجاهها من الوراء إلى الأمام، بحكم استحكام القيود والسدود التي تحيط بها من دولة الأتراك. وكان من آثار انتقال عدوى الشعور بالذاتية والوجود[1]: أن رأينا الشاعر إبراهيم الأسكوبي ينظم قصائده السياسية[2] من المدينة المنورة، يزجي

---

(١) انظر مقدمتنا لديوان محمد أمين الزللي، فقد ذكرنا هناك أن الوعي والشعور بالذات بدأ قبل هذا العهد، بدأ في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مع قيام دولة آل سعود الثانية، وفي حربهم مع العثمانيين وأعوانهم، ولكن لم تتهيأ له ظروف الانطلاق.

(٢) لا يوجد في الديوان سوى قصيدة سياسية واحدة. وكم من بيت أغنى عن قصيدة، وقصيدة أغنت عن ديوان.

بها نصحاً وتوجيهاً للدولة العثمانية التي تشاءمت من انبثاق هذا الوعي المتفتح الذي سبق أوانه، فزجّت بالشاعر الممتلئ إخلاصاً واعتدالاً بالسجن في بلاد الغربة[١]، وما رحمت كبر سنه، ولا قدسية موطنه، ولا علمه ولا أدبه، وهذا كله أمر ذو بال بالنسبة لتاريخ قصة الشعر في ديارنا إبّان الإغفاءة المديدة، فلم يسبق لشاعر من شعراء ذلك الجيل ولا ما قبله على ما نعلم أن سلك في شعره هذا السبيل. . .)[٢].

وفي الحقيقة لم يكن الأسكوبي وحده في الميدان، إذ لا يمكن أن يتحمل مسؤولية البعث الشعري شاعر واحد، فقد كان هناك أستاذه الشاعر عبد الجليل برادة، والشاعر عبد الواحد الجوهري الأشرم المكي، المتوفى سنة ١٣١١ هـ، والشاعر محمد العمري المتوفى سنة ١٣٦٥، وكل الجيل الذي صاحبهم من الشاعرين والكاتبين، وهو الجيل الذي تلقف الراية عنه جيل ضياء الدين رجب، والدفتردار، والعواد، وحمزة شحاتة، وحسين سرحان، وزملائهم.

وعدّه الأستاذ العامودي: (على رأس شعرائنا الحجازيين في أواخر العصر العثماني)[٣] أما عبدالله عبد الجبار فيقول: (لم يكن الأسكوبي خطيب المسجد النبوي رجل دين يعنى بالثقافة الدينية فحسب، وإنما كان إلى ذلك أديباً يعنى بالثقافة الأدبية، وبتزويد عقله بألوان المعارف والثقافات، فقد كان طلعة يقرأ الكتب أصيلة في العربية، أو معرّبة إليها)[٤].

ويختم المرحوم عبد الرحيم أبو بكر حديثه عن قصيدة الأسكوبي: (يا آل عثمان) بقوله: (ومهما يكن أمر النقاش في مستوى هذه القصيدة من الناحية الفنية، فإن الأسكوبي كان فيها ملتزماً بموقف معين في إطار ثقافته وانتمائه،

---

(١) سجن الأسكوبي بالآستانة.

(٢) مجلة المنهل، عدد مارس ١٩٥٦ ص ٣٨٣.

(٣) من تاريخنا، للعامودي، ص ٢٢٥ ط ٢.

(٤) جريدة المدينة ٢٧٩ في ٢٧ يناير سنة ١٩٤٩ م.

وهو بهذا يُحسب في رأيـي من جملة الشعراء المعاصرين، الذين اكتسبوا لقب المعاصرة بسبب انتمائهم إلى دائرة الاهتمام بمشكلات العصر، وفي مقدمتها الاهتمام بقضية المصير ومواجهة التحديات المتجددة في كـل مجال من مجالات الحياة. وكان الأسكوبي لذلك يمثّل بحق مرحلة انتقـال بـين شعـر أواخر العهد العثماني وشعر جيل النهضة في الحجاز)[1].

ومما لفت معاصريه لشاعريته قصيدته: (المفاخرة بين وابور البحـر ووابور البر)، لما فيها من جدة في الموضوع، وبُعدٍ عن الجلجلة اللفظية، ولاعتمادها على البساطة في التعبير، ونهجها الأسلوب الحواري، القائم على تشخيص الجوامد وإعطائها بعض صفات الإنسان، ولذلك نـرى بعضهم يقرظها شعراً، ويشيد بها وبصاحبها، ومن هؤلاء المقرّظين الشاعر المدني: محمد أفندي بن عبد الجليل برّادة، يقول البرّادة:

لكـل زمان في الـرجـال نـوادر ... تساموْا إلى العليا، نجومٌ زواهر
تبـاهت بهم أيامُهمْ، وتعـطرت ... بأوصافهم في كل عصر مَحاضر
لهم رَقَّ حُرُّ القول، فالنثر مُزهر ... سنَى فضله، والنظمُ كالدرِّ باهر
مـآثـرهمْ في ذا وهـذا كـأنهـا ... جواهرُ، بل من دونهن الجواهر
يقولون: مات الشعر من بَعدهمْ أسى ... فليس له مُصْغٍ، ولا ثَمَّ شاعر
نعَمْ قد عفا ربْعٌ له كـان آهلا ... فلم يبق إلا الرسم، والرسمُ داثر
فـلا أنت في لفظٍ تودّ سمـاعَهُ ... ولا أنت في معنى كما قيل زاهر
تصـدى لـه قـوم يـظنـون أنـه ... قريب متى رامُوه، والباعُ قاصر
ولم يبق ذو فهمٍ يقـدِّر قـدرُه ... ولم يبق بين الناس إلا التشاعر
فلا تبعوا أسلوب أسلافهمْ، ولا ... أتـونـا بمـا منه تقـر النـواظـر
فشتّان همْ والوصف في البيض والقنا ... وفي نعت طيفٍ زارَ والليلُ عاكر
فوصفهمُ في الدار نابٍ حسامُه ... وسهمهمُ إن ينعتـوا العير عـاثر

(١) الشعر الحديث في الحجاز ـ عبد الرحيم أبو بكر ـ طبع دار المريخ بالرياض، ص ١٧٢.

ففي أيِّ شيءٍ من قديم وحادثٍ ... له الوصفَ راموا، عنهمُ النظم نافر
كأن بديعَ النظم ضلَّ كعامر ابْـ ... ـنِ يقْدمَ، أو دارت عليه الدوائر
وإلا كعبّـودٍ قضى العمر نـائماً ... إلى أن أتاه اليوم نشـر وناشـر
من الحَبْر (إبراهيم) ما بَهَر النُّهى ... وطابت على نحوٍ نحاه الخواطر
ألا فانظروا شعراً لأوحدِ دهـرِه ... فمن ذا يباريه؟ ومن ذا ينـافر؟
فإن شئت قل فيه: هو اليوم شاعر ... وإن شئت قل: في النظم والنثر ساحر
ومـا هـي إلا فـكـرةٌ مـدنيّـة ... أقيمت لنا في الشعر منها مشاعر
فباهِ به من شئت شرقاً ومغـرباً ... وفـاخِرْ، فـلا يشآك قطُّ مُفـاخر

* * *

أ(إبرامُ)[1] أنت اليوم حسّان وقته ... وأول من تُثنَى عليـه الخناصـر
وصفتَ لنا أشياء في العصر أُحدِثت ... ومقولنا كسـلان، حيران، فـاتر
وفتّحتَ أبواباً من الوصف أغلقتْ ... فيـا طـالمـا ملنـا إليهـا نحـاور
وكنّا على ما خطَّ أسـلافُنا لنَـا ... من القول، نقفو إثرهم، ونكاثر
ولو شهدوا خط الحديد، وما جرى ... على اليمِّ من وابور بحرٍ يماخر
وسلْكَ تلغرافٍ، وما الكهربا أتت ... به من عجاب دونه الذهن حائر
لما وصفوا دارًا لأسماء أقفرت ... ولا شـاقهمْ عِيسٌ بها، ويَعـافِر
فهـذي بـوابيـرُ البحـار كـأنهـا ... جبالٌ تشق البحر، والبحرُ زاخر
وهذي قصور نُظمتْ فوق أسطرٍ ... تسابق صَفْق الريح، والريحُ ثائر
أيا فاضلا فاخرتَ ما بينهـا بما ... أفذْتَ، فكلٌّ عنك راضٍ وشاكر
وساجلتَ منها بين ذي البحر مُعْطياً ... لـه حقَّه وصفًـا كما هـو صادر
وما بين ذي البرِّ البديع صناعةً ... فجاء له وصف كما الشمس ظاهر
وحكّمتَ سلكاً للتلغْراف بعدما ابـ ... ـتكـرتَ له نعتـاً بديعـاً ينـاظـر

---

(١) إبرام: إبراهيم.

مفاخرةٌ ما إن تَقدّم مثلُها | وليس لها يأتي الدوامَ نظائر
فكم حكمةٍ فيها. ! وكم مَثَلٍ . ! فلا | ترى البيتَ إلا وهو بالفضل غامر
فما (رؤبةٌ) يربو لها رجزاً، ولا | (قويدر) يحذو حذوها اليوم قادر
فمثلُك من إن قيل: في النظم ماهر، | ومن نَثْرُه أثنت عليه المنابر
فدُمْ ما اجتنَى من زهر نظمك مُجتَنٍ | وما صفّر الوابورُ يومَ يسافر[1]

ومنهم الشاعر المكي: الشيخ عثمان الراضي بن الشيخ محمد الراضي[2]، حيث يقول:

هذي شموس زاهرَةْ | أم ذي رياضٌ زاهرَةْ.؟
لا، بل سطورٌ نُظِّمتْ | في سمط درٍّ، باهرة
من نظم مولانا الإما | م، ذي المعالي الفاخرة
علّامة العصر الذي | ساد عُلاً نظائره
الشهمُ (إبراهيم الإسْـ | ـكوبيّ)، قطب الدائرة
الماهر المتقن في الـ | ـفنون، والمذاكرة
نادرة الزمان، مَنْ | قد فاقَ كل نادرة
أبدَى لنا منظومةً | على النظام ظاهرة
أبياتُها كأنها | أمثالُ حُسنٍ سائرة
بديعةُ الصُّنع، بحُسـ | ـنِ الإختراع هامرة
متقنة أزرتْ بكلّ | شاعرٍ، وشاعرة
فائقة أترابها | فتّانةٌ، وساحرة
بكرٌ، عَرُوبٌ في تما | مِ الحُسْنِ جاءت سافرةْ

---

(١) المفاخرة ـ للأسكوبي ص ٢ ـ ٤ المطبعة الحسينية بمصر.
(٢) عثمان الراضي: بن محمد بن أبي بكر بن محمد. أديب، شاعر له شهرة، ولد بمكة سنة ١٢٦٠، وكان يكثر الإقامة بالطائف. له نقد على الرحلة الحجازية للبتنوني، وديوان شعر مخطوط من مجلدين. توفي بمكة سنة ١٣٣١ هـ. (الاعلام: ٤ : ٢١٤).

فـكـلُّ بـكـرٍ عـانسٌ	مـن دونـهـا، وبـائـرة
فـاضَـلَ فيهـا نـاظمـاً	مـن فـكـرِه جـواهـره
بـيـن بـوابـيـر الـبـرا	ري والبحـار الـزاخـرة
وقـلّد الحـكم إلـى السِّـ	ـلْك لـدى الـمـحـاورة
يـا حُسنهـا مفـاخـرة	تُـذْكـرنـا مـآثـره
تـاريخُهـا: أكـرِم بهـا	فـيـا لهـا مـفـاخـره[1]

٢٦١ ٨ ١٢٧ ٩٢٦ =١٣٢٢

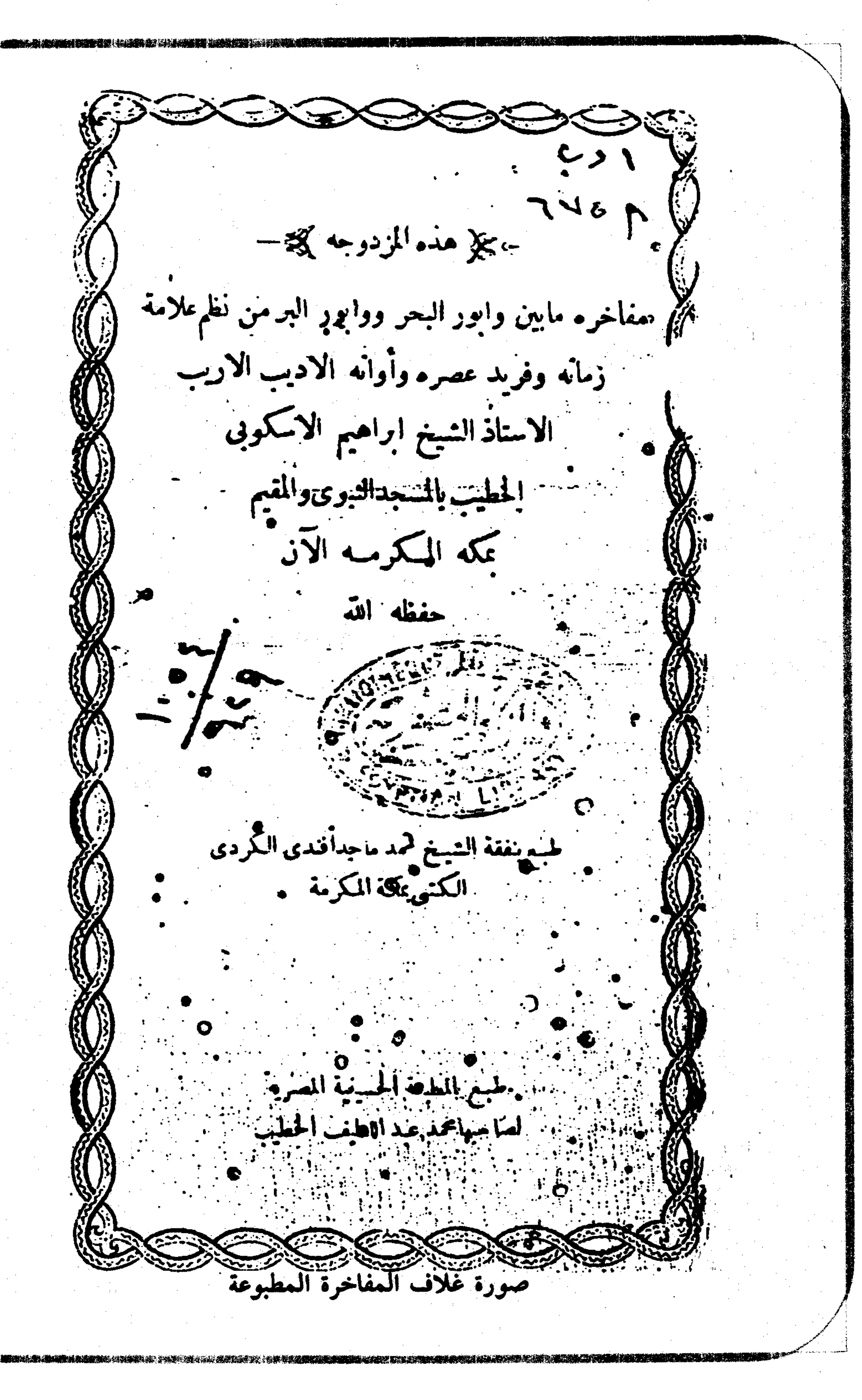
وبصفة عامة نقول: إن شعر الأسكوبي تردد بين التقليد والنزوع إلى التجديد، يعتبر رائداً لشعراء جيله في الحجاز بثقافته اللغوية الواسعة، وببعض صوره الجميلة، وببعض الموضوعات والأغراض الجديدة التي طرقها، أما إذا نسبناه إلى شعراء عصره في بعض البيئات العربية الأخرى، التي كان تأثرها بالحضارة والثقافة الجديدة واضحاً وجلياً كمصر والشام، فإن مكانته الشعرية تضؤل كثيراً، وإن ضاهى بعضهم أو شآهم، فهو لم يستطع أن يضاهي أمثال شوقي وحافظ في مصر، ولا الزهاوي والرصافي في العراق، ولا اليازجي أو الشدياق في الشام، ونحن على كل حال لا نستطيع أن نطالبه بأن يكون فوق ما كان، وحسبه أنه كان رائد جيله وأشعر شعراء عصره في الحجاز.

المدينة المنورة ١/٢/١٤٠٩هـ — د. محمد العيد الخطراوي

---

(١) المصدر السابق.

صورة الصفحات المخطوطة


هذه المزدوجه

مفاخره مابين وابور البحر ووابور البر من نظم علامة

زمانه وفريد عصره وأوانه الاديب الارب

الاستاذ الشيخ ابراهيم الاسكوبي

الخطيب بالمسجد النبوى والمقيم

بمكه المكرمه الآن

حفظه الله

طبع بنفقة الشيخ محمد ماجد أفندى الكردى

الكتبى بمكة المكرمة

طبع بالمطبعة الحسينية المصرية

لصاحبها محمد عبد اللطيف الخطيب

صورة غلاف المفاخرة المطبوعة

بسم الله الرحمن الرحيم

(المفاخره والمناظره)

حمداً لذي المنة والإحسان ومنطق الإنسان باللسان

لأن يبين ما على الجنان من نعمة أفاضها ذو الشان

وحكمة تبقى مدى الزمان

ثم أصلي وأسلم على محمد خير نبي أرسلا

وآله من أذركوا أقصى العلى وصحبه نجوم هديه الأولى

به أضاؤا سبل الإيمان

وبعد فاسمع هذه المفاخره وما بها من أدب المناظره

ما بين وابور يسير باخره وآخر في البر كيف صادره

كلاهما كفرسي رهان

فيالها من قصة لطيفه عجيبة غريبة ظريفه

في حسنها ووصفها وصيغه من فكرة نيرة حصيفه

أتت بها في أحسن البيان

صورة بداية (المفاخرة) المطبوعة

وقد حكمت حكم الإتيان بالسلم والصلح وتطمئن
لأمن في الجنود والأمان
وحرروا بالواقع الجلي حكمي في الكلي والجزئي
بأن مافي البحر المائي وكلما في البر البري
ولأنها بالفصل واصيلة
فشكرا النقابة الجليلا وصية وصنعة الجميلا
وبكل منها المبدا جزاء قد صار له خليلا
وختمها بالشكر للمنان
ما أحسن الأشياء يوما ان أتت عن أهلها لأهلها وصادفت
محلها كما لذلك قد ثبت في هذه البديعة التي وفت
بكل بيت جيد العمران
من صنع ابراهيم الأسكوبي خطيب دار الهجرة المنسوب
لخدمة العلم بها المحسوب على الشفيع الهاشمي المحبوب
طه البشير سيد الإنسان
واختم المقصد من كلامي بأفضل الصلاة والسلام
على النبي أشرف الأنام وآله وصحبه الكرام
ماتليت على مدى الأزمان

تمت بعون الله تعالى على يد المنشأ
سنة ١٣٢٤ هجرية

صورة نهاية (المفاخرة) المطبوعة

ماصورة في راسها ... ترى لها منقارا
لها جناحان وهي ... في شكل ضب حارا
اذا مسست ذيلها ... تحيي وتحيي النارا

وصف الخد بخال قلت ذا منك غلط
لم اجد الا عليه ... نقطة الخاء فقط

ساعات انس خلت عن سيئ الفكر ... عمي بها الدهر لم تحسب من العمر
مرت باخوان صدق ساقهم قدر ... الى اجتماع بروض طيب عطر
زاكي النسيم انيق الشكل حف به ... الوان زهر زهت في احسن الصور
ورد وفل ونسرين زكا ارجا ... وياسمين واشكال من الزهر

وفي زهر الخميلة اي حسن ... ولون فاق لون التبر وصفا
ارى قضبانه تحكي عذارى ... حملن مجامرا ونفحن عرفا

خطرت فمالت ثم قالت يافتى ... لي مغرم فاجبت اي يا منيتي
ضحكت فدقت رجلها من بعد ان ... قالت ادق دق وهواعاع وصابيتي

وقال مؤرخا بابا صغيرا وضع بين الصديقتين البستانين اللتين بالعوالي ليتوصل منه الى سهولة المرور بين اهليهما

بين الصديقتين قد ... اعد باب للمسير
لما رايت حسنه ... ارخته باب صغير
١٢٠٥

إحدى صفحات المخطوط، وهي غير مرقمة

غيرد

روحي فدا الغزال الي بطرفه رماني واصبحت هايم عليل
مشغول بالعشق بالي ارجو وصال الحبيب

ايش يا ناس الحال كم اعاتب زماني لو كان حبي قليل
يرق قلبه لحالي مالي سواه طبيب

يا بدر حاوي الكمال عشقك هو الي لواني يا ظبي مالو مثيل
بالله صل يا غزالي صبا دموعه صبيب

حويت كل الجمال وحزت كل المعاني والريق من سلسبيل
لا تنكر شفه دوى لي يطفي بقلبي اللهيب

بدري عديم المثال سلطان كل الحسان ما ملت عنه ولا اميل
فداه نفسي ومالي عسى وصاله قريب

غيرد

يا اميرالحسان يا مانع الصب برده بالله رد السلام واحيي ليالي الصفا
العشق كل امتحان يعرفه من ذاق مره والي دهاه الغرام يعرف عذاب الجفا
عسى مليك الزمان يزور لو كان مره يا سيد هجرك حرام للصب صاحب وفا
كم لي ابات سهران ارعى نجوم المجره واسأل نجوم الظلام ما قط جفني غفا
لا كان في الحب من خان لو كان مثقال ذره واليوم في الهجر كالعام كفى حبيبي كفا

صفحة (٨٧) من المخطوط

وقلت مخمسا بيتين لابي يزيد البسطامي

عرف الامور وشقها من شام حقايقها فاذا اردت احقها

اعطى المعية حقها والزم بها حسن الادب

من كان دوما جهده في ربه لم يعده عفو الاله ورفده

واعلم بانك عبده في كل حال وهو رب

وقلت مباركا بمولود اسمه محمد صادق وُلِد لابر رفيق وصديق بل اشفق شفيق بي وشقيق حضرة جناب اخينا الاجل الشيخ محمد ماجد افندي الكردي المكي وذلك غاية ربيع الاول من ١٣٢٥ سنه

مبارك وافد يا ماجد وفدا فنعم والله شهما وما ولدا

لازلت لازلت مغبوطا به ولشا سيما يكون على ماترتجي ولدا

محمدا صادقا برا بوالده ووالد ولاخوان له عضدا

فوصفه في اسمه لاشك وهو له فال فطب واهن واشكر واحدا احدا

فالله يبقيكم هذا ايسر بدا دوما وانت وهم في نعمة ابدا

البدر في افق السماء كانه ملك تنزه وسط روض مزهر

ودنت له الجوزاء تسحب ذيلها في حلة قد كللت بالجوهر

لازالت عقد الثريا عنده قالت لي ياسيدي ذا المشترى

فاجابها المريخ اهداه لنا دعه او فتناوليه واشكري

وقلت مهنئا الشيخ محمد الشادي بقدومه للزيارة النبوية

شذا فاطر ينبيء ومقدمك الشادي من قبل لقاك في خير اباشاد

لا النفيا رايت الذات اعظم من ان يبلغ الكنه في ادماقها حاد

محمد انت في كل الفعال ولا اخال يجري خصالا امثالك اشاد

نقر عينا هنيئا بالقدوم الى مغرب رحمة كل الامة الهادي

وابسط يديك لنيل العفو مغتنما بشرى لصبك وفز بيه باسعاد

وحل في روضة مابين منبره ومبرم واجن منها زهر ارشاد

واعلم بان الذي املت ينجزه البلاد والمرتجي نفس واولاد

اني لاشكر يوما منك سرفني بكا مل ماجدي يجر اعاد

حبر لنصري في بحر يصيغني ما يروي الفؤاد ويشفي لي الاصاد

ومنطقي كاللآلي البيض نظمها في مدح طه وبحبوبين اجواد

وز[illegible] [illegible] [illegible] والدهر [illegible] د وما شرحه [illegible]

صفحة أخرى من المخطوط

احمد نبيه الحسيني ١٨٥.

احمد نبيه زكي سكرتار مجلس النظار

بشارع قشلاق عابدين

رفيع بيه الظاهر بعمارة الباباي بشارع خيرت

معروف الرصافي البغدادي.

عمل الصابون السريع

سودا كوستيك يحل في الماء ويوزن بميزان الثقل النوعي على درجة ٣٠ ثم اذا اريد عمل الصابون على الطريقة البارده من غير نار يأخذ لكل مائة جزء من الزيت زيت الزيتون ستين جزء من المحلول وتضيفه شيئا فشيئا مع مداومة التحريك فاذا مضى ساعه حتى يتحلل الزيت ويتصبن فبعد ذلك تصبه في قوالب وتتركه من المساء الى الصباح فاذا جف تقطعه وتقسمه على حسب الطلب. واذا كان باقي فيه ماده رطبه تتركه حتى يجف.

ما جرا على ترقى فانقلب
معى على علي

صفحة من آخر المخطوط تحمل التسلسل الرقمي نفسه

ديوان المرحوم الشيخ ابراهيم اسكوب

المدني المتوفي غرة جمادى الأولى سنة ١٣٣١

نسخة من نسخة السيد عبيد مدني

كاتبه

علي حافظ

صورة غلاف دفتر علي حافظ

ديوان الشيخ ابراهيم اسكوبي المدني المتوفى عام [illegible] جمادى الأولى

قال رحمه الله وهو بمكة مهنئا استاذه الشيخ عبد الجليل براده بقدومه من الحج في ١٢[illegible]

رجعتنا وصلت خير وصول … برضا الله ذي العلى موصول

واهنأ امر المقبول [illegible] … [illegible] دعا الله محرما بالقبول

هذه مكة وها انت ساع … في سبيل التوفيق [illegible] سبيل

اي ارض ارضى الى الله منها … ت واهنى منه منزل التنزيل

اي بر ابر بالله منه الحج … وارجى منه نيل السول

حرم آمن ورب كريم … منه دعاه لفوز بالمأمول

[illegible] حيث الاسعاف منه قريب … يلتقي الوفد بالجزاء الجزيل

ما على فيضه العميم حجاب … لو دلو طول جوده بالقليل

الف اهلا مرحبا بقدوم … [illegible] وفي مواطنه التأهيل

طب سرورا بالبيت طفت وطب … [illegible] في مقام الخليل

نعمة حزت مالها من نظير … ضمنه بشرى بحج بيت الجليل

اشرقت مذ نزلت مكة نورا … باهرا [illegible] بخير نزيل

شكر الله سعيك اليوم فزنا … منك بالطالع الاغر الجميل

ليت اعيادنا تعود لنا اليو … م سرورا في مثل هذا القبيل

يعلم الله [illegible] … من منهم من ناله من قبيل

وورى [illegible] ذا الكمال … ليس يحتاج فضله لدليل

من يطل ما اليه [illegible] بباع … في جميع الفنون رحب طويل

عز ان ازى شبيهك بحرا … خاض لجا في شكل حر نبيل

للكمال الجميل من رتبة العالم … بلغت المقصود عنه الجليل

لم تضع خدمة اوقات [illegible] … [illegible] حفي كفيل

حزت اقصى العلا [illegible] … ليس بالحصر [illegible] بالكامل

صورة أول دفتر علي حافظ

ومن قوله في القهوة

قهوة البن عزّة :: سوداء حسنة ومرّ

لولا خيط أمل :: ما عرفه الناس ربّا

....

وقال في الطائف

تملكتني بالود يا ريم رامه

ويا ظبي نفاح

وغربتني عن ديرتي لبوادي تهامه

ونقضت الأجراح

غنيت من عندي حبا وبتني الحمامه

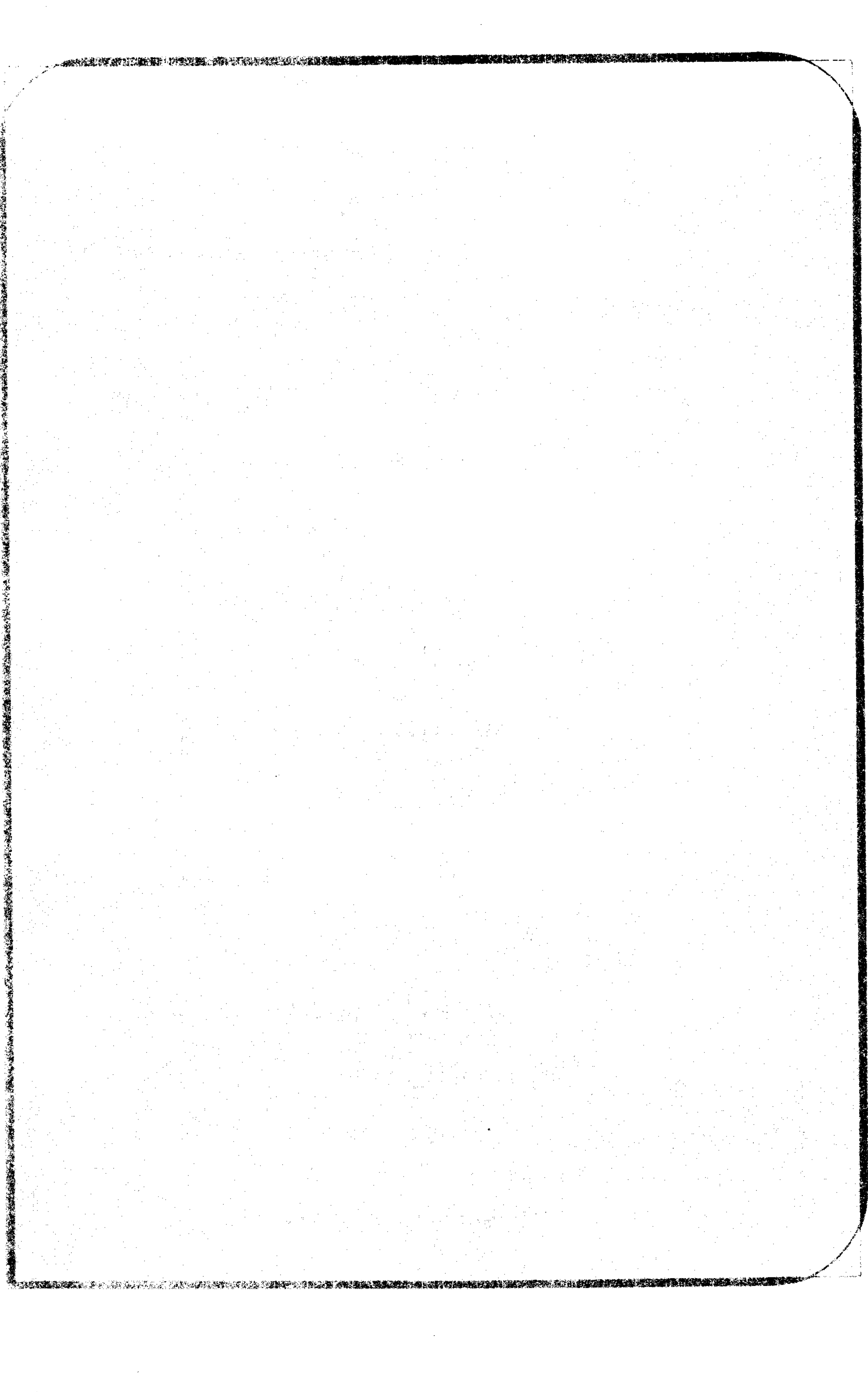
طيور القلب صاح

شربت ما لذ من روح المدامه

ولهالب لي الراح

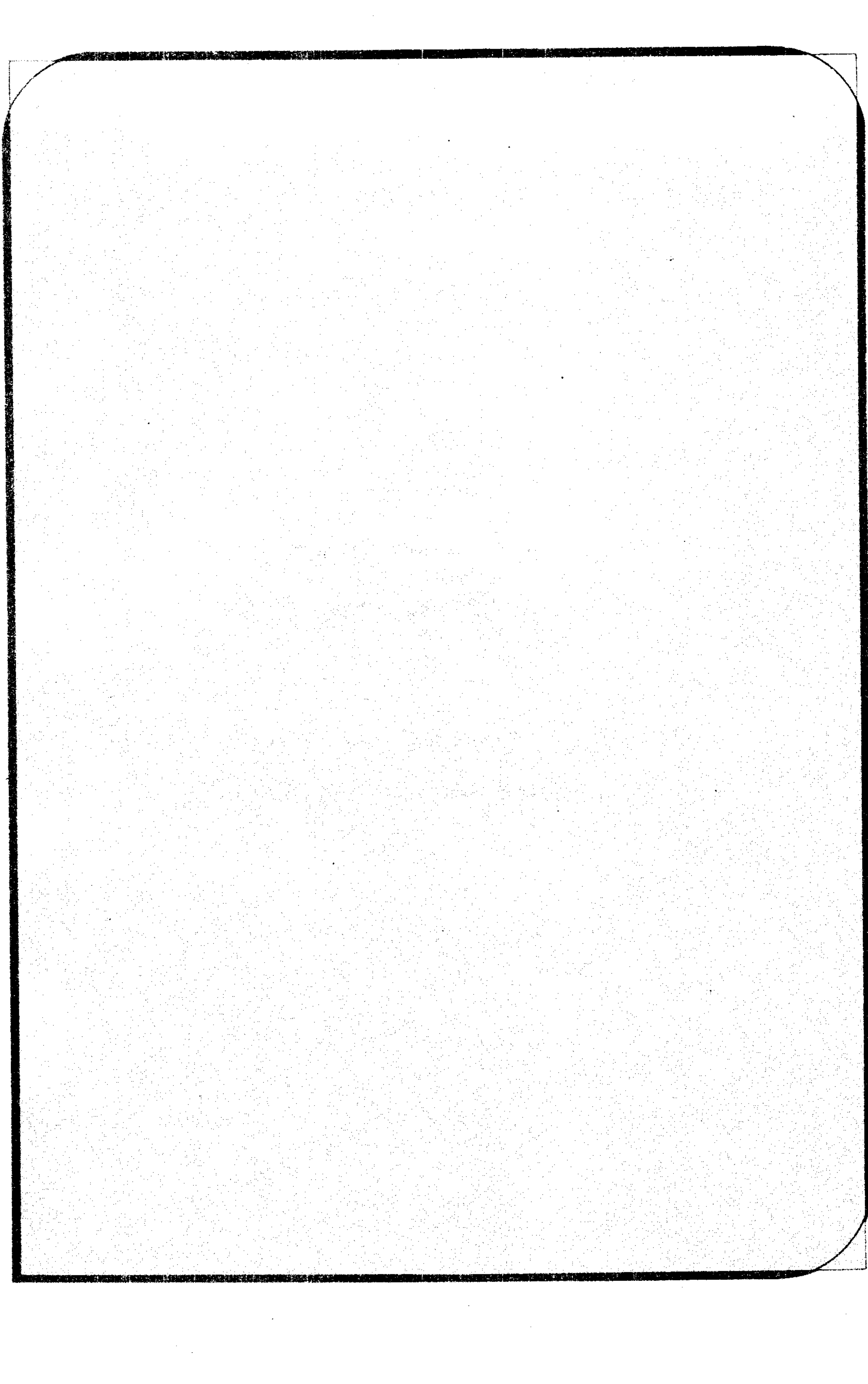
من صحيفة ٩٨ الى صحيفة ١٠٠ بخط الاستاذ محمد سعيد دفتردار رحمه الله فقد استعار مني الديوان وقرأه وزاد فيه ما لديه مما لم يأتي في الديوان عندي وكتب رحمه الله ذلك بخطه ورقة وصفحة

بخط الشاعر محمد سعيد دفتر دار



ديــوان
إبراهيم بن حسن الأسكوبي
١٢٦٤ - ١٣٣١ هـ

تحقيق وتقديم
الدكتور: محمد العيد الخطراوي



- ١ -

وقلت ناظماً نسب مولانا السيد حسين هاشم:

حقيقٌ لآل المصطفى فائقُ الثنا ورائقُ مدح عابقِ النَّشرِ، دائم
سراةٌ، صريحُ الذكر جاء بمدحهمْ، وبعدَ عَرُوسٍ عزَّ عطرٌ لِرائم
وأنَّى لمثلي أن يفوه ببعض ما يحق لأهل المجد من آل هاشم.؟
ولكنَّ جهداً مِنْ مُقلٍّ أتى به ليُحسَبَ في وُصَّاف أهلِ المكارم
نجومِ الهدى في كل عصر وبلدة إلى سبل الحق المبين، معالم
فمنهم بهذا العصر كوكب أفقه حسينُ بن يحيى، الشهيرُ بهاشم
أجلُّ فتى، في طيبةٍ طاب أصله، وفرعاه طابا كالأصول الأفاخم
هما فرقدا أفْقِ العلا باهر الثنا هما المقتدَى والمرتجى في العظائم
فأكرِمْ بعبد القادر الشهم منهما، وجعفرُ صنوٌ جودُه غيرُ عاتم
وجدُّهما يحيى المقدَّم ذكرُه أبوه حسينٌ نجل يحيى الخضارم
سليلُ حسينٍ نجلِ هاشمٍ الذي بحلٍّ عويص العلم أعلمُ عالم
سلالةُ إبراهيمَ فَرْعُ الحسينِ، من أبوه عليٌّ بن المعظم هاشم
هو ابن حسينِ بن العليِّ أخي التقى هو ابنٌ لإبراهيمَ صُلْبُ المعاجم
سليلُ رفيع القدر أعني محمداً هو ابن لعبدِ الله غرَّةِ هاشم
سلالة من يسمو السماكَ محمدٌ هو ابن عظيم الجاه، جمُّ المراحم
أخو الحلم، عزُّ الدين يحيى بن ذي التّقَى شريفُ بن بشرى المجد، رأس الجماجم

أبـوه المفدى مـاجد بن عـطية ... سلالة يَعْلَى، مَنْ طوى ذكْرَ حاتم

أبـوه دُرَيْدٌ نجـل ماجدَ، مَنْ له ... أب عبدُ رحمٰن الجوادُ بن قاسم

سلالة إدريسَ بن جعفر، مَنْ دُعي ... أخا الفضل عبدَالله، ليثَ الضراغم

هو ابن الإمام العسكريِّ، عليٌّ مَنْ ... أبـوه إمـام الحق، أقـومُ قـائم

محمدمن يُدْعَى الجوادَ علي الرضا الإ ... مـام أبوه، قـدوةٌ لـلأعـاظـم

سليلُ إمامِ الحق موسى الذي غدا ... لكظم عظيمِ الغيظِ يُدْعَى بكاظم

سليـلُ إمام الحق جعفـر الذي ... يلقب بالصادقْ لِصـدْقِ العزائم

سليـلُ إمام الباقرِ العلْمَ، واسمه ... محمـدٌ المدعـوُّ في كـل داهم

سلالة زين العابدين عليٍّ، مَنْ ... أبوه الحسين السبْطُ، قِرْم الملاحم

سلالة بـابِ العلم سيدِنـا علِي ... وزوجتِـه الـزهـراءِ، أم الأكـارم

وبضعةِ خيرِ الرُّسْل طٰـه محمدٍ ... إمامِ الورى، مَنْ ساد أولادَ آدم

فـذا نسـب زانت فرائـدُ سمطه ... بكل إمام صـائم الدهـر، قائم

والإِسْكوبي إبراهيم يرجو بنظمه ... جوائز نَفْحـاتِ القبول النـواسم

ومرضاةَ خيرِ الخلق جدِّهما غداً(١) ... عليـه صلاة الله سحَّ الغمـائم

كذا الآل والأصحاب ما أنشئ الثَّنا ... ومسك ختامٍ فاح عند الخواتم

— ٢ —

هذه منظومة لأجل تحرير الصاع، وبيان صدقة الفِطر في المدينة المنورة وغيرها:

أحمـدُ من أمـرنـا أن نَقْتفي ... محمـداً خيـرَ رسـولٍ اصـطُفي

---

(١) يقصـد التقرب إلى الله بحب آل البيـت: ﴿قل لا أسألكم عليـه أجراً إلا المـودة في القربى﴾. [الشورى: ٢٣].

عليـه صلى الله ما تُصـدِّقـا بـالفطر، والآل وصحبٍ صُـدَقا

إن رمتَ تحريراً لأصل الصاع فخـذ من الماش[1] بـلا نـزاع

بـقـدر تـسـعـمـائـة وعـشـر من درهم الوقت الحديث، فادْرِ

ثم املأ منه أيّ مكيـال، فما وسعـه فـالصـاع ذاك، فـاعلما

والـدرهم الـوقتيّ سـتـة عشـر من القـراريط لكـلّ مَنْ خَبَـرْ

ويـنقص الـشـرعـيُّ قيراطـين عـنـه بـلا تـشـكـك ومَـيْـن

فـالصاع بـالشرعي ألْفُ درهمٍ وأربعـون فـوق ألفٍ، فـافهمِ

وهـو يـطابق حسـاب مـا سبق في درهم الوقت الحديث المتفق

فـفِـطـرةُ الـمـديـنـة الـمـنـوّره شـطرٌ ونصفُ ثُلْثةٍ، محـرْره

مـن حنـطةٍ وتـابـع بقـدرهـا وكَيْـلـةٌ وثـلْثةٌ مـن غـيـرهـا

لأن نصفَ الصـاع من بُرٍّ نقي مُجـزٍ لدى (أبي حنيفـةَ) التّقي

والـصـاع كله مـن الـشـعـيـر كـالـتمـر عـنـده بـلا نكـيـر

فـكـيـلة وثـلثـةٌ فـي طـابـةْ صـاعٌ تمـامٌ واضـح الإصـابـه

وما سوى (النعمان) كلُّ الصاع مـن أي نـوع فـطـرةٌ، فـراع

هـذا الـذي يُفهم ممـا حرروا فـاحـرص عليـه، والإلـه أخبر

واختم مصلياً على الختْم الأغر طٰـه وآلـه وصـحـبِـه الـغـرر

ـ ٣ ـ

مـا صـورةٌ فـي رأسـهـا تـرى لـهـا مـنـقـارا

لـهـا جـنـاحـان وهِـي فـي شـكـل ضـب حـارا

إذا مـسـسـتَ ذيـلـهـا تحْيَى، وتحيي النارَا .؟

(١) الماش: فسّرها المرحوم علي حافظ بالعدس.

- ٤ -

وصَفَ الخد بخالٍ قلتُ: ذا منك غلط
لم أجد إلا عليه نقطة الخاء فقط

- ٥ -

ساعاتُ عُمْرٍ خلَتْ عن سيء الفكَرِ عمِي بها الدهر، لم تُحسبْ من العُمُرِ
مرّت بإخوان صدق ساقهم قدرٌ إلى اجتماع بروضٍ طيب عطرِ
زاكي النسيم، أنيقِ الشكل، حفّ به ألوان زهرٍ زهت في أحسن الصور
وردٌ، وفلٌّ، ونسرين زكا أرجاً، وياسمينٌ، وأشكال من الزَّهَر

- ٦ -

وفي زهر الخميلة أي حسن ولون فاق لونَ التبر وصفا
أرى قضبانه تحكي عذارى حملن مجامراً، ونفحن عَرْفا

- ٧ -

خطرت فمالت، ثم قالت: يا فتى، بي مغرمٌ. ؟فأجبت: إي يا مُنْيتي
ضحكتْ فدقّت رجلها من بعد أن قالت: (أدق دق وهـ اعاعَ وصابتي)(١)

- ٨ -

وقال مؤرخاً باباً صغيراً بين الصديقتين البستانين اللتين بالعوالي، ليتوصل منه إلى سهولة المرور بين أهليهما(٢):

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) من رقم ٣ - ٨ يمثل ص ٣٣ من المخطوط. ومن ٩ - ١١ يمثل ص ٣٤، ثم تنتظم الصفحات من ٨٧.

بين الصديقتين قد أعدّ بابٌ للمسيرْ
لما رأيتُ حسنه أرّختُه: بابٌ صغير

١٣٠٥ هـ

ـ ٩ ـ

إني أرى الفضة البيضاء قد رخصت ... وكل يوم لها في سعرها نقص
والكل كان بها من قبل مفتتنا ... وكل شخص بها في نفسه حرص
أخشى على أنها من بعدُ لو تُركت ... من غير حفظ لها لاستهزأ اللص
فهل إذا أصبحت مثل النحاس لنا اسـ ... ـتعمالها جائز، إذ ذلُّها الرُّخص. ؟
وفي الدماء، وحدٍّ، والديات، كذا ... يبقى لها الحكم في التقدير، والنصُّ
أريد منكم جواباً شافياً، فعسى ... حَبْرٌ يجيب، له في بحثه فحص

ـ ١٠ ـ

يا فريداً أهدى إليّ فريداً ... وحميداً في الفضل أمسى وحيدا
كل يوم عليك مني سلام ... يتوالى مع الزمان جديدا
إن تسل عن محبتي لك، فاذكرْ ... شاهدَ القلبِ منك، تلقَ شهيدا
فصِلِ الكتْبَ يا (محمد)[1]، واعلم ... أن عندي ودًّا إليك، أكيدا
إن يوماً وافى كتابك فيه ... كان عيداً، فصار عيدا وعيدا
فجلاَ القلب بالمسرة، فاسلم ... في أمانٍ، ودم حظيًّا سعيدا

ـ ١١ ـ

إلاَمَ اصطباري والهوى أبداً يقْوَى ... وحتّامَ يقضي الدهرُ منّيَ ما يهوى. ؟

---

(١) قد يكون المقصود أخاه محمّداً.

عدمتُ جفوناً لم تساعِدْ بأدمع تفيض، وقلباً بعدكمْ عالجَ السلْوى

وأيـام بُعـدٍ أعقبتـنيَ حسـرةً وليلات هجرٍ أعقبت فيكمُ قسوًا

تعمدتمـو من غير ذنب قطيعـة قـطعتمْ بها آمـال صبِّكمُ عدوا

وحملتمـو ما لا أطيق من الهوى ومن لاعج الأشواق ما لم أكن أقوى

فيا ليتكم لم تجعلوا البيْن بيننا وحملتموني في رضا حبكمْ رضوى

– ١٢ –

قال رحمه الله:

روحي فـدى دا الغـزال الـلِّي بـطرْفَـهْ رمـانـي

وامسِيـتْ هـايمْ عـلـيـلْ مشغـولْ بالعشقْ بـالي

أرجـو وصـالْ الـحبيبْ

إيشْ يـا ناسْ دا الحـالْ كـم أعـاتـبْ زمـانـي

لـو كـان حِبِّي قـليـلْ يـرقْ قلبُـهْ لـحـالـي

مـالـي سـواهُ طـبـيـبْ

يـا بـدرْ حـاوي الكمـالْ عشقـكْ هُواللّي لـواني

يـا ظبْي مـالُـوا مثيـلْ بـالله صِلْ يـا غـزالي

صبًّـا دُمـوعُـهْ صبيـبْ

حـوِيـتْ كـل الجمـالْ وحـزتْ كـل المعـاني

والـريـقْ من سلسبيـلْ لا شـكْ رشفُـهْ دوَالي

يـطفي بقـلبي الـلهيـبْ

بـدْري عـديم المثـالْ سـلطانْ كـل الحسـان

مـا ملتْ عنْهْ ولا أميـل فـداهْ نـفسـي ومـالـي

عسى وصـالُـهْ قـريب.!

- ١٣ -

وقـال:

يـا أمـيـر الـحـسـانْ يـا مـانـع الصب بِرَّهْ
الـعشـق كُلُّو امتـحـانْ يـعـرفـهْ من ذاقْ مُـرَّه
عسى مـلـيـكْ الـزمـانْ يِـزُورْ لـو كـان مَـرَّه
كم لي أبـاتْ سـهـرانْ أرعـى نجـومْ الـمجـرَّه
لا كان في الحب من خان لـو كـان مثـقـالْ ذرَّه

* * *

بـالله رُدَّ الـسـلامْ واحْيِـي ليـالـي الصـفـا
والـلِّي دهـاهْ الـغـرامْ يِعْـرِفْ عـذاب الجـفـا
يـا سِيـدْ هجـركْ حـرامْ لْـصَـبٍّ صـاحـبْ وفـا
واسـأل نجـوم الـظلامْ هـل قَطْ جفْني غـفـا
واليُومْ في الهجْرْ كـالعامْ كـفَـى حبيبي. كـفَـى

- ١٤ -

وقلـت:

كـلُّ إنـسـانٍ مـدى أيـامـهِ ينبغي بالعقل يسعى في شفـاهْ
وحـراراتُ الهـوى ليس لهـا من دوًا تُشفَى بـه إلا الشفـاهْ

- ١٥ -

وقلـت:

يا ليلةَ الوصلِ عودي بالهنا، عودي إني رهينٌ لمكتـوبي وموعـودي

فالرقُّ[1] رَقَّ لوجدي مذ رأى أرقي　　والعُود حنّ لحالي مذ رأى عودي[2]

- ١٦ -

وقلت:

حبيبْ قلبي من الغِيدْ　　غزالْ مالُو مماثلْ
بالقدْ يَسبِي، وبالجِيدْ　　وامَّا النواظرْ قواتلْ
ما حيلتي فيكْ يا سِيدْ　　يا بدْرْ في الحسن كاملْ
قدْ ردَّدْ النُّوحْ ترديدْ　　صبّك، ولُو دمعْ سائل
شدّدتْ في البعد تشديدْ　　وشمّتتْ فيّ العواذل
وصلك لِيَا[3] زرتني عيدْ　　والهجْرْ كالسمْ قاتل
اللّهْ يبقيكْ وَاكِيْدْ　　بكْ كل لايمْ وعاذل

- ١٧ -

وقلت:

(خطرتْ تميسُ، وتنثني)　　هيفاءُ كالغُصْن الرشيقْ
وقضتْ على أهل الهوى　　(ما بين شُبْرةَ والعقيقْ)

- ١٨ -

وقلت:

تجنَّبَ وسْط الخدِّ خالٌ وقد وقفْ　　بصدْغ الذي يسبي العقولَ على طرَفْ

---

(١) الرَّق: الدف، جمعه رُقوق.
(٢) العود: الأولى آلة العزف المعروفة، والثانية: جسمه.
(٣) لِيا: كلمة عامية تقابل (إذا).

كعبـد أتى روضـاً ليجنيَ وَرْده   فأبصرَ ناراً حين أقبل فـانحرَفْ

ـ ١٩ ـ

وقلـتُ:

يـا مليكـاً بـاعني من بعـد مـا   قـادني للرق بـالطبـع الـرقيقْ
هـل يُباع الحرُّ كالعبد، وقـد   منعـوا في وقتنا بيعَ الرقيق.؟

ـ ٢٠ ـ

وقلت راثيـاً المرحـوم الأفنـدي عمـر زاهـد، سنـة ١٣١٨ هـ، في ١٧ شوال:

مـا بـالُ هـذا الـدهـر يفـ   ـجعنـا بكـل فـتى أغرْ
ويَـرُوعنـا فـي أروع   يـولي الجميـلَ إذا عَسَـرْ
لـلخيـر يُقصَـدُ أيـن كـا   ن، ولـلنوائـب يُـدَّخـرْ
ذو هـمـةٍ عـليـاء مـا   دون السمـاك لهـا مقـر
لله فـيـه مـن تُـقًـى   دار الـبـقـاء بـهـا عَـمَـرْ
مـا أدرك الـعـليـاء مـن   لم يَحْذُ حـذوك يـا عُمَرْ
فـلفـقـد مـثـلك حـقّ أنّ   الـدمـع يـذهب بـالبصـر
هـل حـيـلةٌ فـي حـادث   يـستـاقـه حـادي القـدر
فـعليـك أوسـع رحـمـةٍ   تـنهـلّ دومـاً كـالـمـطر

ـ ٢١ ـ

وقلت مهنئاً أستاذنا وشيخنا الشيخ عبد الجليل أفندي المدني[1]، بقدومه لأجل الحج، وذلك في عام ١٣٢٠ هـ:

---

(١) عبد الجليل برادة: سبقت ترجمته في المقدمة.

قَرَّ عيناً، وصَلْتَ خيرَ وصول ... برضا اللّه ذي العُلَى موصول
وإهْنــا، إن القَبُـول هبّتْ تُلبّي ... من دعا اللّـه مُحرِما، بالقَبُول[1]
هـذه مكـةٌ، وهــا أنت ساعٍ ... في سبيل التوفيق، أسنى سبيل
أيُّ أرض أرضَى إلى الله من ها ... تِ، وأهْنَا من منزل التنزيل.؟
أيُّ بَرٍّ أبَرُّ من اللّه بـالحَجّ[2] ... وأرْجَى منـه بنيْـلِ الـسُّـولِ
حَـرمٌ آمــنٌ، وربٌّ كـريـمٌ ... مَـنْ دعـاه يـفوزُ بـالـمأمول
سلْهُ حيث الإسعافُ منه قريبٌ ... يلتقي الـوفدَ بـالجزاء الجـزيـل
مـا على فيضه العميم حجاب ... لا، ولا طَـوْلُ جـوده بـالقليـل
ألف أهــلاً ومــرحبـاً بقـدوم ... بــك وافَى مــواطنَ التـأميـل
طبْ سروراً، بالبيت طفتَ، وصلّيْـ ... ـتَ لمـولاك في مقام الخليل
نعمةٌ حزتَ، ما لها من نـظير، ... ضمن بشرى بحجّ بيت الجليل
أشرقتْ ـ مُذْ نزلتَ ـ مكةُ نـورا ... بـاهـراً فضلُه بخيـر نـزيـل
شكَـر اللهُ سعيك، اليـومَ فُزنـا ... منـك بالكـامل الأغـرّ الجميـل
ليتَ أعيـادَنـا تعـود كـذا اليـوْ ... مِ سرورا، في مثل هذا القبيل
يعلم الفـرقَ من رآك بأن النـا ... س فيهمْ مَنْ ما لَـهُ من مثيـل
ودرى أنّ في الـورى ذا كمال ... ليس يحتـاج فضـلُه لـدليـل
من يَـطُل ما إليـه طلْتَ بـباعٍ ... في جميع الفنون، رحْبٍ طويل
عـزَّ أنّـا نـرى شبيهـك بحـرا ... فاض نفعاً، في شكل حَبْرٍ نبيل
للمحـلّ الجليل من رتبـة الْعِلْـ ... ـمِ، بلغتَ المقصود (عبد الجليل)
لم تَضع حكمةٌ أوت منك في وا ... سـع صدرٍ بهـا حفيٍّ كفيـل
حُزتَ أقصى العُلى بهمّة شهمٍ ... ليس بالعيِّ، لا، ولا بالكليل

---

(١) القَبول: الأولى بمعنى ريح الصبا، والثانية بمعنى الرضا.

(٢) في الأصل: (أبرّ بالله من الحج).

لو تشاء الصعودَ ما قصّرت دو	ن تَـوطّيك هـامـةُ الإكليـل
لم تدَعْ أن جمعتَ بين خلالٍ	طيبـاتٍ، وبين مجـدٍ أثيـل
لا عـدمناك، فيك ما هو مُغْنٍ	كيفما رام سائـل عن بديـل
دم عزيزَ الجناب في ظلّ عيشٍ	من وليّ الإنعام، خفْضٍ ظليل

ـ ٢٢ ـ

وقلت ممازحاً رسلان أفندي، وقد خرج من بيروت إلى عاليه، قاصداً وداعنا حين سفرنا إلى الشام سنة ١٣٢٢ هـ:

في سكّة الشام من بيروت عارضني	بـدرٌ بـأحسن لفظ منه حيّـاني
سألته عن كريم الاسم أومأ لي:	أن اسمه ما له في الذكر من ثان
فقلت: ذلك توفيق، وأنت بـه	أحرى، فكن يا رَشاً فعّال إحسان
نرجوك لَوْ لدمشقَ اليومَ تصحبُنا	فضلاً ومَنًّا، وتحيـي روح ولهان
فقال: قَبْلَك صبٌّ هام فيّ هوىً	من أهل بيروتَ ذو قدْرٍ، وذو شأن
رَسْلانُ دمعٍ على الخدين، مفتَتَنٌ	بي، لا أفارقه، يدعى بـ (رسلان)[1]
فقلت: ذلـك مَعْنـا لا يفـارقنـا	وافٍ بصحبتنـا، يا خيـر إنسان
فمذ وصلنا إلى (عاليه) فـارقنا	ذاك المليـح، وعنّاني بـأحـزان
فانقضّ (رسلانُ أفندي) كالعُقاب على	توديعنا، ومضى في الحال والآن
فرام يعتبه[2] الأصحاب، قلت لهم:	هيهات ينفع لوم المغرم العاني
فلا ملام على صبٍّ تمنّـع من	وصلٍ، ومحبوبُه وافٍ له، دان

ـ ٢٣ ـ

وقلت، وقد اجتمعنا في دار رسلان أفندي ببيروت ليلاً، وبها والي بيروت ووجوه من أهلها، وقد أزهر المحل بكثرة الأزهار والأنوار، فطلب والي بيروت أن أقول شيئاً في ذلك، فقلت:

(١) رسلان: الأولى بمعنى مرسل ـ على غير قياس ـ والثانية: اسم صاحبه.

(٢) يعتبه: يعتب عليه، وقد جاء بها على غير قياس أيضاً.

الـورد ينبئ ، والأزهارُ تخبـرنـا بأن صاحبها ـ لا شك ـ ذو لُطْفِ
إذا رأى صورة الوجه الجميل بدت لم يستطع لهوًى مكنونه يخفي
زَهْرُ الرياض بديعٌ في النهار، وذا في الليل أبدعُ، في شكل، وفي عَرْف
زُهْر المصابيح أبدت حُسنَه، وأتت زُهرُ الوجوه به في أحسن الوصف
لا زلتِ يا دار (رسلانٍ) بأهلك في أمْنٍ، ودمتِ لِفَوْتِ الطَّرْف[1] للطَّرْف

ـ ٢٤ ـ

وقلت، مهنئاً محمد باشا العظم، حين وافاه وسام البِرِنْجي العثماني[2]:

عـزَّ سلطاننا، وجـلَّ مقامـا وسمـا هـامـةَ السِّمـاك، وداما
بالبرنْـج العثمـان منـه تَهنَّ وارْقَ ما شئتَ في المعالي دواما
زادك الله يـا محمـد بـاشـا رتبـاً منـه دائمـاً تتسـامى

ـ ٢٥ ـ

وقلت، مؤرخاً ورود النيشان العثماني المرصع لابن سيّدْنا الشريف محمد عبدالعزيز بيك بن دولَتْلُو سيدْنا الشريف عون الرفيق باشا، سنة ١٣٢٠ :

سلطاننـا (عبد الحميـد الثاني) لا زال منصـوراً مـدى الأزمـان
ودام مُـلك الـملِك الـمُعـانِ (عون الرفيق)، صاحِب الإحسان
سيـدُنـا، ونجـله ذو الشـان والنسبِ السـامي إلى عـدنـان
(محمـد عبـد العزيـز) الباني لـه أبـوه: أرفـعَ البنيـان
مـذْ فـاز بـالمرصـع النيشان هـنّأتـه بـأجمـل التهـاني
والسعـدُ والـيُمْـنُ يؤرخـان: مقـامه المـرصـع العثمـاني

١٨٦ + ٤٣١ + ٧٠٢ = ١٣١٩

(١) الطِّرف: الكريم من الناس والخيل.
(٢) البرنجي: لفظة تركية تعني الدرجة الأولى.

- ٢٦ -

وقلت:

يا لَرَوضٍ مشرقٍ بالمنى، مزهرٍ، جاد عليه الغمامْ
شرّف الخلُّ، وزار الهنا وشدا القمري به، والحمام
كل غصن حين وافى انثنى يلثم الأرض لذاك القوام
أخجل الزهرَ الدنيَّ الجنَى ثغرُها الباسم، باهي النظام
غُضَّ يا نرجسُ، واحذر رنَى طرفِها المزري برشق السهام
من رأى غُصْناً مشى، ليناً مثلها، والزهرُ فيه تمام
جلَّ من بالحسن ذا أحسنا يا منَى النفس، وكلّ المرام
ما رأينا مُشبِهاً في الدُّنَى أو مثيلاً لك بين الأنام
فرصة جاد بها دهرُنا لم أخَلْ أحظى بها في المنام
سمحتْ بالوصل يوماً لنا غادةٌ تُخجِل بدر التمام
في حديث طاهر بيننا وعتابٍ مثل صافي الغمام
جعلتْ قلبي لها مسكنا وعليها تم حسن الختام

- ٢٧ -

وقلت، مشتاقاً إلى الشيخ عبد الحفيظ القاري، الطائفي[1]، وقد طال مكثه بالأستانة سنة ١٣٢٠:

---

(١) عبد الحفيظ القاري: هو عبد الحفيظ بن عثمان بن محمد بن عثمان، بن عبد اللطيف القاري، الطائفي، درّس بمكة والطائف. من مؤلفاته (جلاء القلوب بمناقب أبي أيوب الأنصاري) - مطبوع، فرغ منه سنة ١٢٩٨، وكانت له صلات كثيرة بعلماء عصره، وسافر إلى مصر وتركيا وغيرهما. وكان لأسرته دور كبير في العلم والمال بالطائف، حتى قيل. (السماء للباري، والأرض للقاري) وكان حياً حتى عام ١٣١٩ هـ (تاريخ الطائف - مناحي القثامي. ص ١٣٢ مطبوعات نادي الطائف الأدبي).

من ذا ـ فديتك ـ يا عبدالحفيظ إذا ما غبتَ، يملأ عيني حين ألقاه .؟
تغيّر (الطائف) المأنوس بعدك عن أوصافه الغُرِّ، حتى خلته ما هُو
هل كل قارٍ كقارينا الأديبِ له لفظ يباهي نقيُّ الدرّ معناه .؟
طال البعادُ، كفى يا نورَ بلدتنا فالصبر بَعْدك منّا شان مرآه
فأسأل الله إسعافاً بقربك في حالٍ يسرّك بعد البُعْد عقباه

ـ ٢٨ ـ

وقد أجاب الشيخ عبد الحفيظ المذكور على القصيدة المذكورة بأبيات لمن أرسلت في طرفه، وهو الأخ عبد الرحيم قاضي. وقد شطر الأبيات المذكورة: الشيخ سعيد العطار الدمشقي، وشطر التشطير أيضاً: الشيخ محمد عارف الدمشقي، الحسيني، فطلب مني الأخ عبد الرحيم قاضي جواباً يتضمن مدح الكلّ، حيث إن الأبيات المذكورة صارت عند الشيخ عبد الحفيظ في حيز القبول، ووصَل عبدَ الرحيم قاضي بصلة من الدراهم، فقلت:

وصلتْ أبياتُك الغرّ التي أوجبت شكري دواماً، والصله
فلعمري أنت أحْرَى من له رحمٌ موصولةٌ خيرَ صله
كل شيء دون أن ألقاك في صحة، ليس يساوي بَصَله
إن داراً أنت مشتاق لها شفّها الوجد حقيقا، والوَلَه
ورجالاً تَتمنى قربَهمْ لك ـ شوقاً ـ ردّ كلٌّ أمله
أبلغا مني سلاماً كاملاً راقني تشطيره، ما أفضله .!
وأديباً شطّر التشطير من كل معنى شاهدٍ بالفضل له
يا (سعيد) الاسم والطالع، دُمْ، وارْقَ يا (عارفُ) مَرْقى الكَمَله
من يفي لي لائما كفيكما نائباً عنيَ ألفاً مُكْمَله .؟

وقلت، مادحاً ومعاتباً أخي وصديقي: سعد بن محسن الحيدري، المدنـي، الحربي، سنة ١٣١٩:

ألا هل بقي لي في الهوى قدم تخطو ... وفَوْديَ من وقع المشيب به وَخْط
وعهدي به والليل مُرْخٍ سدوله ... على جانبيه، مثلما انسدل المِرْط
فما قرّ حتى عادَ يعدو مشمِّرا ... جلابيبَهُ، والصبحُ من خلفه يسطو
وهل روّع البيضَ الغواني كعارضٍ ... تعرّضه فجرٌ من الشيب مُنْعطٌ[١]
فقدْر الذي لاح المشيبُ برأسه ... لدى كل سوداء الغدائـر منحط
وما أعلق العِينَ الظبـاءَ كوفـرةٍ ... منشّرة الضَّفْرين[٢] ما عابها شمط
يتيـه بها غضُّ الشبـاب تـدلُّـلا ... على كل من في وَحْفها[٣] يَسبح المشط
فقل لقرين الشيب: ما أنت والتي ... توفّر في أبهى الجمال لها القِسط. ؟
ومدّ عليها الحسنُ فضـلَ ردائه ... وباهى نقيَّ الدرّ من ثغرها سمط
وإيـاك لا يغـررك لينُ قـوامهـا ... فإن من القامات ما يُنْبت الخَطُّ[٤]
ممنّعة، مِنْ دونها البيضُ شُرّعا ... حـذاءَ خباءٍ طنّبتـه القنا المُلْط
عقيلة قِـرْم لا يُهـدّم حــوضُـه ... كريمٍ، ولا يرويه إلا دمٌ عبط[٥]
أمَنْ بَرَتِ الأيامُ نَحْضَ[٦] ضلوعه ... ومرّ عليه الجوْرُ في العُمْر، والقِسطُ
وقــاوم أعبـاء الليـالي بغـاربٍ ... صلى نِيِّه[٧] الترحالُ، والشيلُ، والحطُّ

---

(١) منعط: منشق.
(٢) الضَّفْرين: تثنية ضَفْر، وهو كالضفيرة: كل خصلة تضفر على حدة.
(٣) وَحْفها: شعرها الأسود الكثيف.
(٤) الخَطّ: بلد قريب من الأحساء. مشهورة بالرماح.
(٥) دم عبْط: طريّ.
(٦) النحْض: اللحم المكتنز.
(٧) النّيّ: بالفتح والكسر: الشحم، والسّمن.

ومـارستِ الأيـام منـه مجـرّبـا فلم يطغه خصب، ولم يُرْغِه[1] قحط
وجنّب عن غي الشبـاب وأهله فلم يلْوِ لِيتاً منه قرط، ولا عَلْط[2]
كمن ظلّ في خفضٍ من العيش مترفٌ يَشُق عليه الرحْلُ، ما مسه ضغط
يبيت بعيدَ الهمّ عن كل همـة بصاحبها في شامخ المجد تشتط
منـاه سماعٌ لـلأغـاني، وقهـوةٌ معتّقة في عهد (سابور) إسفنْط[3]
يرى دعوة الداعي إلى الأكل مغنما وإن ناب مكروه عن الجار يلتط[4]
فما تبتغي مني العذارى وفاحمي تشعّل شيباً مثلما اشتعل النفط.؟
وإني وإن طـارت غرابيب لمّتي فمن أشهب البازي لها خلَفٌ غبط[5]
وذا أدبي في مرتع الفضل راتع وذا قلمي في مربع الفصل يختط
وإن كنت ممن أصلد الـزنْـدَ حـظُّه
وأورى بكف النُّكْس ذي الحظوة السُّقْط[6]
فإن زمان السوء أحمق، معجب بكل أغمّ الوجه، في عقله خلط
ومن نكد الأيام أني أرى العلى بأيدي رعاع، لم يعينوا، ولم يُنْطوا[7]
ولم يبقَ مِن أهلِ المروءةِ لي سِوى صديق كريم النَّجْر، في كفه بسط[8]
أخي همة، وافي الأناةِ، ضبارمٍ[9] قَدُومٍ على نيل المنى، عزمُه سلط

---

(١) يُرْغه: يذله، أو يغضبه.
(٢) اللِّيت: صفحة العنق، مثناه لِيتان، ويجمع على أليات. والعَلْط: سواد تخطه المرأة في وجهها تتزين به، جمعه: أعلاط.
(٣) إسفنط: بكسر الفاء وفتحها، المطيب من عصير العنب، أو هو أعلى أنواع الخمرة، سميت بذلك لتطييبها، أو لأن الدنان تسفّطتها اي تشربت أكثرها.
(٤) يلتط: يستتر.
(٥) الغرابيب: جمع غربيب، وهو الشديد السواد.
(٦) النّكس: الضعيف، واللئيم. والسُّقط: ما يتطاير من شرر عند قدح الزندين.
(٧) ينطوا: يعطوا، بقلب العين نونا، وهي لغة قديمة تسمى: الإنطاء.
(٨) النجر: الأصل.
(٩) الضبارم: القوي الجسم، من قولهم: ضَبّر اللحمُ، إذا اكتنز وامتلأ.

سريٌّ إذا ما في الملمِّ هـزرته ... هزرتَ به العضبَ الذي ما نبا قَطّ
فإن تصفُ لي يا سعد سعد بن محسن ... رفيقاً، فدع سعد العشيرة ينغط
وإن سلمت لي منـك نفس كـريمـة
تساوَى الرضا عندي عن الدهرِ، والسخط
فملء يميني منك يملأ ناظـري ... سروراً، دنتْ بي أم تباعدت الغُبط [1]
على أن بي يا سعد شوقاً إلى اللقا ... وأقلقني ما بي من البعد يمتط
وكانت تُقِر العينَ منك رسائـل ... فألثمها من قبل أن يُقرأ الخط
تحل من السوداء منيَ في الحشا ... وفي مقلتي يخلو لها المنزل الوسط
فيا عجباً هل غيّب الحظُّ خطَّها ... عن العين نسياناً أم اعوجّ بِيْ الخط. ؟
لعمرُك لم يملأ من الناس مقلتي ... سواك، ولو أمسى له الحلّ والربط
فحسبيَ منك الماجد الشهم، مَنْ إذا ... تعدّى زمان، فهو لي وحده رهط
فمثلك من يُقْنى جميلُ إخائه ... بأخلاق سامٍ ما تردى به هبط
ومن يك رامَ السبق حين تقارنت ... هوادي العراب الجُرْد [2]، تمَّ له الشرط
فـديتك سبّـاقاً إلى كـل غـايـة ... إذا مدّت العلياء عنقاً بها تعطو [3]
وكم لك عندي من صنائع أعجزت ... لكثرتها من أن يقـوم بها ضبط
أجلّك أن تصغي لـواشٍ مموّه ... يحاول أن تسعى بسحر له رُقط
وما الناس إلا أن تجـرب أولا ... فإن خانك المسرى فما ساءك الخبط
عداك الردى، إني الذي من علمته ... تطايرت الواشون عندي أم انحطوا
نلِ المجد، واحرز ما تشاء من العلى ... ودع حبل قلب الحاسد الوغد ينقط
ودونـك بكـرا زفّهـا لـك واثق ... بودّك في عِقْد المديح أتت تخطو

---

(١) الغُبط: جمع غبيط، وهو ما يوضع على ظهر البعير، لتركب المرأة فيه، كالرحل للرجل، والمقصود هنا وسيلة الرحلة أو الرحلة نفسها.

(٢) هوادي العراب الجرْد: سوابق الخيل الضمّر.

(٣) تعطو: العطو هو مد العنق.

بـأوصافـك الحسنى تتيه تحلّيـا ... ومن دونها زُهْر الكواكب تنحط

ودُمْ غيـر منقوص لأبنـاء حيدر ... ولي، يا وحيدا كسبُه المِدَحُ الفرْط

ولا زال ناديك الرحيب مطالعاً ... بطالع سعد منك تُزهَى به البُسْط

وبلغتَ في النجل السعيد (أبي السعو ... د) ما ترتجي لا يعتري عزَّكم كشط

ـ ٣٠ ـ

وقلت، مشتاقاً لأحد أبنائي، وكان صغيراً، حين نزلتُ إلى جدة من مكة المكرمة، وذلـك مع أميـر مكة المكـرمة سيـدنا الشـريف عون الـرفيق، سنة ١٣١٩ هـ:

أذاب الفـراقُ فؤادي انتحـالا ... غداة النوى طوّحت بـي انتقالا

وجـادت شؤونيَ حتى كـأنـيَ ... منهـا أثـرت سحـاباً ثقـالا[١]

أيصفو ليَ العيش مِنْ بَعْد مَنْ ... شجـاني وأشغلنـي فيـه بـالا

وشـتت فـكـريَ حتـى غـدا ... لديَّ الحجى في خيالي خبـالا

فيـا ليت مـا صغـرت سنُّـه ... لكي يعلم الحالَ بي كيف حالا

ومَنْ مثلُه مـا درى مـا دهى ... أبـاه من الهـمّ فيـه، وكـالا

وهـيهـات يـعلم ذو سبعـةٍ ... شهـورا حـوادثَ دهـر، تـوالى

كـفى تـعبـا نـبْـتُ أسـنـانـه ... عليـه، ومـا أوسعتْـه انتحـالا

ومـحـتـمـلٌ أنـهـا عـنـده ... شـوائبُ ممـا يُشيب القـذالا

تصـاغـر عمـراً عن الفهم أو ... يميّـز في النـاس عـمًّا وخـالا

فمـا ضـربتْ كفُّـه في الأمـو ... ر، ولا أودعَ السمعَ قيلا وقالا

كفـرْخ القطا تحت صـدرِ امِّـه ... يـراهـا أعـزّ عـليـه منـالا

فـأيسـرُ شيءٍ علـيـه البُكـا ... إذا مـا تشوّق أو مـا استقالا[٢]

---

(١) شؤوني: دموعي.

(٢) استقالا: كذا في الأصل.

سَكُونٌ إلى المهد لم يستقلّ وقوفاً، فكيف يقيس النعالا.؟
ومَنْ مُهْره مَهْده لا يرى بأن به يستثير الرئالا[1]
وذو ساعدٍ إصبعٌ، دقّ، لا يساعده حين يبغي النضالا
ومن ضعفت نفسُه قدرةً تعاجزَ عن أن يسلّ النصالا
ومن لم تقُدْه خطاه إلى أمانيه، كيف يقود الجِمالا.؟
فما طال، حتى يطولَ العلى، ولا اشتدّ، حتى يشدّ الرحالا
أناديه شوقاً وإن لم يُجب وأدعوه حبًّا، وما قطُّ قالا
وأهْدي غراماً سلامي له وأكْثِر في الكُتْب عنه السؤالا
وأنشق ما هبَّ ريحُ الصَّبا نسيم شذى مكةٍ ما توالى
حنانيك لولا الحياء الذي يُثيب إلى الرشد، خضتُ الضلالا
أما هو من كبدي فلذةٌ أحس لها في فؤادي اتصالا.؟
أما هو بعضي، ومن مهجتي، دمٌ مذ أراد الإلّه استحالا.؟
يخيّل لي مرّة ضاحكاً وطوراً كأن بكاه تعالى
ويدنيه طيفٌ إلى مضجعي فيألف منه خيالي خبالا
أسامرُ فيه نجومَ الدجى ويغدو[2] نهاراً مع الآل آلا
فما شاقني في سواه، ولا أمال فؤاديَ: لهوٌ، فمالا
أحنّ له ما بقي لي حشاً وما لقيَ الشوقُ مني مجالا
فقد فقدتْ مقلتي نورَها كما فقد القلبُ منه الوصالا
وكدّر عيشي ادّكاري له فأنكر ذوقي النميرَ الزلالا
فعندي ائتناسي به ساعةً تعادلُ في العمر عمراً طَوالا
ولحظةُ بُعدٍ من العمر ما أراه لديَّ، أراها نكالا

---

(١) الرئال: جمع رَأل، وهو فرخ النعام.

(٢) في الأصل: وأغدو.

فيوميَ من بُعْده مظلمٌ ... وليليَ من بَعْده بي استطالا
على (الحسن)[1] الصبرُ لمّا شدد ... تُ رحليَ أزمع عني ارتحالا
وعزّ عزائي فلا أستطيـ ... ـعُ أكتم وجداً، به الدمعُ سالا
وكنتُ أظن إلى (جُدّةٍ) ... نزوليَ: أمراً بعيداً مُحالا
أينزح عن (مكةٍ) من رمى ... بها مُهجاً تتلظى اشتعالا
وأوصالَ قلبٍ ضعافَ القُوَى ... وأفلاذ كبْدٍ نحافاً نحالا
فيا ليت أيدي النوى قُطّعت ... وما قَطعتْ من وصال حبالا
فكم شتّتتْ شمل صبٍّ غدا ... لفرقته يتمنى الزوالا
فأسألُ من ببعادي قضى ... يغيّر حالي إلى الخير حالا
ويجمع شملي بمن ظلَّ لي ... أعزَّ - وربي - أهلاً ومالاً
ويرزقه العمر في صحة ... ورُشدٍ، ويُعظم فينا النّوالا

- ٣١ -

وقلت، في طرْخان باشا، على لسان بعض الناس، وقد سألني مدحه حين ولي نظارة الأوقاف سنة ١٣٢٢ هـ:

لسلطانِنا الشهم عبد الحميد ... عظيمُ مزايا بما لا مزيد
وأنظارُ لطفٍ إذا لاحظتْ ... من الناس شخصاً، دُعي بالسعيد
هنيئاً لـ (طرْخان باشا) الهما ... م، سميرِ المعالي، الوزيرِ الوحيد
بأنظار دولة سلطاننا ... عليه بمنصب خيرٍ جديد
فلله درّك من عاقلٍ ... يدير الأمورَ برأيٍ سديد
ويسمو إلى المجد في همّةٍ ... وخُلْقٍ رحيمٍ، وعزمٍ شديد
لأوقافِ أمة خيرِ الورى ... توفّقتَ يا خير فردٍ رشيد

---

(١) الحسن: اسم ولده.

فأضحت نظارتها في هناءٍ ... تَرى يوم وُلّيتها يوم عيد
فعش طيّب النفس فيما تحبّ ... مُعاناً بعون الحميد المجيد
ودُمْ في عناية سلطاننا ... بذكرٍ جميل، ووصفٍ حميد

- ٣٢ -

وقلت، مؤرخاً ديوان بستان (حوايا) بالطائف، وقد عَمره ذو غالب في عام ١٣٢٠:

(حوايا) على وَفق ما في الضمير ... هواء لطيف، وعذب نمير
وروض حريّ به الطائف الأ ... نيس بأن يتباهى، جدير
فناهيك قصر به مُشرِف ... مُطلّ على بركةٍ كالغدير
حكى هالةَ البدر غرْسٌ على ... جميع جوانبه مستدير
تمايلُ أشجارُه من سرور ... وتنفح أزهاره من عبير
فما قصرُ (غمْدان) في جنبه ... وماذا (الخورنقُ) بل و(السدير).؟
فـ(إيوان كسرى) بقفرٍ غدا ... وهذا سما بين روضٍ نضير
أشاد[١] بناه كما ينبغي ... (بنو غالب) آل طه البشير
وقابله السعد عند التمام ... فأرّخته: هل له من نظير.؟

١١٦٠ + ٩٠+٣٥+٣٥
= ١٣٢٠

- ٣٣ -

وقلت، إجابة لطلب حادي ركب أهل مكة المكرمة، ليقرأه عند دخوله المدينة في باب السلام:

حِمَى شفيعِ البرايا منتهى القصْدِ ... وبابُ معروفه المعروفُ بالرِّفد

---

(١) أشاد: الصحيح لغوياً شاد.

نعم الكريم الذي مَنْ أمَّ ساحته ... وافى إلى بحر جودٍ واسع المدّ
هذا الحبيب عظيم الجاه، أشرف مَنْ ... بشراه مطلقةٌ بالبشر للوفد
من أمَّه فاز منه بالقبول، ومَنْ ... يقصدْ سريًا عزيز النَّيل لا يكدي
ها نحن وفدُك فامنحنا رضاً غدِقا ... ياغيث جودٍ سوى جدواه لا يجدي[1]
أنت الشفيع الذي يُرجى إذا انقطعت ... وسائلٌ، ودنا كلٌّ إلى حد
فاشفع لنا يا شفيع المذنبين غداً ... يومٌ عبوس، وهول حائل مُرْدِ
شوقٌ إليك رسولَ الله جاذبنا ... فجازت البيدَ أحرارٌ بنا تخْدي
نفسي فداك، فإن نلنا القبول فقد ... فزنا، وذلك أقصى غايةِ القصد[2]
عليك والآلِ والأصحابِ ما طلعت ... ذُكاء، أزكى صلاةِ الواحد الفرْد

— ٣٤ —

وقلت مخمساً:

يا من تمايل في ثوب البها تيها ... وجلّ في الحسن تمثيلا وتشبيها
نفسي تؤمّل أن ترضى فترضيها ... (رضاك خير من الدنيا وما فيها
وأنت للروح أهنا من تمنّيها)

عيني دَماً بعد ما فارقتَها ذرفتْ ... والنفس بعدَك عن كل الورىٰ انصرفت
يا سيداً في الوَفَا أخلاقُه اختلفت ... (الله يعلم أن النفس قد تلفت
شوقاً إليك، ولكني أمنّيها)

---

(١) يقصد غيره ﷺ من عظماء البشر. أما الشفاعة فإن الصواب أن لا تطلب من النبي ﷺ مباشرة، وإن كانت هي عطية الله له، وإنما تطلب من الله تبارك وتعالى، فيقال ـ مثلاً ـ: اللهم شفع فينا نبيَّك محمد.

(٢) زيارته ﷺ تأتي تبعاً لزيارة مسجده الشريف، وتلك حسنة يرجى قبولها من الله.

وقال، في الخط الحديدي الحجازي:

سلطاننا عبد الحميـد الثاني ... لَـزَمانـه فخرٌ على الأزمـان

جَلَبت مزاياه القلوبَ، وأوجبتْ ... شكـراً لـه يُتلى بكـل لسان

فلْيُهنِـه خط الحـديـد مَسـرّةً ... بـدنـوّه ووصـولـه لـ (مَعـان)[1]

وليُهْن أمـةَ (أحمدٍ) أنّى دنـوْا ... من كل قاص في البلاد ودان

بُشراه بالفـوز الذي أعْيَى على ... أن لا يقـوم بـه سـواه ثـان

ومفـاخرٌ مـا نـالهـا أحـد سـوا ... ه، وهل سواها ممكن بمكان.؟

هِممُ الملوك تقاعست من دونها ... ولوَ انّ فيهـا سـاعـدَ الثقـلان

هذي معالم (طيبةٍ)، يا حبذا، ... قَرُبتْ، وهذا البيتُ ذو الأركان

فكـأنهـا والشـامَ شيءٌ واحـد ... متجـاوريـن تجـاوُرَ الإخـوان

* * *

يا حاديَ (الوابُورِ) يطوي البيد بالأ ... حباب، لا يا حـاديَ الأظعان

بالله إن جزتَ (العقيق) فقف على ... (سَلْع)، وسل عمن هُمُ بجِنان[2]

وإذا بدا لك (بطن فخٍّ)[3] عامدا ... (بطحـاءَ مكـة) منـزلَ الخـلّان

(١) معان: البلد المعروف، الواقع الآن في الحدود الأردنية الجنوبية، غير بعيد كثيراً من تبوك.

(٢) العقيق: أكبر وادٍ بالمدينة. قالوا: وفي الجزيرة العربية خمسة أعقّة، منها: عقيق المدينة. وسلْع: جبل كان غربيّ المدينة، وهو الآن جزء منها، وعلى ضلعه الغربي يقع مسجد الفتح، التاريخي، ولكن هذا الجبل واقع الآن تحت رحمة وحشية الآلات الحديثة التي أخذت تحتوشه من هنا وهناك. وليتها تجد من يوقفها.!

(٣) بطن فخ: واد بمكة، وهو وادي الزاهر، وتعرف الآن في مكة بالشهداء، ومما قال بلال بن رباح رضي الله عنه وهو بالمدينة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً ... بفـخٍّ، وعندي إذخِـر وجليل.؟ =

فاقْرَ السلام أحبةً سكنوا (الصفا)[1] وصفا لهم قلبي الوفِي، ولساني

سكك الحديد وإن تعالى ذكرُها بين البـريّـة من بني الإنســان

ليست تعادل سكة الحرم الذي بحمــاه تُقْصـد رحمــة المنّـان

دُورٌ يقــود قـطارهــا متقــدم لا بـالضعيف قوىً، ولا بالواني

يبدو بها كالريح أو كالسيل، أو كالبرق، أو كالهاطل الحنّان[2]

فكـأنــه وكـأنهــا من خلفــه أُطْم على سطر من البنيـان[3]

لَسمـاعُ صـوتِ زفيـره وصـفيـره أشهـى على سمعي من الألحان

ما مُغرمٌ يشكو الصبابة والجوى متــوقــد بـفـؤاده الــولـهــان

يـوماً بـأشكى منه نـاراً أُجِّجت في جوفه، رَفعتْ سحاب دخان

يتنفّس الصّعـداءَ منها، والمُنَى في ذلك النَّفَس الشجِي الحرّان

إني رحلتُ إلى (معانَ) به على مــا أرتجي مــن راحــةٍ وأمان

في رفقة وفدوا من الحرمين ير جـون الدعـاء لحضرة السلطان

فــوقفْت مَعْهمْ رافعين أكـفّـنـا بـالشكر للمـولى، عليٍّ الشان

متـوسـلـيـن بــأن يتـمّ جـميـله من ذا الطريق لِسيد الأكـوان[4]

ويديم دولة من لـه أجْرىَ ويبـ ـقي مُلْككم دوماً، بني عثمان

\- ٣٦ -

وقلت، في خليل باشا والي بيروت:

= وفيه دفن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ونفر من الصحابة الكرام، كما دفن فيه الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجمع من أصحابه وآل بيته، بعد قتلهم في الوقعة التي حدثت بينه وبين العباسيين سنة ١٦٩.

(١) الصفا: هي المعروفة للحجاج والعمّار.

(٢) كذا بالأصل، ولعلها: الهتان.

(٣) الأطم: الحصن، جمعه آطام، وقد اشتهرت بها المدينة في العصر الجاهلي.

(٤) إنه يسأل الله أن يتم السلطان جميله بتوصيل الخط إلى المدينة.

(خليل باشا) أدام الله دولته مذ حلّ (بيروتَ) صار الكلّ ممنونا
داعين بالخير للسلطان سيدنا وأصبح الثغر ميموناً ومأمونا

- ٣٧ -

وقلت، هذه المزدوجة[١] في حضرة الشريف الأجل: ناصر بيك بن الشريف محسن بن علي بن الشريف غالب، أمير مكة الأسبق، وذلك في عام ١٣١٨:

يا سعدُ، قصِّر في الهوى ملامي قد زاد بي في حبهمْ هيامي
واعدِلْ لروضٍ في حمى الكرام منتهزا لفرصة الأيام
عسى، عسى يُطفَى به أُوَامي

روضٌ به يجلو الشجيُّ همّهْ كأنما (قيسٌ بليلى) ضمّهْ
أو إنما الحوباءُ[٢] من (ذي الرُّمّه ومَيّة) يعتنقان ثمّه
يزكو شذاه والغمام هامٍ

لله من عيون زَهْرٍ نُعَّسِ تُزْهى لها لطفاً عيون النرجس
على غصون كالجواري الكنّس تذهب منّا بالحجا والأنفس
وترجع الأرواح للأجسام

كم فيه ما بالجلّنار يُزري وبالشقيق من صنوف الزّهر
هيهات أن تدخل تحت الحصر أنواع أزهارٍ به كالزُّهْر
أو كثغور الحُور في ابتسام

---

(١) المزدوجة: لأن تغيير القافية فيها يكون كل مرة في بيتين يشمل الصدر والعجز، والأولى تسميتها مخمّسة.

(٢) الحوباء: النفْس.

تَرْوي لنَا الريحُ زكاء الرند عن الرياحين به، وتُهدي
فتنعش النفوس مما تُبدي من طِيب نرجس، وعَرْف وَرْد
وشمٍّ قيصوم إلى خزام

ومن صنوف الزُّهر والورد ترى ما طاب مشموما، وراق النظرا
فمنه ما فتح حسنا، وسرى نسيمُ ريّاه النديُّ سَحَرا
ومنه ما أبهرَ في الأكمام

يُطربنا تجاوبُ الأطيار قبل سماع نغمِ الأوتار
في ظل ملتفٍّ من الأشجار وصوت بلبل إلى هزار
يشدو بأنواع من الأنغام

منظره خالٍ من الأكدار وعاصمٌ من سيء الأفكار
ما بين أشكالٍ من النُّوَّار وكل ما تهوى من الثمار
فيه على المراد والمرام

تغار من أفنانه القدود ومن بهاء ورده الخدود
فكلما تخطر فيه الخَوْد تودّ لَوْ أن تُنظَمَ العقود
من زهره في أحسن انتظام

ما فارقته يوماً السرّاء ولا مشتْ قطّ به البأساء
على الدوام خيّم الشفاء فكل منظر به دواء
يشفي بلا شك من السقام

يا حبذا من مربع هنيٍّ ومنزلٍ خضلِ الندَى، رويٍّ
ندى الخزامى، ذَفرٍ، بهيّ أُمْطرَ بالوسميِّ والوليّ[1]
فهو من الحسن على تمام

---

(١) ذفِر: طيب الرائحة. والوسمي: المطر أول مجيئه. والولي: الذي يليه.

يـا طيبَهـا وحسنَهـا نـضـاره   قـد فكّـك الـزهْـرُ بهـا أزْراره
وأومـأت بالطـف الإشـاره   إلى صفـا الأنس بـلا خسـاره
ولا ثـقيـل سـمـج الـكـلام

كـأنمـا الشمس بهـا اشتيـاق   قـد أذهبت بهجتَهـا الأشـواق
وشـتّـتت شـعـاعَـهـا الأوراق   فمـا لهـا في أرضـه إشـراق
إلّا سـنًـى كـنُـقَط الـغـمـام

والمـاءُ مـازال دوامـا يجـري   لسقْي هاتيك الغصـون الخُضْر
كـأنـهـا عـليـه ذاتُ أمْـر   وَهُـو بقـدرهـا الـرفيـع يـدري
لـهـا دوامـاً، لاثـم الأقـدام

تشـرب منه صـافيَ القـراح   من غيـرمـا دنٍّ، ولا أقـداح
وَهُـو بهـا يفعـل فعْلَ الـراح   من اغتبـاق منـه واصـطبـاح
حتى تُـرىَ كمحتَسي المُـدام

فـطِبْ بهـذا المنـزل الأنيـق   واشرب، وزدني، ذائبَ العقيق
من أحمر في الكأس كـالشقيق   وأخضـرٍ أهنَـا مـن الـرحيـق
(شـاهٍ)[1]يسـرّنـا بـلا آثـام

وغنّني بمـن بهـمْ قلبي صَبـا   من أهل (طيبةٍ)، ومن حلُّوا (قُبا)
وانظر لهذا الروض كيف حَجَبا   عني همومـاً كـان لي مَعْها نَبـا
وذاد عـنـي لـوعـة الـغـرام

في أيّ مـا تمشي به تشاهدْ   مـا دلّ أن الله جـلَّ واحـد
فـذاكرٌ، وشـاكـرٌ، وحـامـد،   وقـائـم، وراكـع، وسـاجـد
من كـل ميّاس القوام، نـامِ

---

(١) شاهٍ: هو الشاي.

وهو لعمري جنة بـ(المثّنى)[1] أطيب مغنىً في الدُّنا، وأهْنَى
نشَا على أكمل وصفٍ حسنا عليه كل من رآه أثنى
وحَبٌّ فيه منزل المُقام

إن كان في الدنيا تُرى الجنّاتُ غير الرُّكيب القرشيِّ، هاتوا
سمت به لـ(لطّائفِ) الصفات وكملت به له اللذّات
فهو له كالمسك للختام

فيا له من منزه لطيف زاكٍ، ونادٍ مزهرٍ ظريف
يُعزَى إلى ذي الشرف المنيفِ الكامل الغنِي عن التعريف
(الغالبيّ)، معتلي المقام

(الهاشميّ) الألمعي (ناصر) مَنْ لمعالي أوّليه ناصر
لا شكّ كلٌّ عن علاه قاصر فما له في وصفه من حاصر
ونعْمَ بابن سيّد الأنام

من ذا مُساجلُ أخا انتماء إلى الملوك من بني الزهراء
من وطّؤوا العلياءَ للأبناء وشرَفُ الأبناء بالآباء
ذلك فضلُ الملك العلاّم

وهو الذي في قدْره تعلَّى وفي سماء سعده تجلّى
وبشوامخ العلى استقلاّ حاشا يوازَى منصباً، وكلاّ
وبيت مجده ـ لعمري ـ سامٍ

نفسٌ أبيّةٌ، وخُلْق سهل وهمّة تسمو الشُّهَى، وعقل
وفطنةٌ ثاقبةٌ، وفضل فهو لكل المكرمات أهل
بلا مُنازع، ولا مُسامٍ

يلقاك بالبِشْر سناه السافرْ ووجْهُه البدر المنير الباهر

---

(١) المثنى: محلة بالطائف عرفت بكثرة البساتين، وتنطق المثناة.

ومنطق ينسرّ منه الخاطر عذبٌ، كماء المزن، صافٍ، عاطر
في غاية الإنعام والإكرام

له اليد الطُّولَى بكل فنٍّ وكم له يدٌ بغير مَنٍّ
مع شمائلٍ حلَتْ كالمنٍّ إن قال أوفى قبلَ ما يمنّي
أكرم في البذل من الغمام

من زهرِ نظمه ونثره اقتطف وإن أتى بحكمةٍ له اعترِف
ومن بحارِه الغزيرة اغترِف وشنِّف السمع بوصفه، وصِف
شهماً من السؤدد في السنام

أما كمالُه فلا يبارَى ولا يقارنُ، ولا يجارَى
فكيف هذا مثلُه يُمارى وصيتُه بين الأنام طارا
في اليَمَنِ الأقصى، وأقصى الشام

وإن تشأ فاعرف به المشروعا واكسبْ به المقطوع والممنوعا
والْقَ به الجنودَ والجموعا واقصفْ به السيوف والدروعا
فهو الهِزَبْر عند خطبٍ طام

فهاكها روضيّةٌ بديعه تائهة بحسنها، منيعه
غدتْ بوصفك العلي رفيعه يا ليت تمّت مثلها (الرفيعة)[1]
ومن يلمْ فيك (أبا عصام)

صداقُها من فضلك القبولُ فاصغ لها، واسمع لما أقول
فأنت قصدي، والمنَى، والسُّول ، والآلُ دوماً مَدْحُهم موصول
بما أتَى في مُحكم الكلام

(أبا محمد) إليك عذري فيما زففتُ من بنات فكري
فما اقتداري في عظيم القدر وأنت أدرى بانتقاء الدُّر
والله يبقيك على الدوام

---

(١) الرفيعة: اسم بستان الأسكوبي بالمدينة المنورة.

وقلت، مادحاً عبد الرحمن باشا بيضون، رئيس بلدية بيروت، وكنت نزيلاً بداره العامرة، في شهر رجب الفرد، سنة ١٣٢٢ :

قل لـ(ـعبد الرحمن باشا) سلام ... دم عزيزاً، حاشا- وربي- تضامُ
أنت من في (بيروت) شمس أضاءت ... ومِنَ النــاس أنت نعم الهُمام
لـك خُلْق به خُصصتَ عـظيم ... ومـزايا سمتْ، فليس تُسـام
ونجـارٌ حـاذى الكـواكب قـدراً ... وجـدودٌ في الأكـرمين كـرام
من يبـاري عـلاك يقـطع عمن ... دون مـرقـاه رتبـة لا تـرام
شـرّفتنـا الأيـام أنـا اجتمعنـا ... بك، أو شـرُفتْ بـك الأيـام
نعم داراً تـأسس الجـودُ فيهـا ... كـلّ شيء- كما نحب- تمام
لم يفتْها الجميل من كل وصفٍ ... في جميـع الأمـور فيه انتـظام
كعبـة الضيف من يحـجّ إليهـا ... لم يفـارقه مـا تمـادى احتشـام
حفّنـا السعدُ إذ بهـا قد نـزلنـا ... وعلى مـا نـروم وافَى المــرام
(آلَ بيضـون) كلكم من قـديم ... وحديثٍ، بِيضُ الوجـوه، عظام
مجدُكم ثابتٌ لدى الناس طـرًّا ... وعُـلاكـمْ بـه أقـرَّ الأنـام
قـرَّ عيناً (أبـا جميـلٍ) بـأنجا ... لٍ على المنهج القويم استقاموا
فـ(جميل) الصفاتِ منهم نجيب ... في مـزايـا كسبِ الثنـاءِ إمـام
طيّب الذكر، مفرد الفعلِ، شهمٌ ... عنـه في المدح تعجز الأقـلام
و(نجيب) أخـوه أيضـاً جميـل ... فلكـلٍّ قـدرٌ سمـا، ومقـام
و(وفيق) جميلُ وصفٍ، نجيب ... فَـرَعَ المجـد وهـو ثَمّ غـلام
وأبـو الكلِّ ذاك في أيِّ وصفٍ ... سـاد معنـاه، ليس فيـه كـلام
دام في خيـر نعمـةٍ، وأمـانٍ ... من وليِّ الإحسان دوما، وداموا
وبقُـوا ما بمـدحهمْ فـاح طيبٌ ... وبمسـك الـختـام تـمَّ ختـام

\- ٣٩ -

وقلت، في قلعة (بعلبك) العجيبة لما رأيتها:

يا قلعة في (بعلبك) قديمة وسعتْ جميع الناظرين عجابا
لم يُبقها الدهرُ الخؤون محبّةً بل قصدُه أن يُتحف الألبابا
كي يعلموا أن الأُلى من قبلهم هم فتّحوا لعلومنا الأبوابا

\- ٤٠ -

وقلت، في (نُذْرة مطران):

يا حبذا نظرة مالت إلى (نذْره)
في مجلس فوق (رأس العين) ذي نضره
يا (آل مطران) لازلتمْ نجومَ عُلاً للدهر، يُحيي بكم دوْمَ الدُّنى ذكره
أخلاقُكم لم تدَعْ من بيتكم أحدا إلا وأعلت له بين الورى قدْره

\- ٤١ -

وقلت، هذه القصيدة أرثي بها دولة المرحوم أمير (مكة المكرمة) سيدنا وسيد الجميع، الشريف (عون الرفيق) باشا، يوم وفاته، وذلك في أربعة عشر من شهر جمادى الأولى، من عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وعشرين، وكنت من أخص محاسيبه، أحسن إليّ كثير الإحسان، فرحمة الله عليه تترى كل وقت وآن:

إلى الله مرجعنا والمرَدْ وليس سوى الله يبقى أحَدْ
ولا بدَّ للشيء من غايةٍ إليها المصير، وللعمر حَدْ
وكلّ زمان له دولةٌ فسبحان من بالبقاء انفردْ
وما هذه الدار إلا ـ كما علمت ـ غرور، وكدْحٌ، وكد

مـحـالٌ نُـكـلِّفـهـا راحـةً ... لنفسٍ بهـا خُلقت في كبَـدْ
إذا لم يكن غيرُ حادي الردى ... بهـا حـاديـاً، لكفَى من نكـد
فتبًّـا لـدنيـا عجـوزٍ مضتْ ... قـرونٌ على عُمْرهـا لا تُعَـد
قـرينـةُ سـوءٍ، وبئس القـريـ ... ـنُ منها المشُوب بـداءِ الحسد
إذا مـا أرادت تـغـرُّ الـفـتى ... أتتـه بـأبهى محيًّـا وخَـدْ
ومـالـت بـزينتهـا نـحـوه ... تميس وتخـطـر في حسن قـد
فتنـظر عـن عيـن ريمٍ أغَنٍّ ... وتَبْسِـم عن مَبسمٍ كـالبَـرَدْ
وهـيهـات، دون بـلوغ المنَى ... بهـا منزلٌ دونـه النجمُ صد
وهـل في السـراب لـذي غلّة ... مـوارد يُـرْوَى بهـا من ورَد. ؟
ومُـطّلِب الشهـد من حنـظلٍ ... كمنتفـع مـن جُـفـاء الـزبَـدْ
فـأسـرعُ مـا انـقلبت لبْـوَةٌ ... من الأسدِ ولاّغة في الكبـد
جُبـارٌ جنـايتهـا لا قصـاص ... وهـدْرٌ دمـانـا لهـا لا قـوَدْ[1]
فكم غـافـلٍ سابح في هـوا ... ه، لم يستعدّ ليـومٍ أعِـد. !
دهـتْـه المنـونُ عـلى غـفـلةٍ ... فـظلَّ أسيراً بهـا في صفَـدْ
وبـات فـريـداً وحيـدا على ... بساطٍ من التُّرب مُلْقَى الجسـد
فيـا لمُصـابٍ أُصبْنـا بـه ... أذاب الفؤادَ، وأوْهَى الجـلد. !
وأعـقـبني حـسـرة أوقـعـتْ ... بـروحي قبـل يُـدقّ الـخلَد
فليس يفي الـدمـع لـو أنـه ... دِمـاً، وفـؤاديَ لـوْ قـدْ وَقَـدْ
ولـيس بمـعْتـبٍ الـدهـرَ مَنْ ... قضَى العُمْـرَ يبكي على مفتقَد
فللَّـه من غـوث أمـن ثـوى ... ومن غيث جـودٍ وجـدوى فُقِـد
ومن طـودِ مُلْكٍ عـظيم أزيـ ... ـل وبيتٍ من المجد عالي العَمَد
ومـن مَلِكٍ لـم تلد مثلَه اللّـ ... ـيـالي وحـاشـا لهـا أن تلد

---

(١) جُبار: هدَر، وهو ما لا قصاص فيه ولا غرم. والقوَد: القصاص.

إذا همّ بـالأمـر لم يكتـرث ... بـعـقـبـاه دون بـلوغ الأمـد
فـلا طـائـش السهم أنّى رمَى ... ولا ثُلِم العضبُ مـهـمـا جـلَد
لـه الحكمُ، أنفذُ من عـامل، ... وأمضى من الصـارم المنجـرد
تـذلّ الأسـود لـه هـيـبـةً ... وتخشاه شمُّ الـرواسي، تُهَـد
فسيـح الـرحـاب، عليٌّ الجنا ... ب، ضخمُ الدسيعةِ[1]، قِرْمٌ، أسد
أميـرُ البلاد الـتي شُـرِّفتْ ... ببيت الإلـه العليّ، الصـمَـدْ
فيـا مِلكـاً قـد قضى عُمْـرَه ... فجـاور حَبْرا[2] رفيـع السند
وأصبـح في عفـو مـولاه في ... نـعيـمٍ مُقيم، وعـيشٍ رغـد
كفاك عن العمر من قـد كفـا ... ك معـانـاة دهـر غشـومٍ فسد
فمـا انشـام قبلكْ بـدراً سرى ... نهاراً لبـرجٍ من التُّـرب سُدْ
ولا قبـل نعشـك نعشـاً على ... عـواتـقنـا سـار فيـه أُحُـد
فمـا عـذْرُ عينيَ إن لم تفض ... وما عُذْر أحشايَ إن لم تقد.؟
سأبكي عليك مـدى الدهـر ما ... غمـامٌ أصـاب، ورَعْـدٌ رعد
وأنعـاك مـا نعَتِ الـوُرْقُ في ... بكـاهـا هـديـلا دوامَ الأبـد
وأرثيـك شكـراً لأيـدٍ لـهـا ... عـليٍّ أيـادٍ علَتْ كـلَّ يـد
وأندب مـنـك أغـرًّا سـمـا ... بهمتـه النجم، جِـدّ وجَـد
وفي (آل عون) بني المصطفى ... تعالى به النَّجْر[3] عن كل نـد
وحسبـك فـخـراً بـآل النبيّ ... رجـوم العدى، ونجـوم الرُّشد
لقـد طبت حيّا، فـطب ميّتا ... فمـا مثلك اليوم ميت لُحِـد
وقد كنت كاسمك (عون الرفيق) ... وكـلٌّ لـه في اسمـه مستنـد

---

(١) الدسيعة: الجفنة الواسعة.
(٢) الحَبْر: المقصود به هنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، لأن عون الرفيق مات بالطائف.
(٣) النجر: الأصل.

ولـو قبـل المـوتُ منـا الفـداء   فـديناك بـالنفس، بـل والـولـد
فرحمة ذي العـرش تترى عليـ   ـك كـلَّ مساء، وفي كـل غد

- ٤٢ -

وقلت، مؤرخاً إمارة دولة سيدنا الشريف (علي باشا)، وقد حصلت له الإمارة والوزارة معاً:

إمـارة مكـةٍ حـظيت بـمَلْكٍ   (عليٍّ) شـرّف المـولى نجـاره
وهـل أحد لهـا من بعـد فَـرْدٍ   تـؤرخـه: الإمـارة والـوزارهْ
١٣٢٣

- ٤٣ -

بسم الله الرحمٰن الرحيم. حمداً لك اللهم على ما أفضت من كرمك، ووهبت من نعمك. وأصلي وأسلم على صاحب الوسيلة، المبعوث من أشرف قبيلة، وعلى آله وأصحابه البررة الثقات، ما تُليت في مدحهم الآيات، وشدا المنشد فيهم ببديع الصفات. وبعد:

فقد قلت هذه القصيدة المباركة، مادحاً ومهنئاً، ومباركاً بهـا قدوة الأمراء، ونخبة الوزراء، وسلالة الأصفياء، من أشراف بني الزهراء، الملحوظ بعين عناية ولي الأرض والسماء، حضرةَ جناب دولة سيدنا وسيد الجميع؛ أمير مكة المكرمة، وشريفها الشريف (علي باشا) نجل المرحوم المبرور، أمير مكة المكرمة سيدنا الشريف (عبدالله باشا)، علَى حَوْزِه إمارةَ مكة المكرمة، ونيلِه الوزارة المعظمة، وذلك في النصف من شهر شعبان المعظم، عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف، من هجرة مَنْ له العز والشرف.

حيٍّ المنـازل من بني الـزهـراء   حيث التقت بشـراك بـالسـرّاء

ونلِ المُنَى بين المشاعر في (مِنىً) ... متمتعاً بالبنْيـة[1] الغـراء
ما الروض طاب عبيره أذكى شذىً ... من عَرْفِ تربة هذه البطحاء
فدعِ العَرار، وطب بأندى منزلٍ ... عطِرِ الثرى، ماءً وطيبَ هواء
ما لي ونجدٍ أن أهيم بِعِينها ... ما بين راتعة وذات خباء
أو أن أحِل النازلين بها على الصّـ ... ـمّان، مني منزلَ الحوباء
وأجوز أجوازْ الفلا مترحّلا ... وأجوبَ مشتاقاً ذرى الأفضاء
شوقي (تهامَة) مُشْغلي أن أنتحي ... أطرافَ (عالج) أو رُبَى (الدهناء)[2]
لا كانت الأرْطى إذا كان الأرا ... ك أراه ممتدّ الظلال، حذائي
لا تسألنّي عن (أجا)، كلاّ، ولا ... (سَلْمى)، وسلني عن (كدىً) و(كداء)[3]
أرض مقدّسة، وقوم قام إبـ ... ـراهيمُ فيهمْ مؤذِناً بنداء
ودعا الإلَهَ، وجبذامن والدٍ ... يدعو الكريمَ البَرَّ للأبناء
فتضاعفت بركاتُه لهمُ بها ... يرثونها الأبْنَا عن الآباء[4]
في عيشةٍ محمودة تُجبَى لها الثـ ... ـمرات في أهنا غِنىً وغَناء
ورفيع بيتٍ قامت الأملاك والر ... سِل الكرامُ له برفع بناء
ما فوق أمر الوحي باستقباله ... من منتهى شرف يراه الرائي
نفسي فدى حرمٍ تودّ الزُّهْر لو ... أمست تُعدُّ به من الحصباء
يا طالما بالوحي جبريل تردّ ... دَ بين (بيت خديجة) و (حراء)
وحمى تخيّره عظيم العرش من ... دون الدُّنى للخيرة السعداء
جلت مشاهده بأشرف بقعةٍ ... شرُفت على الخضراء والغبراء

---

(١) البنية: يقصد الكعبة.

(٢) عالج: اسم رملة مشهورة، وردت في الأشعار القديمة كثيراً.

(٣) كدى، وكداء: ثنيتان معروفتان بمكة.

(٤) يرثونها: جاء بها على لغة أزدشنوءة المعروفة عند النحاة بلغة: أكلوك البراغيث.

لله مـــن وادٍ تـكــفَّــل كـلمــا ... يـرجى لدى المـولى من الآلاء
في غير ذي زرع، ولكن فيه ما ... تـشتـاقــه مـن روضــة غـنّـاء
حسبي أقبّل كل موضع أخمص ... منـه، وألثمـه صبـاحَ مسـاء
وأمـرّغ الخدين فـوق وَجِينِه[1] ... لأجـلّه عن وَجْـنـة الـوَجْنـاء
إن لم أسُقْ نفسي له هدياً فما ... بُـدْن الهدايا من أجل فـدائي
أسْعِدتُ إذْ أسْعدتَ[2] قلبي عندما ... قــدّمته شكــراً على إدنــائي

* * *

يا ساكني البطحاءِ من (أم القرى) ... وبمقلتي حَلُّوا، وفي أحشــائي
لا والـذي لبّى الحجيـج لبيتـه ... يقتـادهم أمـلٌ، وحسن رجـاء
فقضوا مناسكهم، وعادوا في هَناً ... ممـا يسـرّ قلوبَهـمْ، وعـطاء
ما أنْس لا أنساكمُ، فعسى أفو ... ز بـنـظرةٍ أشفي بهـا بـرحـائي
إني اتخذت وسيلتي رقّي لكمْ ... دون الورى طرًّا، وصدْقَ وفائي
فإذا قُبلتُ فما أجـلّ جزائي. ! ... وإذا مُنعتُ فما أقل عـزائي. ؟
قصّرت إن لم أوف حقّكمُ بحمْـ ... ـدِ العبـدليِّ الهاشمي، وثنائي
نجل البتول، أمير مكة، صاحب التـ ... ـقـوى، (عليّ) القدر والعليـاء
فليَهْنَ سيـدنـا ببشـرى أعـربت ... عن نيل قصدٍ في سنىً وسنـاء
جمعت إمارة (مكةٍ) لك والوزا ... رة، فـاستطب بـزيـادة النعمـاء
وليهْنـنـا ملك أتى وفق المـنَى ... خلفـاً، ومثل جـدوده القـدمـاء
بيض الوجوه الغرّ، أصحاب الظُّبا ... وهــدى منار الملة السمحــاء
المنتمين إلى عـــلا جـرثـومـةٍ ... والمنتمي نسبي لـهم بـولائـي

---

(1) الوجين: الأرض الصُّلبة ذات الحجارة. ومثلها: الوَجْن، والواجن. أما الوجناء فهي العظيمة الوجنتين.
(2) في الأصل: أشعـربت إن أشعرت...

أسعِدْ بهم وبمن تسنّم ذروة التـ   ـعظيم من أسلافه العظماء

وأقام ركن المجد غير مدافعٍ   بخلائقٍ بيضٍ، وجودةِ راءٍ

وكتيبةٍ لو أنها من قبلُ كا   نت في كتيبة جدّه الخضراء

وأعزّ منه في ذؤابَة هاشم   ذي الجود، ليث وغىً، وغيث حِباء

يرضيك منه أروعٌ من (آل عو   نٍ) يوم بذلِ ندىً، وعقدِ لواء

فليعلُ علوة خندفيٌّ حلَّ في   قصوى قصيٍّ القادة النجباء

أفديه من ملك شأى شأو السُّهى   في همة عربية عرباء

كالصارم المصقول أنّى أومأت   أجدتْ غنىً عن كثرة الآراء

لو قاومت فلك البروج لما اتّقى   عن بُعْد مرماها ببُعد سماء

والكلُّ مفتقر إلى أنظاره   فقْرَ الصَّديِّ إلى زلال الماء

يا خيرَ مختارٍ لخير إمارةٍ   حظيتْ بأوفى رتبةٍ قعساء

قرّت إلى ملك كريمٍ منك في   طور الملوك ومنطق العلماء

فأبوك (عبدالله) سيدنا ودو   ن خلاله الحسنى مُنَى العنقاء

لولاك ما خلنا نرى ملكاً على   شرْواه حين يُعدّ في الأمراء

ما خاب فيك مؤمّل، يرجو بك الـ   ـمَوْلى قدومَ رفاهةٍ وَرِفاء

عوضاً عن الماضين من أسلافك الـ   ـغرّ الكرام لمأمنٍ ورخاء

هذا مقام أبيك، فالزَمْ نهجه   مستقبل المولى بخير دعاء

والثمْ يمين الله شكراً، والمس الر   كن اليماني باليد البيضاء

هذا لعمري منزل الأبرار من   بيت النبوة، لا قُرى الأذواء

ومهابط الوحي المبين، ومبدأ الدّ   ين المتين، ومنشأ الأمناء

دامت لياليك اللواتي أسفرت   بك عن محيّا كاملٍ لألاء

وغدت بك الأيام أعياداً بما   تُوليه من أمنٍ، وعدلِ قضاء

ولك اليد الطولى التي لا فرق في   أن القريب تناله، والنّائي

وإليك من خود القريض خريدة ... مـدنيّـة، مكـيّـة الإنـشـاء
نثرت عليها الزُّهر دُرَّ عقودها ... وتقلّدت بكـواكب الجـوزاء
لا تُخلق الأيامُ جِدَّتهـا، ولا ... تخشى وإن قدمت من الإبلاء
في منطق سحر، وفي أدب، به ... لك أقبلت تمشي على استحياء
عذراء نزّهها ثناؤك أن يلمّ ... بها جريرٌ، أو يراها الطائي
وافت تقبّـل منك كفّـاً ثـرّة ... مبسـوطةً، تُغني عن الأنـواء
فصداقها منك القبول، ونظرةٌ ... حسنـاء، ناظـرة إلى حسناء
وكفى بمدح الذكـر يُتلى فيكمُ ... يـا آل طـه، دائـمَ الآنـاء
هل بعد هذا المدح ما يهدى إليـ ... ـك منضّدا من حكمة الشعراء. ؟
فـالله يبقي منك عَفّاً طيّبـا ... يحمي حمى المولى عن الأقذاء
ويديم ذو الإحسان دولة (آل عو ... نٍ) آل طَـه، سيّـد الشفعـاء
بمليكنا (عبد الحميد الثان) سُلْـ ... ـطان الزمان، سلالة الخلفاء
ظلّ الإلّه[1]، وأمنه، الغازي عظيـ ... ـم الخُلْق، ذي المعروف والإسداء
من بالتقى في خدمة الحرمين قا ... م يروم من مولاه خير جزاء
فـالله ينصـره، ويبقيـه، ويبـ ... ـقي مُلكـه في عـزة وإبـاء
لا زالت الأيـام مشـرقـةً بـه ... وبـ(آل عثمـان) ليـوم لقـاء
واسلم، ودم في نعمة عظمى كما ... ترجو من المولى، وطول بقاء

ـ ٤٤ ـ

وقلت، مهنئاً بعيد الفطر المبارك، دولة سيدنا أمير مكة المكرّمة، الشريف (علي باشا بن المرحوم سيدنا عبدالله باشا)، أدام الله دولته، وذلك عام ١٣٢٣ هـ:

---

(١) ظل الإلّه: هذا التعبير غير ملائم، وإنما الحاكم في الإسلام مستخلف في الرعية لا غير.

يـا لَعيدٍ بمـا يسـرّ أنـابـا ... زار وَهْناً يزفّ منه الربابا[1]

قرّت العين وهي وسْنَى بأسنى[2] ... من سنَى الشمس طلعةً وانتصابا

أين يا مصر؟ أين واديك منا . . ؟ ... شطّت الدار، واتسعنا انشعابا

ما كفى ما قطعت ما جاب من شُمٍّ ... رعـانٍ، حتى شققت العبابـا

وقفة بـالعقيـق مـا زلت ألقى ... في فؤادي مذ بنتَ عنها اضطرابا

حين كانت قباب قومك تحذو ... ليَ بين الجَمَّا فسلْعٍ، قبابا[3]

وأزحت النقـاب لي عن محيّـا ... أخجل الشمس مذ أزحت النقابا

في ابتسـام كـأنمـا لاح بـرق ... ودّ يمسي منك الثنايا العِذابا

وحديث كـأنه المسك يحـوي ... حسن دلّ يشـوقني، وعتـابـا

طُلَّ يا دمع، واشْك يا قلب شوقاً ... وقِدي للنوى حشـاي التهـابا

لا ومن سيقت الهـدايا إليـه ... مشعـراتٍ[4]، تخالهن الهضـابا

فأفاضوا للخيف[5] شكراً بها معـ ... ـتمـدي نحرهـا هـدىً وثـوابا

لست أنسى الرباب ما لاح برق ... أو شـدا مـزْزم يحثّ الربـابا

أوسعتني محبـةً، وطـوت عنّـ ... ـيَ كشحـاً، فـلا تـردّ جـوابـاً

فكـأنـي لم أحظَ منهـا بـوصـل ... حيث لم ألق حاجباً، أو حِجَابا

لا، ولا لاح قبـل بـدر محيّـا ... فـوق غصن منها يميس عجـابا

كم لعمري سامـرتُ منها فتـاةً ... غـادةً تسلب العقـول، كَعـابـا

فـأبـاحت لـديَّ خـدًّا نقيّـا ... وبَـرادًا من الـرحيق، رضـابـا

فـلثمـت الخـدود وردًا جنيـا ... ورشفت اللّمَى ضريباً[6] مـذابا

---

(١) الرَّباب: السحاب الأبيض.

(٢) يقصد الطيف. وأسنى: أرفع.

(٣) الجمّا: مكان مرتفع، قريب من سد عروة الآن، وهي ثلاث جماوات.

(٤) مشعرات: عليها شعار الهدي وعلامته.

(٥) الخيف: المقصود خيف منىً.

(٦) الضريب: العسل.

في عفافٍ كثوب يوسف طهرا   لم يدنَّس، ولا تحمّلَ عابا
هل على مثلها العزاء جميل   أو يفي الطيفُ بعدها لي انتيابا . ؟
لا ومن أنزل المحبة مني   منزلاً دونه تمس السحابا
لم أشبِّب من بعدها دون أن أفـ   ـتح في مدح ذي الشمائل بابا
نجل طه الرسول، سيدنا، كُفْـ   ء العلا رتبةً، ونفساً، وآبا[1]
فهنيئاً أميرَ مكة عيد   لك باليمن والمسرة آبا
ناله السعدُ منك، حين رأى مَنْ   هو منه ـ لا شك ـ أعلى جنابا
غُرّةٌ منه قوبلت بأغرٍّ   منك أضحى محبّباً ومُهابا
فصلت بين شهر صوم وحج الـ   ـبيت في أشهرٍ عُرفن حسابا
رام منها تقبيل كفك دوماً   يا مليكا ردّ الزمانَ شبابا
وعظيماً ردّ السفيهَ حليما   وهزبْرًا ردّ الذئاب كلابا
فأبوك المليك ذو الشأن (عبـ   ـدالله)، من للنبيّ عدّ انتسابا
و(عليٌّ) سميُّك، الجدُّ، من رُدّ   له القُرْصُ، بعد أن كان غابا[2]
أوسعُ الناس (آلُ عونٍ) حلوما،   وصدوراً لدى الصعاب رحابا
أحرزوا أحسن الثناءِ بمَلْكٍ   منك، ما قال قط إلا صوابا
جمع المجد طارفاً وتليدا   لا يمارى سبقا، وليس يُشابا[3]
ما رأى ذروة تُنال بها العلـ   ـياء إلا رأيت منه عُقابا
فهو غوثُ الصريخ، غيث نوالٍ   يُعجِز الواصفين فيه انسيابا
عوّد الكفَّ منه إرغامَ لؤمٍ   وشَبا النصل في الطراد ضرابا

---

(١) وآبا: وآباء.
(٢) لا يوجد حديث صحيح يثبت ردَّ الشمس لعلي رضي الله عنه.
(٣) كذا بالأصل. والصواب الرفع. ولعلها: مُشابا.

فعلى المجتدين رحمةُ فيضٍ وعلى المعتدين يسطو عذابا
ليت كان الغمام يمناه حتى يغدق الأرضَ والأنامَ شرابا
لو نسبْنا لكفِّك(١) البحر جوداً لم يُرَ البحر بَعدُ إلّا سرابا
فله الخيلُ واللواء قديما وله الرأي لا يُقيل ارتيابا
همة فوق هامةِ النجم قدْرا واقتدارٌ(٢) أعيا السماك طلابا
حسبه أنه ابنُ من نصَّ جبريـ ـلُ إليه عن الإلّه الكتابا
أنت أهل الجميل والحمد يا خيْـ ـرَ مليكٍ رأى الثناء اكتسابا
فيك ما في جدودك الغُر خيْرٌ أملٌ لم يخب، وما قطّ خابا
أوجدتْني جدواك حتى إذا أعـ ـطيت جاوزتُ لا أبالي النصابا
ليتني ثَمَّ كي أقبِّل كفًّا منك جلّت عن السحاب انسكابا
وإليك التي تنوب منابي بنت فكرٍ في حسنها لا تحابَى
فزتُ إن أحرزتْ، تقبّل عني بين أيديك، يابن طَه: الترابا
وكفى الذكر فيكمُ آلَ طَه قام بالمدح والثناء احتسابا
واهنَا، واسلم، ودم سمير المعالي ما بمِسْك الختام حمدك طابا

ـ ٤٥ ـ

وقلت، معرِّبا قصيدة رجل يصف محله بالتركي:

حياة المرء أعذبُها عذاب وأهنا العيشِ ـ إن حققتَ ـ صاب
وما بي حسرةٌ من فَقْد عمري وفقد العمر عندي مستطاب
وإن تك حسرة عندي فَلِمْ لا سريعاً بالمنيّة لا أصاب.؟

---

(١) كذا بالأصل، ولعلها: (لكفّه).
(٢) في الأصل: واقتداراً.

فـإني كلمـا أبصـرت حـالي ... ومـا أنا فيـه، زاد بيَ العجاب
بـوصفي منزلي، وبمـا أعـاني ... بسكنـاه، يلوح لـك الجـواب
كـأنـي منـه فـي نفق عميـق ... وقبـرٍ، حين يُغلق منه بـاب
محـل تنفـر الجِنّـانُ[1] منـه ... وتجـزع أن تُـوَجِّـره الضِّبـاب
وفـيـه تُـقـطّع الآمـالُ بَـذْأً ... فليس لها على الذهن انسياب
وتُحـرق فـوق حـائطه الأمـاني ... فـلا يبقى لصاحبهـا ارتقاب
عليـه كُـوَّتـا نـورٍ على قـدْ ... رِ ما وقت الضُّحى يُقْرا الكتاب
مفتّتـا الـزجـاجِ، مكسَّـرَ الـذَّ ... رافِ[2]، مـلازِمٌ فيـه الضِّبـاب
كأن من السكون المحض شيدت ... جـوانبـه، وليط بـه الخـراب
فـلولا مـا بقـلبي مـن وجيـب ... لكـان بـه التحـرك لا يصـاب
كـأنـي منـه فـي قـاع من اليَمِّ ... أوْ أنحَى بيَ الـربـعُ الخـراب
أُغيـر على المعاني البكـر فيـه ... وهن نـوافـرٌ، شُمْس، صعـاب
فـأُدْرِكهـا بفـكـر لم يـخـنـي ... ولـو من دونهـا حـالَ السـراب
فـذا دأبي بـه، أو أن أنـاجي ... رجـالا أبْعـدتْ بهمُ الحقـاب
كمثل (أبي العلاء)، وكـ(ابن سينا) ... و(محيـي الدين)، من كتبوا فغابوا
فلي بهـمُ تـأسٍّ، وارتجـائـي ... رضـا من يُرتَجى، ولـه المآب

— ٤٦ —

وقلت، معرّباً قصيدة رجل يتعلل بمحبوبة غير محبوبته بالتركي:

وحسناء تاهت في الجمال، فغرَّها ... بأني لها من بعـد رؤيتها صبّ

(١) الجِنّان: جمع جانّ، وهو ضرب من الحيات أكحل العينين، يضرب إلى الصفرة، لا يؤذي. وفي الحديث «إن فيها جِنّاناً كثيرا».
(٢) الذراف: جمع ذرْفة، وهي مصراع النافذة والباب ونحوهما، بالعامّية.

وداخلها بعضُ الذي بيَ من هوى لسلمى، فزارت والمدامع تنصب
وقالت: إليك الثغر صرفاً رحيقُه فإنك من دون البرية لي حِبُّ
أباحت ليَ الخد النقي تَخالُ أن لها في فؤادي قد خلا منزل رحب
أمخدوعة مني بمن دونها التي أتت فيك تخييلا، وطارت بها النُّجب
فشَمِّي وردَ الخدِّ منك، ولثمُه سرورٌ بمنْ منه تخيّل لي القرب
ولو لم أمسّ الصدر منك وإنني أظنك إياها، لأودى بيَ الحب
ضغي فوق صدري منك صدراً لعَلّه برمّانتيه ما به مِنْ جوىً يخبو
فما كل رمّانٍ يبرّد مهجة بنار الهوى والبين يا هند تشتبّ
لك المنّة الكبرى بإحياء مدنفٍ رآى فيك مَنْ مِنْ دونها حالت الحُجب
تقاسمتماني في الهوى كيف شئتما لك الجسم مني كله، ولها القلب

— ٤٧ —

وقلت: مادحاً (أحمد شوقي) شاعر خديوي مصر (عباس باشا الثاني)، والمقصد المواصلة معه. وله ديوان شعر يعرفه من يعرف الأدب، فلم يجبني بشيء، وسافرت من مصر وما رأيت وجهه، وكنت مريضاً بالفتاق، فتداويت منه بمصر، فلما حصل الشفاء خرجت منها وأنا أشكر الله تعالى الذي شفاني، وذلك سنة ١٣٢٣ هـ:

حيِّ عني يا برق بالجَزْع[١] حيًّا لم أبارح ذكراه ما دمت حيًّا
ظلَّ (شوقي) عليه (أحمدَ) والصبـ ـرُ قبيحاً من بعدُ بانَ لديَّا
ليلة بالعقيق جاد بها الدهـ ـرُ، وآلى أن لا يعود سخياً
ليتما[٢] أسارت بأحشاي كلْماً بات طرفي منه بكيًّا دميّا
من يلمه في نظرة شهدت مَنْ هي أبهى من الصباح محيّا

(١) الجزع: منعطف الوادي، ووسطه، جمعه أجزاع.
(٢) كذا بالأصل، ولعلها: ليلة.

ومن الشمس طلعةً وسناءً ... ومن البدر في المحاسن زيا
أسفرت عن لثامها فأرتنا ... مبسماً زاهراً، وخدًّا نقيا
فرشفتُ المدام صرفا حلالا ... ولثمت الورد النديَّ جنيا
في حديث كأنه من نسيم ... جاز قبل الصباح روضاً نديا
وعفافٍ يشدّ عن كل ريب ... مئزراً طاهراً وعرضاً نقيا
وافترقنا وما احتقبنا من الإثـ ... ـم حراماً، ولا ارتكبنا رديّا
لا، ومن أمَّه الملبّون شُعثا ... يستحثون في ثراها المطيا
ضمّر فوق ضمّر يتبارَوْ ... ن سهاما جُرْدا تعالت قسيا
لست أنسى العقيق ما لاح برق ... وسقى البان هامعُ القطر ريًّا
وعلى الأيك ناحت الوُرْق تشدو ... فأهاجت جوًى، وأبكت شجيا
فكأني لم أحظ قطُّ بوصل ... لا، ولا كنت للحبيب نجيا
بعُدت شُقةً، فلو تَركت لي ... مهجتي حين أبعدتني قصيا
قف زميلي أُفِضْ من الدمع ما عَنْ ... حرّ وجدي، عسى أنفّس شيًّا
ألِفت عيني البكاء وكانت ... قبلُ جدّاء[1] لا تدر بكيّا
ليتها ما تفيض إلاّ على ما ... وطئته في الأرض أقدامُ (ريّا)
كي يسيل الشِّعْبُ الذي كان بالأمـ ... ـس أنيساً، وترجع الدار رَيًّا
في خبايا الأيام ما ليس يجري ... تحت ظنٍّ حتى يكون جليا
ولو اني حسبت ما كان: ما كا ... ن جرى ما جرى، فجرَّ عليا
إن ما لا يعدّ صَرْف الليالي ... نُصب عينيه، عاش دوما غبيا
فمتى تُبصرين عيْنيَ شخصاً ... يملأ العين، عاقلا، عبقريا.؟
كأديب الزمان (أحمد شوقي) ... مَنْ علا قدرُه السماك رُقيًّا.؟
عربيّ الأوصاف والجذم، يَفري ... ـ إن يَنُبْ نائبُ الزمان ـ فريا

---

(١) الجدّاء: الممحلة.

يُحكم الرأي منه عن ظهر غيب ... حكمه القصد بعد أن يتأيّا[1]

ما عدَتْه العُلا محلاّ، ولا قا ... م مقاماً إلاّ تراه عَلِيّا

خُلُق مثل مندل العودِ طيبا ... وذَكاً ناب عن ذُكاءٍ، زكيا

فيه من همة الرجال مَضاءُ ... خلْتُ فيما يريده مَشْرفيّا

* * *

يا مُريدا إدراك (أحمد شوقي) ... من له المثل عزّ أن يتهيا

عِزَّ عقلا رُزِقْته عنك خير ... لك من أن تروم شيئاً فريًّا

إنه السابق المجلّي إذا ما ... طوتِ الخيلُ حلْبةَ السَّبْق طيّا

من يساجل أعز منه يساجل ... ماجداً يملأ الذَّنوب، سرِيّا

قَلّ فيه أني جمعت به الما ... جد (مَعْناً)، و(حاتماً) و(عَدِيا)

وطويتُ (الطائيّ) فيه، و(حسّا ... ن)، و(مهيار) و(الشريف الرضيا)

جذبتْنا إليه أخلاق شهمٍ ... نصطفيه دون الأنام صفيا

كم تصفّحت في بني الدهر كي أخـ ... ـتار لي منهمُ حميماً وليا

وافتليت الأنام، لا خاب ظني ... فيك، يا من بالحمد ظلّ حرِيا

فقضى الفضل والمكارم أن أطـ ... ـلب منك المفضل الأريحيا

والأعزَّ الأعزَّ ذا الشأن، مَنْ ظلَّ ... حمِيّا على المعالي، أبيا

ودَعتْ شوقياتك الغُرُّ مني ... ذا ثناءٍ كما تحب، وفيا

فنظمتُ الدرّ الثمين قريضا ... وشذورَ الإبريز نظماً بهيا

ونمت بي إليك عذراء ظل النـّ ... ـجْر منها منسَّبا مدنيا

بنت فكرٍ بزّت سنى الشمس حسنا ... ونضتْ عقدها عليها الثريا

فارْعَها، إنّ فرعها طال فخرا ... بك إن حازت الحظيَّ المزِيّا

وفدت حيث يطلب المجد شوقاً ... بك تتلو المديح فيك مليا

---

(١) تأيّا: تأنى وتلبّث.

عيدُها أن تراك ترفل في الصحـ	ـة، والأمن، بكـرةً وعشـيـا
ومنـاهـا قبـولـهـا وقبـولـي	ويـك الله أن يكـون حفيـا
مـا بعيدٍ للفـطر هنّيت دومـا	وبـك العيـد ظـلَّ يـأتي هنيـا
فاهْنَا واسلم، ودم بـأوفر نُعمى	دائمَ السعـد والسـرور، رضيًّـا

ـ ٤٨ ـ

وقد أرسلت للمذكور القصيدة، فامتنع من المواجهة، ولم يزرني، فأرسلت له هذه القطعة، فلم يجب بشيء، وهي:

يـا سـيـداً أخـلاقُـه	جـلّت عـلى أنـي أراه
وافـتْـك مـنـي بـضّـةٌ	في وصفـك السـامي عـلاه
بـدويـة، أتـرابـهـا	مـا بين هـاتيـك العضـاه
مـدنـيـة، يـدري بـهـا	(بطحان)، والوادي (قناه)[1]
غرّبـتُهـا لـك، والـغـريـ	ـب بـ (مصر) ممجوج لقـاه
وأظـنّـهـا مـاتـت لـديـ	ـك غريقـة، ظمآى الشفـاه
نـاشـدتـك الـلـه الـذي	تـعـنـو لـعـزّته الـجـبـاه
أن تـرجعـنْ لـي جسـمهـا	حـتـى أواريـه ثـراه
وأقـول: لا قـلـنـا ولا	طُـلـنـا، وأودعـك الإلّـه

ـ ٤٩ ـ

وقلت، مهنئاً سيدنا أمير مكة (الشريف علي باشا) بعيد الأضحى، وإتمام الحج، سنة ١٣٢٣ هـ وذلك (بمنى):

---

(١) بطحان وقناه: واديان من وديان المدينة، يقع الأول في جنوبها متجهاً شمالاً، ويعرف أيضاً بسيل أبي جيدة. ويقع الثاني في شمالها آتيا من الشرق مارًا بجنوب أحد.

هو (الخَيْفُ) فاستقبِل به الحسناتِ ... وقابل عظيم الأجر والبركاتِ
ونل في (منًى) أهنا المسرات والمُنَى ... غداة أفاض الحج من (عرفات)
ليَهْنك بالوادي المبارك فيضه ... قبولٌ بما يرجى من الدعوات
وإنجاح سؤل مسفرٍ عن إجابةٍ ... من المنعم المنّان بالطلبات
فيا لكِ من أيام عيد تواصلت ... بكسب ثواب واغتنام هبات
وأوقات إحسان تجلت مسرّة ... بمرضاة ذي الإحسان مقترنات
فللّه ما يُهدَى من البُدْن قربةً ... ولله ما يُرْمَى من الجمرات
ولله ما ينهلّ من صيِّب الندى ... وما يُرتَجى من واسع الرحمات
فهذي قباب الوفد، ضيف الإله خيـ ... ـرِ من وصلَ العافي بخير صلات
ففازوا بزلفى نعّمتهمْ منازلا ... غدت عند ذي التوفيق معتليات
فأيّ ثواب فوق ما أحرموا له ... يشقون موج البحر والفلوات
سعوا في سبيل البرّ لله، فاجتنوا ... بأطيب مغنى، طيب الثمرات
جنيتُ على حجِّي إذا مالَ بي الهوى ... لحسناء تاهت في الجمال، فتاةِ
محجّبة لولا المناسك ما بدت ... ولا بذلت كفًّا لرمي حصاة
ولا رابَها راءٍ بنظرة وامقٍ ... تريه مسير البدر بين لدات
عذارى، ظباءٍ، نافراتٍ، سوانحٍ، ... يثرن الهوى العذريَّ باللفتات
وخودٍ، مهاً عِينٍ، يغادرن ذا الحجَى ... عميداً، سليبَ اللبِّ، باللحظات
يخايَلْن لولا سمطُ منطقها دُمىً ... تمايسْن في وشيٍ من الحِبرات
فكم همعت فيهن عَيْنٌ شؤونها ... قُرِحن بما يجري من العبرات
وكم تلفت فيهن أفئدة غدت ... تَلَظَى بما قاست من الحسرات
فلولا جرى التشبيب في المدح سنّة ... لملّ قريضي الوصفَ في الظبيات
ونزّهت ذكر الآل من أن أشوبه ... بذكر ذوات الخال والخَفَرات
فإن بني الزهراء هم عمدتي الألَى ... أُوَالي، وهمْ دون الأنام وُلاتي

فزِدْ فيهمُ مدحاً بحمدك أروعاً طويلَ نجادِ السيفِ، كهف عُفاة
قريبٌ[1] من المولى بأخلاق قانتٍ تنزّه أعراضاً عن الشبهات
وشهم تحاشته الأسود، وأذعنت لليث هصور منه، ذو عزمات
أميرُ بلاد الله، أشرفُ مُنْتمٍ إلى محتد سامٍ ذرى الشرفات
إلى خير خلق الله طرًّا، ومَنْ به غدا يكشف المولى دجى الكربات
فيا أيها المولى الذي عمّ أمنُه وأرْبَى بأخلاق له وسمات
لعمرك قد أحرزت كل مزية قرنت بها في خيرة الخيرات
فإنك بالمعروف والمجد والعلا حريٌّ، وللمولى أجلّ مُوات
ألست ابن عبدالله، سيدنا، ومن له قصباتُ السبق في الحلَبات
أحطت بلاد الله حتى تبجّست مناهلها أمناً، وعذْب فرات
فلولاك ما خلنا بأن الذي مضى من الوقت ميموناً بسعدك آت
ولولا مساعيك الجميلة لاغتدت أكفُّ الرجا من بعده صَفِرات
طلعتَ لنا سعدًا، وأسفرت مأمناً به أمِن السارون في الطرقات
وصدّق فيك الله ظنًّا بماجدٍ حَمَى حرمَ المولى، سليل حُماةٍ
ووفّق سلطانَ الورى أن أجلَّ ما إلى الله منسوبٌ من العرصات
فصرّح فرْمانٌ بما أنت أهله تُلي بين أشرافٍ وجمع ثقات
فأحسن فيك الوصف إحسان عالم بأكمل موصوف، وأجمل ذات
ليهنك عيدٌ جامع بين أنعُمٍ تلاوة فرْمانٍ، وسعد غداةِ
وأيام تشريق، ونحرٍ، تشرّفت بتكبير مولى العرش عقب صَلاةِ
فسلطاننا (عبد الحميد) أمدّه الإ له بتأييد ونصر غزاة
ولا زال دوماً ملكه متمكنا بعزٍّ وتوفيق وقهر عداة
ووالي الحجازِ الشهم (أحمد راتب الْـ ـمُشير) بَقي في أرفع الدرجات

---

(1) قريبٌ: خبر لمبتدإ محذوف.

(فيا آل عونٍ) نلتُمُ ذروة العلا ... بنسبة آلٍ للنبيِّ، أباة
أخذتمْ بأطراف المحامد، فهي في ... مساعيكمُ مصقولةُ الصفحات
ولولاكمُ ما رقّ لي الشعر، أوسمتْ ... مشرّفةٌ في وصفكم كلماتي
وسيّدنا لا زال دوماً موفّقاً ... عزيزاً بإقبال وطول حياة

— ٥٠ —

وقلت، مهنئاً له بأول عام ١٣٢٤، وذلك يوم الأحد، أول محرم:

سقى البطحاءَ أبرقُ ذو ابتسام ... كأن بَريقَه خفق الحسام
يغاديها بمنحلّ العَزَالَى[١] ... ثقيل السير، منهلّ الغمام
ولا عدمت مليكا هاشمياً ... إمارةُ مكةٍ طولَ الدوام
يقابله جديدُ العام دوماً ... وتلقاه الأهلة في سلام
فإنك يا ابن خير الخلق طرًّا ... عليٌّ كاسمك السامي المقام
رفيع المجد، نجل الطهر طه، ابْـ ... ـنُ عبد الله، ذو الهمم العظام
وقدرُك فوق هام النجم قدرا ... فما قدر ليذبُل أو شمام[٢]
فعِمْ بصباحِ أولِ يومِ عامٍ ... حظِي بعلاك في بلد حرام
ودّ يفوز منك بلثم كفٍّ ... يقبّل ظهرها كلُّ الأنام
مُناه أنه يسعى على را ... سه في خدمةٍ لك كالغلام
سموتَ مكارماً بأبٍ ونفسٍ ... وأسلافٍ جحاجحةٍ كرام
ملوكٍ أدركوا نيل المعالي ... بكل أغرَّ كالبدر التمام
وكل مقابل الطرفين أقنى ... سما شرفاً بخافقتي قطام

(١) العزالى: جمع عزلاء، وهو مصب القربة ونحوها. يقال: أرسلت السماء عزاليَها، أي انهمرت بالمطر.
(٢) يذبل، وشمام: جبلان.

فبـاهِ بهم، فـإنـك في محلّ		من العليـاء في أعـلى سنـام
وهل في (آل عونٍ) غير شهمٍ		أبيّ الضيم، أو لـيث محـامٍ
كـأنهـمُ أنـابيـب الـقـنـى أو		فـريـدُ الـدرّ نُضِّـد في انتـظام
ليهـنَهُـمُ بمـلْكِ منـك مُـوفٍ		بمنصبه، سديـد الرأي، سـامٍ
فـأنـت لحـفظ بيـت الله ردْءٌ		نُـدِبْتَ فقمت في أوفى قيـام
وحُـطت النـازلين بـه أمـانـاً		فكـانـوا منـك في أقـوى ذمـام
قضوا حجًّا، وعـادوا في سرور		وفـوزٍ، بـالغي أقصى المـرام
وظلوا شـاكـريـك بكـل نـادٍ		وشكـر البيتِ يكفي والمقـامِ
فسيفك في انتصار الحق ماضٍ		وجـودُك في سبيـل البرّ هـامٍ
طلعت لنـاظِري جـدواك سعداً		وفوق طُلا البغاةِ شبا حسـام[1]
فلو كـان الثنـاء عليـك يُـوفي		بـقــدرك كـان وفّـاه كـلامي
فلو أقبلت بـالـزُّهـر السـوامي		وجئتـك بـالثـوابت في نـظامي
ونضّـدت القـوافي في شـذورٍ		مـن الإبـريـز والـدرّ التُّـؤام
أجلّك أن أقـول أحـاط وصفـاً		بسيّـدنـا مـديحي واحـترامـي
فـأنت البحـر، والشعـراء وِرْد		فلم ينقصه ـ دمت ـ ورُودُ ظامٍ
لينـظمْ من أراد النـجم عـدّاً		فبحر الوصف فيـك لديه طام
ولكنْ فيـك نقـدٌ ليس يخفَى		عليـه ما يقـول (أبو عصـام)[2]
هنيئـاً مـا تجـددت الليـالي		ومـا عـامٌ أتى في إثـر عـام
ودولتـك العـليـة في ارتـقـاء		وطلعتـك البهيـة في ابتسـام

(١) طُلا: جمع طُلاةٍ، وهي العنق أو صفحته.
(٢) أبو عصام: كنية الشاعر الأسكوبي.

ـ ٥١ ـ

وقلت: بيتين:

على شيخنا (عبدِ الجليل)[1] تَحيّةٌ ... دواماً فلا أحصي مكارمه وصفا
قليـلٌ لكفٍّ منه أهـدت رقيمها ... على كل حرفٍ لـو أقبِّلها ألفـا

ـ ٥٢ ـ

رأت البيـاض بمفـرقيّ فـرابهـا ... ومن العجائب حسنُها من فضله
وتنكّرت لما رأت سقَمي، وفي ... أجفـانها وبخصـرهـا من شكله

ـ ٥٣ ـ

وقلت، راثياً ومؤرخاً وفاة صديقنا المرحوم الشيـخ عَـوض الغمراوي، المكـي، علاّمـة وقتـه:

لـم يَشُـقْني بـدَلٌ أو عـوض ... بعد ما أودى لعمري (عوض)
نِـعْم منـه أروعُ، ذو عفَّـةٍ، ... طـاهـرُ الـذيـل، نقيٌّ، أبيـض
عـارف بـالـلـه، لا يـأخـذه ... لومُ لُوّامٍ، رضُوا أو ما رضـوا
واقـف كـالـطود للحق، فـلا ... وهَـنٌ يـلحـقـه، أو دحَـض
فله العقـل الـرزينُ الألـمعي ... ولـه القـول الـذي لا يُنقـض
مـا لـه فـارقنـا فـي سرعـة.؟ ... لا ونـىً، لا ألـمٌ، لا مـرض
هـي كـانت روحه في كفـه ... يـوم مـا قـدِّر منـه تُـقبض
أو خيـال كـان يـلقـانـا بـه ... في عظيم قدرُه، أم عَـرَض.؟
كيف لا تبكيـه أجفـاني دمـاً ... وبـقلبـي مـن نـواه مضض.؟

---

(١) هو أستاذه عبد الجليل برّادة.

أسفي لا ينقضي ما دام لي نفَس حيٍّ، وجسمٌ ينهض

يا لها من فرقة مشؤومة ليس يُقْضَى بينها أو يُرفض

قطعتْ حبل عزائي وغدا الـْ ـموت عندي بعدها لا يبغض

وأبادت جلَدي من حيث لا صبْرَ يجدي، أو يطيب الحرض[1]

بعده فليرمني الدهر بما شاء، لا نقض، ولا معترض

إن يشأ جسمي فجسمي هدف أو يشأ قلبي فقلبي غرض

كل خطب هان عندي بعد من هو ذخري في الدُّنى، والرَّبَض[2]

وانطوى الفضلُ بساطاً بعده وبه أهل الجميل انقرضوا

فعليه وعليهم رحمةٌ ما على الله النّواصي تعرض

ماجد لما رآني باكيا قال: أرِّخ (مات آه عوض)

١٣٢٤

- ٥٤ -

المفاخرة ما بين وابوز البحر ووابور البر

حمداً لذي المنة والإحسان ومُنطق الإنسان باللسان

لأنْ يُبين ما على الجَنان من نعمة أفاضها ذو الشان

وحكمة تبقى مدى الزمان

ثم أصلّي وأسلّمُ على محمد، خير نبي أُرسلا

وآله، من أدركوا أقصى العلا وصحبه، نجوم هـذْيه الألى

به أضاؤوا سبل الإيمان

وبعد: فاسمع هذه المفاخرة وما بها من أدب المناظره

(١) الحرض: المرض الشديد.

(٢) الربض: المأوى.

مـا بين وابـورٍ يعـدّ بـاخـره   وآخرٌ في البر، كيف صادره.؟
كـلاهـمـا كفـرسـي رهـان

فيـا لهـا من قصـة لـطيفـه   عجيبـة، غـريبـة، ظـريفـه
في حسنهـا ووصفهـا وصيفـه   مـن فكـرةٍ نيّـرة حـصيفـه
أتت بهـا في أحسـن البيـان

حتى غـدت بينة التصـويـر   واضـحـة البيـان والتـعبيـر
جلّت عـن المثيـل والنـظيـر   كالشمـس، أو كـالقمر المنير
ذات جمـال بـاهـر البـرهـان

تُغني اللبيب عن سمـاع العـود   وعـن تعـاطيـه ابنـة العنقـود
فـي منـطق كـاللؤلؤ المنضـود   وحـكمـةٍ، أو مـثـلٍ شـرود
يُربي على الياقوت والمرجـان

يُعجب حسنُها الـذي لا يَعْجب   إذا سمعتهـا لعمـري تـطرب
فمـا الفُنُغْـرافُ لـديهـا يُحسب   ولا الفُتُغـرافُ العجيب أعجب
منهـا لـدى التصـويـر والبيـان

لـو نُـظمت من لفظها العقـود   لـمـا تحلّت بسـواه الـخُـود
بهـا البخيـلُ دائمـاً محمـود   إذْ أُرْخِصـت في مثلهـا النقـود
فهْي سَكـابٌ[1] نخبةُ الزمـان

فاسمع لما أدَّته مما قد جـرى   على لسان الحال ما بين الورى
ونَسبَتْ للسلك هـذا الخبـرا   محـرَّراً مُسـطَّراً كـمـا تـرى
من غيـر ما زَيْـدٍ ولا نُقصـان

في البحـر وابـورٌ كبيـر القـدْر   ضخم الجهات، وعظيم الصدْر
يختـال فـي تيـهٍ لـه وكِبْـر   ولا يـرى مثيـلـه فـي فَـخْـر
من عُجْبـه وشـدة الطغيـان

---

(١) سكاب: صيغة مبالغة من السكب، كصَناع.

تخالـه العُصْمَ[1] من الجبـال لـو كـان بـالبر بـلا محـال
ويـسبق الـريـح ولا يبـالـي مـن تـعـبٍ قطُّ ولا كـلال
يفـرّ منه المـوج بالخسـران[2]

يـشـق تيـار الـبحـور شـقّـا كـأنمـا قـد شَقَّ منه رَقّـا[3]
وتحسبَنْـه في المسيـر بـرقـا أو فـي التِّلِغْرافِ نبـا منـدقّـا
أسـرعُ من تـلامـح الأجفـان

فـي وسْـطِه مـرجلُه يـفـور وخـلـفَـه رَفّـازُه[4] يـدور
يُـحسَـبُ بلدةً عـليهـا سُـور تَـسكـنهـا الـفُـرْس ولا تـحور[5]
حـول مُـوقَّـدٍ من النـيـران

أهدى من النجم إذا الليل سطا بل وأدلّ في السرى من القطا
لا بحـرَ إلا شقَّ منه الـوَسَـطا مـا ضلّ، أو قطُّ استُـرِدَّ غلَطا
كـأنـه من جملة الجِنّـان[6]

تحـار في تصويـره الأفـكـار وفـي قـوى شـدتـه البحـار
تشتبُّ دومـاً في حشـاه نـار لهـا دخـان دائمـاً طَـفّـار[7]
حتى يُرى مثل السحاب الداني

دُقْـلانُـه[8] تختـرق الـسحـابـا وأصله وسْـط العبـاب غـابـا

---

(١) العُصْم: جمع أعصم، وهو المنيع.
(٢) في المطبوع ص ٧: (كلّا، ولا موجٍ، ولا طوفان).
(٣) الرّق: جلد رقيق يكتب فيه.
(٤) رفّازه: هو ما يرى كالمروحة الكبيرة من خلف الباخرة.
(٥) تحور: ترجع أو تتردد.
(٦) الجنّان: جمع جانّ، وهو الحية.
(٧) طفّار: مبالغة من (طفر) أي قفز.
(٨) دقلانه: جمع دَقَل، وهو الصاري.

في ذيله أُذْن تُرى إعجابا   تفهم أخفى السرِّ والخطابا
سامعةً، مجيبةً، في الآن

مدرَّعٌ من الصفيح الأقشبِ   له مِعاً من الحديد الصُّلُب
ورجلُه في ظهره المحدَّب   يمشي كمشي الأيْم[1] فوق التُّرُبِ
بدافعٍ من خلفه رنّان

يدرك بالعين التي في بطنه   ما يدرك الإنسان ملء عينه
راكبُه في حرزه، وحصنه،   وظلِّه الموفي به، وأمْنِه
في غاية الراحة والأمان

صفّر مرةً لقصدِ يُرسي   جاوبه صوت عظيم الحس
فظنّه صدى أتى بعكس   وما بخاطر له ونفس
أن له في البر شبْهاً ثان

* * *

لمّا تقرّبَ رأى قطاراً   وأبصَرَ المقدّم الجرّارا
يَذْوي دوِيَّ النحل حين ثارا   مدخّناً، ذا زفرةٍ، زأرا
وخلفه سطر من البنيان

يمشي على سطرين من حديد   في عجَلٍ من تحته عديدِ
وسرعةٍ تزيد في التحديد   عنه بلا شكٍ ولا ترديد
لا بالضعيف، لا، ولا بالواني

يطوي البسيطةَ بلا ارتياب   ويخرق الهواء كالمثقاب
بشدةٍ كالسيل في انسياب   وهمة تربو على السحاب
وهو عجيب الصنع والإتقان

---

(١) الأيْم: الذكر من الحيات، جمعه: أُيوم.

دُورٌ تــلاصقت ببعضهــا علـى ســطر أتـى مقــوَّمــاً مـعــدَّلا
مُشــذَّرا، مفـصَّــلا، مــوصَّــلا مشتبـه الصورة، صـدراً وصـلا
ضخم البنــاء، بمحكم القِرَان

أبـيــاتــه مـشـتـبـهـات نـظـمـا معـدَّلاتٌ فـي الضـروب قسمـا
مــنـفــصـلاتٌ صـورةً ورسـمـا متصــلاتٌ مـشكـلاتٌ وَسْـمــا
تـفــرزهــا بـنـمـرة الـعــنـوان

من قبلَه الدُّورَ رآها قـد مشت وفي فيافي الأرض كالسيف سطت
وأتهمت في سيـرهـا وأنجـدت وباهت الفُلك الجواري، وغدت
تفخـر بين سـائـر الأقــران.؟

يــسـحــبُـهـا بـقـوة الــبــخـار ذو هــيــبـةٍ، مــشــمَّــرُ الإزار
في الكرِّ والفرِّ، وفي الإحضار كالصخر حُطَّ والشهاب الواري
مـن الحـديد شكلُه اسْطُواني

تحذَر من سطوته أُسْد الشَّرى وتَنفُـرُ الـوحشُ إذا مـا زَفَـرا
يكـاد أن يسبق منك النـظرا إذا رأيـتــه عـلى الـخطِّ جرى
تنســرّ مـن رؤيـتــه العينــان

مُـقــرِّبٌ منــك بـعيــدَ الــدار وحــافظٌ مِـنْ وعَـثِ الأسـفــار
بـالــدرهــم المبْيضِّ والـدينـار فـي ظُـلّة مـنــه وفـي قـرار
راكـبُــه، ومـنـتـهـى تـهــانـي

* * *

فــاتّقـد البحــريّ منـه غضبــا واشتـدّ غـيظاً مفـظعـاً وحَــرَبـا
وقال: ما هـذا الذي لي وَثَبـا ولا درى عني، ولا لي حسبـا
وعـدَّني كالمنـزل الخـربـان.؟

دعاه قائلاً: أيا مبْـدي العجبْ رُدّ جـوابي، والتزم فيـه الأدب

واشرح لنا عنك حقيقة النسب وأمُّك الفاجرُ، قل لي أيُّ أب
وطئها، فجئت كالشيطان.؟
فلا رأيتُ منك قطُّ خاضعا ولا إلى بابي أتيتَ طائعا
تطلب إذني مستنيباً خاشعا حتى أعُدَّك إليَّ تابعا
وأرتضي باسمك في ديواني

* * *

فحملق البرّيُّ عينَه وشب كالأسد الضاري أشاطه الغضب
وقال: يا هذا الذي لي قد وثب وظن تيها أنه (أبو كرب)
أو صاحب الإيوان أو غُمدان
لأدبي تُومي، وتنسى نفسك لو كنتَ بريّاً قطعتُ رأسك
أو التزمْتُك الدوام حَبْسَك احفظ لسانك، وخاطبْ جنسَك
واحكم على بحرك والحيتان
لا شك أنك لعمري جاهلْ والبحرُ هل يوجد فيه عاقل
أو عالمٌ بخبر الأوائل ينقله عن ناقل لناقل
كابن الأثير، وابن خَلِّكان
فاصغ لقولِ ساطع الأنوار أخبرَني جهينةُ الأخبار
ذا السِّلكُ وهو كاتبٌ وقار وعالمٌ بخبر الأمصار
وما جرى قِدْماً، وفي ذا الآن
يقول: إن الروح للبخار والجسمَ للحدّاد والنجّار
والأصل واحد بلا إنكار من فكرةٍ وسِيعةِ المدار
ونورِ عقلٍ راجح الميزان
من قبل قَرْن قال أو زياده من فطنة ثاقبة الإجاده

بـقـدرة الإلّـه ذي الإرادة سـوَّتْك أصغَـرَ من المـزاده
ولـعـبـةً كـلـعـبـة الـصـبـيـان

صـرتَ قـليـلاً تنتشي قليـلا حـتى تعـاظمتَ وصـرتَ فيـلا
ثم استـويت بعـد ذا مُهيـلا تـحتـمـل الخـفيـفَ والـثقـيلا
في خُيـلاء الطبـع كـالسكـران

وبـعـده بـمـدّة قـلـيـلـه مـن فـكـرةٍ ثـانـيـة جـلـيـلـه
ولـدتُ بـيـن ســادة القـبـيـله أفـرّق الـشـعـب مـن الفـصيـله
في أحسن الـزمـان والمكــان

فلي عليك الفخر يا مجنون ومَـنْ بـوسْطِ بَحْـرِه مسجـون
وأنت قـل لي ما الـذي تكون يـا أجـوفـاً علتْ لـه قـرون
حتى تكون أنت من عُبدان . ؟

* * *

فجُنّ ذا البحـريّ من جـوابـه وكـاد أن يخـرج من ثيـابـه
وثـار مثل الـرعـد في سحـابـه أو كـالحـريق زاد في اشتبـابـه
في صيحــة مزعجة الأوطـان

وقــال: يـا أشـأمُ من بـراقش وفـي غيـاهـبِ هـواه طـائش
يـا وبَشٌ عـارضَني يُـفـاحشْ من ذا تفاخرُ . ؟ ومن تناقش . ؟
كـأنـك ابـنٌ لأنـو شـروان

أنا الذي فخري على كل الورى أثبتُ من نقشٍ أصـاب حجَرا
وأنتَ مَنْ هذا الذي بك درى يا كلبُ مِنْ عُواك أقلقتَ القُرى
حتى أزعَجْتَ سـائـرَ الجيـران

والسِّلكُ حاشا أن يقـول أصلُنا مِنْ واحـدٍ يا كـاذبٌ، وفَـرْعُنـا

كلّا ولكنْ قد دعَتْ بكَ المنى   لأن تكون لي قريناً في الدُّنى

فجئتَ بالزور وبالبهتان

عوراءُ جاءت والنَّديُّ مُقفِرُ   والسِّلك أدرى بي، ومنك أخبَرُ

وكيف وهو الكاتب المحرِّر   والكذْبُ عن أمثاله لا يصدر

وهو لسان الوقت والأوان

وأنت كاذبٌ عليه مُفترِ   تخبِطُ عشواء بلا تبصُّر

فاخضع، وسلِّم لفخاري المسفِر   أوْ لا، قذفتك بدهياءَ تُري

كالقصر تجتثك مثل (ماني)

وهذه الجنود حولي حاضره   مُسرْبَلين كالأسود الكاسره

تغشَى العدا وهي لأمري ناظره   تُرجِعُ نفسَك عليك خاسره

أخسرُ نفساً من أبي غيثان

* * *

فكرَّر البريّ فيه طرْفَهُ   ما كان إلا أن يسلّ سيفَهُ

وقال: يا هذا المدنّي حتْفَه   الشامخ المبدي إليَّ أنفه

أنا أبو ترابٍ العدناني

تريد أن أجيء تحت أمرك   وأن أكون خاضعاً لفخرك

أعماك تيهُك وزهْوُ كبرِك   ونظرةٌ نظرْتَها في كُبْرِك

فزدتَ في (الخُبال والجُنان)[1]

اعزُبْ عدمْتُك بلا وقاحه   وارغَمْ بأنفِك بلا بجاحه

أو كن أسيراً عند هذي الساحه   لكيْ تعيش مُنعَماً في راحه

من نظري السامي على كيوان[2]

---

(١) في المطبوع: (فبؤت بالغبن وبالخسران). والكُبْر: الشرف والرئاسة.

(٢) كيوان: نجم.

أوْلا، قطعت منك ذا الأنف الأشمْ وأشممَنْك منه عطرَ مِنْ منْشَمْ[1]
بصارمي الماضي، وأُوليك العدَم أو أغرقَنْك وسط بحرك الخضَمْ
مثل (الوليد)[2] صاحب العصيان
واعلم بأن لو قد أثرتَ قَذْفه أو لو رميتَ من كروب حذْفَه
ألحقت بالطُّرْبينِ منك رجْفه تشقُّك اثنين كشقّ الصَّحْفه
من غير ما أمدّ في عناني

* * *

فشالت[3] البحار بالأمواج وثارت البرور بالعجاج
حتى غدا الجو كليلٍ داج من شدة الخصام واللجاج
ومالت الأقران للأقران
فأبصرَ السِّلكُ العليُّ ذو العَمَدْ ومن له الرأيُ السديد المعتمد
تَقابُلَ القومِ، وما كلُّ حشَدْ من كل (وابورٍ) لضدّه استعد
ليث وليث متقابلان
فقام بين الفئتين يندُب وقال: أيها الفريقان، اقرُبوا
واصغَوْا لما أقول حين أُعرِب والحرب بَعدُ عنكمُ لا تعزُب
إن لم يوافقكم هدى تبياني
فأقبل الكلُّ إليه يقرب لعلمهمْ بأنه لا يكذب
وفي الأمور كلها مجرّب فابتدر الحديثَ فيهم يخطب
وقال منشداً بلا توان

---

(١) منشم: امرأة تقول الأساطير العربية: إنها كانت بائعة عطر مشؤومة.
(٢) الوليد: يقصد فرعون موسى، فإن الإخباريين يزعمون أن اسمه الوليد.
(٣) فشالت: ارتفعت.

الحرب تبدو للجهول الأحمق حسناءَ في قدٍّ، وفي خدٍّ نقي
حتى إذا اشتدت كشدّ الأبلق أرته ما يكرهه في المأزِق
وفُرقة الخلّان للخلان

كم من فتى ظلَّ رهين حبها فحدّثته نفسه بشبُّها
فشبَّها مبتهجا بقُرْبها فكان أولَ قتيل صحبها
مهمَّلاً للوحش والعُقبان

فخبِّراني ما الذي أدَّاكما للحرب؟ أو من ذا الذي أغراكما. ؟
وليحسن الظنة بي كلاكما لأنظر الغيظ الذي غشاكما
والحكم عندي بعدُ يا إخواني

أنا الذي شققت كل برٍّ وخضت سالكاً بكل بحر
عن كل أخبار الديار أدري في جهر ما أدّوْه أو في سرّ
وفتنة (الروس) مع (اليابان)

* * *

فأفصح البحريّ عن مقاله كأنما أُنشط من عقاله
وقال: يا من جلَّ عن مثاله وعالماً بحالتي وحاله
يا قلم الزمان والسلطان

أنا الذي أقرَّ كلُّ الناسِ بشدتي وقوتي وباسي
وأنني مقرِّب المراسي وناقل الأجناس للأجناس
وأحمل الأثقال في ضماني

لمَّا بدا لي ذا الفتى القصيرُ وخلفه قطارُه يسير
وهْوَ به في جُنة يطير وشق منه مسمعي الصغير
ناديته في ذلك الأوان

: يا صاحب القطار بيِّن حَسَبَك واشرحْ ليَ الحال، وصحح نَسَبَك

وكـن إلـيَّ طـائعـاً لأكتُبَـك   مـن حشمي، وأُبْلغنْـك طلبَـك

من كـل ما تـرجو من الأمـان

فـازورَّ كـالشيـطان ثـم سبّني   مـحـقّـرا حـقـي، وزاد ذمَّـني

منـتسـبـا لـنسـبٍ أهـمّـنـي   رواه عنـك فـي كـلام غمّني

وعـنـك كِـذْبُـه لقـد آذانـي

* * *

فـالتفت السِّلكُ إلى البـرِّيِّ ثَمْ   وقال: خصمكَ ليَ الدعوى نظَمْ

رُدَّ جواباً يفلق الصخر الأصم   بـالحق في تعبيـره لا بـالعـظَم

مثل جواب ذي الهدى: حسان

فـامـتـثـل الـبـريّ لـلجـواب   مـن غير ما عُجب ولا إعجاب

وقـال: طـبْ يـا سيّد الكتّـاب   وأعـرَفَ الحُسّـابِ بـالحســاب

يـا مصـدر المظلوم والحيـران

أنت ابنُ بجدة الطريق المشكل   ورادعُ الـمـطوَّر الـمـطوَّل

وصـاحبُ البنانِ بـل والمقْـوَلِ   ومـرجـع الـمـلوك والـمـؤمَّل

حـظيتَ بالـرضـا وبـالـرضـوان

اسمع جوابي عن تعدِّي خصمي   أوّل مـا فـاجـأني بـالشتْم

وزادَ أن سـألـنـي بـالـحَـتْـم   ممَّنْ أنا.؟ ومن إليه جِذْمي.؟

كـأنـني ممـلـوكـه، أوْ عـانِ

أجبتُ عمـا عنـك حقـا أعلمُ   والحُـرُّ ليس قطُّ يـرضى يُـظلمُ

وبـادىء الـشــرِّ دوامـاً أظـلمُ   كبـادىء الخيـر دوامـاً أكـرَمُ

فلُحتُه[1] بـقـدر مـا لـحـانـي

* * *

فـالتفتَ السِّلكُ إليـهمـا مـعـا   وقال: ما قصدُكما كي أسمعا.؟

---

(١) فلحته: لعلها: لحوْته.

وأحسمَ الذي لذا الشرِّ دعا لا زلتُما. لا زلتما لعا لعا[1]
فلا تَباعَدا، وصدِّقاني

* * *

فجاوبَ البحريُّ بالكمال وقال: يا ذا المجد والجمال
يا مرجع الجواب والسؤال ما مقصدي إلا انتظام الحال
لستُ بظالمٍ ولا تَيْهان

فمُذْ بدت رؤيةُ هذا الشكلِ يُشبهني في مشرب وأكلِ
ورحلةٍ، وسفَرٍ، ونقلِ وزادَ عن أجناسه و المثْل
ولا رعى حقي، ولا راعاني

أغلظتُ في القول وفي التشديد لرُتْبتي الكبيرة التحديد
حتى يسارعَ إلى تمجيدي وألحقَنْ مُناه بالتأييد
ويُصبحنَّ شاكرَ السلطان

أما رأى أنَّ ليَ الإشاره وهي العلامةُ على الإماره
وما درَى أن ليَ النِّظاره عليه، وهي تَتْبع الكَباره
وأين حيدر من السرحان[2]

فإن يشا الإكرامَ والإعزازا وأن يُرَى بين الورى مُنْحازا
فليعترفْ بي سيِّدا مُجازا أكْتُبُ إن حبَّ لهُ امتيازا
وإن أبَى فالحكم لليماني

* * *

فحمدل البريّ ثم صلى على النبيِّ بعد ما استقلا
كأنه قد فاز بالمُعَلَّى أو يومَ حلْبة الرهان جَلَّى
كأنما ينطِق عن سَحْبان

---

(1) لعاً: صوت معناه الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته.

(2) حيدر: الأسد. والسرحان: الذئب.

وقال للسِّلك: استمع يا سيّدي يا من به مَنْ ضَلّ دوماً يهتدي
كفَى بشـاهـدٍ عليـه مُـرشـدٍ كما سمعتَ منه، وهو المعتدي
وقـصـدُه أجِي عـلى الهـوان
مـا كلُّ بيضـاء لعمري شحمـه ولست رخـواً يستلين عَـجْمـه
فلْيَلْزمَنْ معي طـريق الحشمـه ويعـرفَنْ مـا قـدّرتْه القسمـه
لـيَ الأراضي، ولـه المـاءان
والبحـر لم أعـرف بـه أميـرا كـلاّ، ولا مَلْكـاً، ولا وزيـرا
ولا عليمـاً كـامـلاً نـحـريـرا حتـى أظـلَّ عـنـده أسـيـرا
هيهـات هذا.! لست بـالجبان
إن حصحص الحقُّ فإني الأرشد وفي المحـل الثُّبْت منـه أركَـدُ
ومنـزلي بـيـن الأنـام مُسْعـد مـا فيـه فـي أوقـاتـه مـا يُنقَـد
كـالحَمَلِ البُرْج، وكـالميـزان
والـعقـلُ يُثبـتُ الأمـارة إلـيْ وأن يكـون هـو محسـوبـاً علـيْ
وليُذعنَنْ أنْ ما لَهُ في الأمر شيْ وأمْـرَهُ في حكمـه طـوعُ يـدَيْ
أوْ لا، فذا سيفي، وذا سناني

* * *

فـأطـرَق السِّلكُ مليًّا بعـد مـا قـد أخبـراه بـالـذي عـنـدهمـا
فـنـظر الكـلُّ إلـيـه مُعْـظِمـا وقال: يا ذا السؤددِ الذي سما
أغث بحكمك صَدَى اللهفـان
فقـال: عنـدي لكمـا نصيحـه يا قوم قد جادت بها القريحـه
عـظيمـة، بليـغـة، فصيحـه، يجلو القلوب نـورُهـا، مليحـه
بـديـعـة الألفـاظ والـمعـانـي
مَـن سـرَّه بـأن يُـرى حميـدا وسيـدا بيـن الـورى مجيـدا

وأن يـعيش دائـمـاً سـعـيـدا   فلْيَلْوِ عن دنيـاه هـذي جيـدا
ويجبـر النفس على الإحسـان
فخيـر مـا يكسبـه أهـل الـزمن   تجـربـة تــوفِّـر الخلْق الحسن
مشــرَّفـاً مقـامُـه عـن الفتـن   مـطـهَّـراً فـؤاده عـن الإحـن
وكـل مـا ســوى الإلّـه فـان
وأنتمـا ـ لا شـك ـ عـاقـلان   والـعـارفـانِ لا يـعــرِّفـان
وقـد حكمـتُ حكـم الائـتمـان   بـالسلـم والصلـح، وتُـعلِـنـان
بـالأمن في الجنـود، والأمـان
وحـررًا بـالـواقـع الـجلـيّ   حكمِـيَ في الكلـيِّ والجزئـيّ
بـأن مـا في اليمِّ لـلمـائـيّ   وكـل مـا في البَـرِّ للبـرِّي
وأنـتـمـا بـالفصـل راضيـان

* * *

فـشـكـرا الـتفـاتـه الـجليـلا   وسـعْـيَـه وصُـنـعَـه الـجـمـيـلا
وبَـرَّ كـلٌّ مـنـهـمـا القـبـيـلا   يـراه قـد صـار لـه خليـلا
وختـمـا بـالشـكـر للمنّـان

* * *

ما أحسن الأشياء يوماً إن أتت   عن أهلهـا لأهلهـا، وصـادفت
محلَّها، كما لـديك قـد ثبتْ   في هـذه البـديعـة التي وفت
بـكـل بيـت جيّـد الـعـمـران
من صُنعِ إبراهيمٍ الأُسكـوبي   خطيب (دار الهجرة)، المنسوب
لخدمـة العلم بهـا، المحسوب   على الشفيع الهاشمي المحبوب
(طه) البشيـر، سيّـد الإنسـان

وأختِمُ المقصد من كلامي ... بأفضل الصلاة والسلام
على النبيّ أشرف الأنام ... وآله، وصحبه الكرام
ما تُليت على مدى الأزمان

— ٥٥ —

وقلت، راثياً (الشريف عون) بيك، ابن (الشريف محسن) بيك، سبط دولة سيدنا (الشريف علي) باشا، أمير مكة المكرمة، ومات صغيراً، عمره ثلاث سنين، وذلك سنة ١٣٢٤ هـ:

عيني لفقدك لا يُرْقا لها دمع ... فيا لبُعدٍ له في مهجتي صدع
يقول والدُه: كيف العزاء.؟ وهل ... يا(عون)في الصبرمُذفارقتني نفع.؟
قالوا: ستُسْلينيَ[1] الأيامُ عنك بأن ... أنساك، كلّا، وأنت العَين والسمع
يا فلذةً من فؤادي فلّذَتْ كبدي ... فلا ملام على وجدي، ولا بِدْعُ
طلعتَ كالكوكب الساري تؤنّسني ... فغبتَ والصبحُ لم يطلع لَهُ لَمْع
ما كان أقرب ما أوليتني فرحاً ... حتى دعاك إلى حزني الذي يدْعو
لله منك قصير العمر طال به ... ليلي، فلا النوم يهنا لي، ولا الهجْعُ
فكم صغيرٍ كبير في مصيبته ... ما هان لا، والذي عدَّت له السَّبع
هي الليالي فما أدنى إساءتها ... وهي الحوادث في أذنابها اللَّسْع
فلا يغرَّنْك منها أنها ضحكت ... فليس يأمن مَنْ في ثوبه السبْع
ولا تُمِلْك الدُّنَى يوماً بزينتها ... فالكذْب والغدْر في أخلاقها طبْع
من جرّب الدهر يعرف حاله أبداً ... وليس يخفى الذي في طبعه لذْع
وأنت يا ابن رسول الله سيّدنا ... وكل شيء أرانا قدره الشرْع
وفيك أحسن ما يرجو المؤمِّل من ... خير، ولله منا العَوْد والرُّجْع

---

(١) في الأصل: تسلّيني.

وفي أبيك وخير الخلق معذرة		فلا يربْك زمان كله فجْع

وذو المعالي (عليٌّ) أنت أثبت من		إليه يلجأ مهما نابنا روْع

إذا سلمت فعلْيا المجد سالمة		لا يعتري عزّها خفض ولا وضع

وأنت ذو الهمة العلياء مَنْ عَجمَتْ		منه الليالي قريعا عُودُه نبْع

فـ (آل عون) وكل العُرب ناظرة		إلى شبا منك محفوظٍ به الربْع

وفي شريف المساعي محسن ثقة		بأنك الحصن في ما ناب والدرْع

وأنك الملتجا في كل نائبة		وأنك الأصلِ لوْ أنْ فاته الفرع

فالله يجبره فيه ويُعْظمكم		أجراً ولا فضَّ منكم دائماً جمْع

فاسلم ودم يا ابن (عبدالله) ما طلعت		شمس، ووالَى ثرى أسلافك الهمْع

– ٥٦ –

ولما أُصبتُ بداء الفتاق، ولأجل الشفاء رحلت إلى مصر، فمنّ الله تعالى على عبده بشفائه، وذلك بهمة دولة سيدنا أمير مكة المكرمة الشريف (علي باشا)، وقد أرسلني مع كمال الراحة والاعتناء، وأوصى عليَّ (صالح بيك سليم) وكيله بمصر، وأكرمني بما يلزم منه المُنصرِف، وذلك في رمضان عام ١٣٢٣ نظمت القصة من أولها إلى آخرها.

الفتق داءٌ أقبح الأدواء		سقم دواماً واحتدام بلاء

لا راحةٌ معَه، وهل من راحةٍ		في من تراه معطّط الأحشاء[١]. ؟

قصواه أن الموت خير للفتى		من أن يعيش بمثل هذا الداء

لما أُصبْت به أشاروا بالحزا		م، وأنه سدٌّ عن الإدلاء[٢]

فأخذت عن أنواعه بحثا، وعن		أشكاله طلباً من الحكماء

فاخترت ما اختاروه لي مما على		تحفيظه ذي قوة وغَناء

(١) معطط الأحشاء: من العط، وهو الشق، أو الثني بلا كسر.

(٢) الإدْلاء: يقصد تدلّي الفتاق.

فربطته زمناً فكان غَناؤه
لم يُغن، مما زاد منه عنائي

فكأنما هو حيّةٌ طبقت على
وسطي، لها رأس عظيم حُماء[1]

عقدت ذنابَى ذيلها في رأسها
وتشبّثت شدًّا على أعضائي

وأتى لها فرخ فشدّ برأسها
وثَنَى بفخذي ذيله لورائي

فتحاملا شدًّا على الفتق الذي
منه غدت منحطّةً أمعائي

يا بئس من غلّ يؤمّل نفعه
يا بئس من صفدٍ يراه الرائي

ومن العناية أن لُحِظتُ بنظرة
ميمونة من سيّد البطحاء

ذي المجد، سيِّدنا (عليٍّ) مَنْ سما
أوْج الكمال بهمة علياء

وله بخير الرُّسْل أعظم محتدٍ
سام، وأشرف نسبةٍ غرّاء

سمحت مكارمه بإرسالي إلى
مصرٍ لأن أحظَى بنيْل دوائي

وأجازني ما تقتضيه لوازمي
في رحلتي من كفه السَّحّاء

لا شك يا ابن المصطفى قلّدتني
مِنناً بها استقصيت كل ثنائي

هيهات أنساها مدى عمري، وإن
أنا متُّ، قام بشكرها أبنائي

لا زلتَ ملحوظاً بعين عناية
وأثابك المولى جزيل جزاء

فرحلتُ في كنف الإلّه ميمِّماً
مصرا، وجُلُّ القصد منه شفائي

ومن العناية أن وجدتُ أجلَّ مَنْ
يُقنَى لحفظ مودةٍ وإخاء

متهيئاً لي إذ دققتُ من السويـ
ـس إليه سلكاً حاضراً بإزائي

فرأيتُ منه أغرَّ، ملءَ ثيابه
كرماً، ووجهاً كامل اللألاء

وبشاشةً ضمنتْ جميع مطالبي
ووفتْ بأحسن طِلبةٍ ووفاء

لا زلتَ (صالح بيك) يا بن (محمد)
ترقى بكل مزيّة قعساء

من لي بأن ألقى فتى شرواك في
كسب الجميل، مكمَّلَ الآراء.؟

---

(١) حُماء: جمع حُمَة على غير قياس، وهي سم كلّ شيء يلسع، أو الإبرة التي يحصل بها اللسع، والقياس: حُمىً، وحُمات.

يهتمّ مثلك في حكيم ماهـر — في مصر لي آسٍ، من العقلاء
فأجال همّته العليـة، واستشا — ر أولي النهى من كل صاحب راء
فأشار كـلٌّ قائلا: (ولد يشو — قك) من حكيمٍ فائق النظراء
ذو دقةٍ، في حسن طبع، فائتٌ — أقرانَـه في فطنـة وذكـاء
فأتى إليّ ووجهُه متهلّلٌ — ببشارة قوّتْ عظيم رجائي
وأفاد: للألمان مستشفى هنا — في حسن تنظيم وشكل بناء
وعليه ناظرةٌ غدتْ في زيٍّ أكـ — ـمل راجل عقلا، ولطف نساء
وبه حكيم في الجراحة ماهرٌ — وموكّل بإزالـة الغـمّـاء
نمضي إليه سُوىً، ولا تيأس، ولا — تحذَر، وطب نفساً بحسم الداء
فمضيتُ مَعْه إليه مَعْنا كاملا — ن، علا مقامهما، من العظماء
: نجل الرسول الشهم (فيصل)، والزّكي — (خورشيد) وافي الشيمةِ البيضاء
فقضى الكلامُ لدى الحكيمِ، وتم أن — أبقى، وأن يهتم في (إبرائي)
واختار أحسن موضع، في الرتبة الأ — ولى، وأبقاني بخير بقاء
وأفاد (صالح بيك) عند وداعه: — مهما أردتَ حضرت وقتَ ندائي
واحذر تهمّك حاجةٌ والسلك عنـ — ـدك دُقّه ما أنت عني ناء
فمضوا إلى الحمّام بي، فدخلته — حتى استرحت (وفقتُ) من وعَنائي
ما خلت إلا أنني في جنّة — من حُور عينٍ يطّلبن رضائي
والكلُّ محتفل لديّ بخدمة — ما خلتُ تفعلها معي قُربائي
فَحُميتُ إلا عن حليبٍ مدةً — ما ذقتُ شيئاً، وهو كان غذائي
لمّا انقضى يومان حلّوا بي إلى — مقصورة، في مخدع متنائي
فسُدحتُ في كرسيِّها، وأتى الطبيـ — ـبُ يحفّه ناسٌ من العُرفاء
شدُّوا يديّ بنشطتيْ كرسيِّها — واستوثقوا فخذي عن الإلوا

وأتوا بقطن فيه بنجٌ، خمّروا ... أنفي بثانية من الآناء
فبقيتُ بين يديهمُ واللّهِ ما ... أدري بأرض صرتُ أم بسماء
شقُّوا وخاطوا كيف شاءوا، لا أعي، ... لا تحسبنْ أني من الأحياء
ثم استفاقوني على عرشي القديـ ... ـم، وما بَقِي لي غيرُ بعض ذمائي
فطفقتُ أنظر في محلّ لم أكن ... فيه لدُنْ عمدوا على إغمائي
وسمعتُ صوتاً كالمنام يقول لي: ... لا بأس، طبْ بإزالة البأساء
فلبثتُ ذاك اليوم في ألمٍ وفي السَّـ ... ـكرات، لم أفقَهْ من الإعياء
أمرَ الحكيمُ بأن أكون ممدَّدًا ... (دَوْرَيْن)[1]، شبه ملصّقٍ بغراء
وعلى يساري مهمز الجرس الذي ... أيًّا أردت وجدته تلقائي
والكهربا جنبي متى حرّكتها ... سطعت (تضيء لنا)[2] كنور ذُكاء
من بعد خمسةَ عشْرَ يوماً آذنوا ... أني أقوم فقط لأكل غذائي
للّه من هذا الحكيم، فإنه ... مَلَك أتى يدْعَى إلى حواء
فإذا تكلّم خلتَ بُقراطاً غدا ... يُلقي بدائعه على الجلساء
طلق المحيّا، واسع الأخلاق، ذو ... لفظٍ يسرّ خواطرَ (المُرضاء)
فيه حنانات الشفيق، وعطفة الـ ... ـخلّ الرفيق، ورأفة الآباء
لَوْ رامَ بين الجلد واللحم الدخو ... ل مضى سريعاً، في أدق خفاء
فكأنه من لطف صنعته وخفَّـ ... ـةِ ذاته جزء من الحوباء
ما خلتُ أن بمصر، بل وأُرُبّا يو ... جد مثله، بل سائر الغَبْراء
فاللّه يلحظه بعين عنايةٍ ... للمسلك الأسنى، وطول بقاء
ومُذِ انقضت عشرون يوماً آذنوا ... في موضعي مشياً بغير تنائي
فعجزتُ عن أن أستقلّ، لأنه ... قد طُوِّلت بي مدة استلقائي
ما زلتُ حتى أن مشيتُ بصحةٍ ... مقرونةٍ بزيادة النَّعماء

(١) دورين: أسبوعين ـ بالعامية الحجازية.

(٢) زيادة لإقامة الوزن.

سبحان من ألقى على دائي الشِّفا ءَ، وبــدّل الضـرّاء بـالسَّـراء[1]
وله تمامُ الحمدِ والشكر الجزيـ ـل، دوامَ كلِّ غدٍ وكـلِّ مساء
وأزيدُ في شرف الصلاة على النبي وآلِـه وصـحـابِـه الـنـجـبـاء

— ٥٧ —

وقلت، مشطراً بيتين للشيخ عثمان الراضي، أرسلهما لدولة سيدنا أمير مكة المكرمة: (الشريف علي باشا)، وقد أتاه مولود، فقصد دولة الأمير بهما على طريق المفاكهة:

(الـعـبـدُ يُـنـهـي بـعـد تـقـبـيله) أعـتـابكم حُسْـنَ الـثـنـاء الأتم
ولا عــجـبٌ إن، أتـى لاثـمـا (أقـدامكمْ طفـلٌ عليـه قَـدِمْ)
(وهـو إلى اليوم ولا اسمٌ لـه) مـنـتـظـر منكـم عـظيم الـكـرم
أقسمـتُ أن لا أضعـنَّ اسمـه (حـتى يـسمّـيه ولـيّ الـنـعم)

— ٥٨ —

وقلت، مهنئاً أمير مكة سيدنا (الشريف علي باشا) ابن المرحوم سيدنا (الشريف عبدالله باشا) بعيد المولد الشريف[2]، يوم ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٤:

شـوقـي إلى لـقـيـاك زادا وهــوًى ينازعني الـرشـادا
فـإلامَ يـطـمـع نـاصـحـي والحب قـد غـلـب الفـؤادا
وبُـلـيـت مــنـه بـمُـعْـنِـت يـقـضـي عـلـيّ بـمـا أرادا
لا أسـتـطـيـع دفـاعـه وجـدا، ولـم يـقـلـع عـنـادا
هـو مـا جنتْ عيني، فـلا قـرّت، ولا ذاقـت رقـادا
حـسـبـتْ بـأن الـزاد يـو م البيـن نـظـرتُـها سعـادا

(١) الصحيح لغوياً: بدّل السراء بالضراء، لأن الباء يجب أن تدخل على المتروك.
(٢) من المعلوم أنه ليس للمسلمين شرعاً غير عيدين.

(فملَتْ) حشاي بها هوى وجوى توقّد بي اتقادا
يا نظرة أرقتْ لها عيني، وحالفت السهادا
هلاّ وجدت سوى الجوى يوم النوى ماءً وزادا
مَنْ لي بمن جلّت عن التـ ـمثيل في الحسن انفرادا
وأرتك أن من القدو د تخالها أسلا صعادا
ومن الجفون السود ما يدعونها بِيضا حدادا
هيفاء مالَ الرمحُ قدًّا والرطيب الغصن مادا
كالبدر لولا أنّ منـ ـها الحسن ما قدّرْتَ زادا
ما الراح طاب عبيرُها شجّت بذي شبَمٍ بَرادا
كلاّ ولا سمط اللآ لي البيض تعجبك انعقادا
يوما بأشهى من مقبـ ـلها وأجمله انتضادا
يا من رأى شمساً مشت في زيٍّ حسناءٍ تهادى
من دونها سُمْرُ القنا والبيض تطّرد اطرادا
والأعوجيّات العتا ق صواهلا، قُبًّا، ورِادا
شُمسًا كأمثال السعا لى، غير أن سلست قيادا
من حول أخبيةٍ رفيـ ـعُ المجد قام لها عمادا
فيهنّ من زُهر الكوا كب من شقيتُ بها بعادا
وبها من الغُلْب الأُلَى وسعوا مُحارِبهمْ طرادا
أيًّا تراه تقول: ذا - لا شك - أطولهم نجادا
وأبرُّهمْ كرمًا، وأوْ سطُهم، وأكثرهمْ رمادا
لا يشرئبُ لعاجلٍ حتى يرى منه المعادا
غيرانُ يهتكك اختبا را قبل تؤنسه انتقادا
هيهات تبلغ يا فؤا دُ من التي بعدت مُرادا

كيف الوصال وما أخا ... ل بأن تؤمِّل أو ترادا
بَيْض الأنوق وإن تبا ... عدَ دون مبلغها ابتعادا
هي طِلْبَةٌ من رامَها ... من رام يخترط القتادا
واليأس إحدى الراحتيْـ ... ـن، فرح تُرِحْ منك الفؤادا
إن فاتت الحسناء ما الـ ... ـعلياء فاتت أن تنادى
فأهِبْ لها باسم الشريـ ... ـف، تصِلْ لها، أو أن تكادا
ملِكٌ بفيض يديه هنَّـ ... ـى الخَلْق طرًّا، والبلادا
ومسودٌ بالعدل أرْ ... ضَ اللّه حكما، والعبادا

* * *

يا من إلى طه الرسو ... ل علا انتساباً واستنادا
ظاهرتَ بين شمائل ... بِيض، ونَجْرٍ منك سادا
وحكيتَ باسمك والسما ... ت (عليًّا) الجودَ الجوادا
وأباك (عبد الله) سيِّـ ... ـدَنا مزيّاتٍ سدادا
لولاك قلنا: أعقمت ... من بعده الدنيا (ولادا)
هي مكة، ولك الإما ... رةُ أصبحتْ فيها تلادا
عن أكرمينَ ورثْتَها ... فازدد بها كرماً مُزادا
من يطَّلب فيك الصفا ... تِ الغُرَّ أعيتْه عدادا
لمّا بنيت المجد دا ... رًا، واتخذت الجود (عادًا)
وبك الليالي أزهرت ... أمنًا، وأخمدْتَ الفسادا
لم يبق ذو شكوى ولا ... متغطرس حتى يذادا
سادت (بنو عوْن) حُلُو ... مًا رُجَّحا، وورتْ زنادا
حذْوَ الشوابتِ طلعةً، ... وهدًى، وشبْها، واتحادا
لا يمتطون سوى العُلَى ... والخيلَ ضامرةً جيادا
يُهنيهمُ بك سابق ... ملءُ الإمارةِ، لا يعادى

مـن ذا يســابـق مَـنْ غـدا | في السبق أبعدَ منه، مـادا
وكـفـى بـسـيّـدنـا لـهـم | جاهٌ عـظـيـمـاً واعـتـمـادا
لـيـثٌ مـتـى استصرختـه | غيـثٌ متى تـرجوه[1] جـادا
مـلأ الـقـلـوب مـهـابـةً | ومـلا الـنـفـوس لـه ودادا

* * *

هـذا ربـيـعٌ وهـو مـوْ | لِدُ مَنْ رقَى السبعَ الشِّدادا
تـجـلـو بـه الـبـدر الـمـنـيـ | ـرَ، وتستـطـيب بـه المـرادا
قـدْرٌ لـيـالـيـه وعـيـ | ـد كـل يـومٍ منه عـادا
أسـدى بـه الـمولى هـدىً | مـن نـوره القدسـي مُفـادا
فـلأنـتَ أولـى مَـنْ بـه | قـام احـتـفـالا واحـتـفـادا[2]
وإلـيـك خَـوْدا مـن بـنـا | ت الفكـر وافَتْـك انتشـادا
فـي مـنـطـق لـولاه مـن | سُكـرٍ حسبت به (شِهادا)[3]
بـاهَـى نـفـيس الـدرِّ تـنـ | ـظمـه تـوامـاً أو فـرادى
رفـع الـبـيـانُ بـيـوتَـهـا | بـالحمـد فيـك بنـاً وشـادا
وعلى الـرَّءوف بنا، المشفـ | ـع، خير مـن وطئ المهادا
أزكـى صـلاةٍ لا انـتـهـا | ء لـهـا يـعَـدّ ولا نـفـادا
والآل مـعْ أصـحـابـه | مـا أسبـل اللّـه العِهـادا[4]
وأتـى ربـيـع دائـمـا | بـعـلاك مـسـرورا مُـعـادا

---

(١) لم يجزم فعل الشرط، وكثيراً ما يفعل هذا.
(٢) الاحتفاد: الإسراع.
(٣) شهاد: يقصد شهدا.
(٤) العهاد: المطر.

وقلت، متشكراً من دولة سيدنا أمير مكة المكرمة: (الشريف علي باشا) على التفاته بعطية سنية قدرُها ثمانون جنيهاً انكليزية عيناً، وذلك في ٢١ ربيع أول عام ١٣٢٤:

(إن الثمانين وبُلِّغتها) في الملك محفوظاً بسور الأمان
حلّت محلّ النفس من شاكر إحسانَك الوافرَ في كل آن
واستوجبت مني الثناء الذي يبقى مدى الدهر فصيح اللسان
في منطق يشبه غراتها حسنا، بديع اللفظ، عذبِ البيان
أربى على الزُّهر بما حاز من أوصافك الغرّ، وعقد الجمان
وافتتح السمع برنّاتها من حيث أغنت عن سماع المثاني
كلّا، ولم تُحوج إلى مفصح عني ولا سمعي إلى ترجمان
تاهت على الشمس جمالا، ولا غرو بأن باهت وجوه الحسان
تزيد في العقل، وإن شئت قل تفعل ما تفعل بنت الدنان
ما نظر الناظر في كفّه أمثالها إلا غدا في تهان
فاضرب بخيالٍ لها ما تشا من حادث الدهر وصَرْف الزمان
يا حبذا من فارس فارس يغتال ذئب الفقر شاكي السنان
لله درّ (العبْدليّ) الذي أرخصها يوم ندى أو طعان
واقتنص المجد بها من ثنا ء الوفد، أو من مطلقات العنان
سار على سيرة آبائه في بذل جود واتساع امتنان
في نسبة فيها (الخليل) الذي سنَّ القِرى، واختار أسنى مكان
والطاهر الهادي شفيع الورى والصهر ثبت الجأش، ثبت الجنان
سل (آل عون) عن سبيل العلى واغلِبْ بهم يوم وغى أو رهان

* * *

سيّدنـا أنـت (عليٌّ)، ومَنْ مِنْ دون مـرقاه غـدا الفرقـدان
بـاهت بـه أمّ القـرى إذ غـدا إحسـانـه في كـل قـاص ودانِ
فاسلـم هنيئاً، وابق في نعمـة بـالسعد تترى ما بقي النيِّران

— ٦٠ —

وقلت، مهنئاً دولة أمير مكة سيدنا الشريف (علي باشا) بمقدمه الطائف، وذلك في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٤ هـ:

يا لك من روض بهيّ المنظر يفـوح عن مسـك ثـرىً إذفـر
أغـنٌ تشـدو الـوُرْق فيـه على رشيق غصن البانـة العبهـري
جـرّ عـليـه الـغـيـث غـاديـة محبـوكـة مـن جوده الممطـر
ومـدّت الـسُّحـب عـلى أفقـه ستـراً ظليـلاً عنـه لـم يقصـر
تميس عن مثـل قـدود الـدمى أغصـانـه في الـورق الأخضـر
إن خـدود الـبيض مشـتـقّـة حمـرتُهـا مـن ورده الأحـمـر
ومن ثغـور الغيـد مـا لاح من نَـوْرِ رُبـاه المسفـر المزهـر
فهو عـلى مـا شئت من نضرة بـديعـة، وَفْق مُنى المبصـر
قم واصـطبحني فيـه من قهـوة مثـل شعاع الشمس، أو أزهـر
مضى عليهـا الدهر لـم يدْرِ كم في دنهـا مـرٌ من الأعـصـر
تخـالهـا فـي الكـأس يـاقـوتـة كـلاّ وبـاليـاقـوت بـل تزدري
مـا نـافـح المسـك لـديهـا إذا مـا استفْتهـا طيبًـا، ولا العنبـر
أولـدهـا المـزجُ حبًـا بـاسمـاً كـالـدرّ لم يثقب، وكـالجوهـر
شمس بها طاف أخو البدر في سنىً بهـاء الـكـوكب الـنيِّـر
وزفّـهـا بِـكْـرا تـجلّت عـلى صـوت هـزارٍ أو شـذَى مزهـر
لا تـألف الهـمّ ولا تـنـتحـي إلا إلـى ذي كـرم أشْـهَـرِ

وانظر لكسرى الملْكِ في صورة ... في كأسها المذْهَب، أو قيصر
في خدّ ساقيها وفي كأسها ... ورْدان: من زهر ومن مسكر
وفي الذي فكري به جاء ما ... يُغنيك عن خمر وعن ميسر
من كل معنى مطرب ريّق ... بسلب لُبّ السامعيه حَري
ما دارُ حسانٍ ولا قوله ... عنها بعيدٌ، فانقُدن تُخبَر
أنشدتها بكراً تمادت على ... وصف ابن خير الخلق من حيدر
سيّدنا الشهم (عليّ)، ومَنْ ... حَمَى حِمَى البيت، الأمير السّري
هو (ابن عبدالله) غيثِ الندى، ... غوثِ الصريخ، الأشرفِ، الأطهرِ
فيك الذي فيه، ولولاك مِنّا ... الكسرُ مدى العمر لم يُجبر
ناهيك من فرع عن الأصل لم ... يقصر، زكيّ النّجْر والعنصر
من (آل عون، آل طه) وهمْ ... خير قبيل، بلْهَ أو معشر
ما في بني عدنان طرّاً لهمْ ... مُقارِن، كلّا، ولا حِمْير
مثل سبيك التّبْر، من كل ذي ... فعل ظهير الحق، أو مصدر
يلقاك منه مسعرٌ للقِرى ... ومنه تَلقى البأس في مسعر
سمَوْا إلى العلياء في مرهفٍ ... ماضي الشبا، أبيضَ أو سمهري
ونثرةٍ غالى ابن آشابها ... موروثة حصداء، أو مغفر
كفَى لواء العزّ يعلو به ... منهم أغرُّ النسب الأظهر
أمير بطحاء المقام الذي ... يُدْعى لإبراهيم والمشعر
سيّدنا، من لا يسامَى عُلاً ... من غير ما دان، ولا منكر
ذو السؤدد الضخم، ومَنْ قدرُه ... من فوق هام النجم والمشتري
فاضت ضوافي الأمن منه، بلا ... نكرٍ من العدل، ولا منكر
ودانت الأُسْد له هيبةً ... مبهوتة منه بليث جري
فليس من شاكٍ ولا مشتكٍ ... ولا أخي خوفٍ ولا مجترٍ

فـارحل إلى مـا شئت في أمْنه   من ساحل (اللِّيث) إلى (خيبر)
وانــزل بــه كــل قبيــل فـفي   ســورٍ لــه أنت وفي عـسكــر
قـل لمُنَاويـهِ: هلكت، اعتبِرْ،   واخضع على الرغم له، واحذر
هيهــات أن يُـدْرَك شـأوٌ لَــه   فطُلْ به في المدح، أو فاقصُرِ
أخـلاقـه البيـض بحــور، فـلا   تفنى بما في الشعر من أبْحُـر
لا غــرو أن يـمــطرنـي كـفُّه   تبــرًا، وأن يجريَ من أنهــر
فــالصِّيت منه بــالــغٌ كـلمــا   نزلت، من خصب ومن مُذْهـر
ولـيهـنـنـا الـطـائـف أنَّـا بــه   فـزنــا ببـدر الشــرف المقـمـر
لا ريب أن الــطائف اليوم ذا   أهْـنَــا لـه من عـيــدِه الأكبــر
فاهْنَـأْ به كلَّ مصيفٍ، وكـن   فـي جنَّةٍ مـنـه، وفي كــوثــر
واسلم، ودم سيِّــدنـا، رافــلا   في نعمـة اللّـه العَلي، وابشـر

ـ ٦١ ـ

حصل بعض حريق بدار أمير مكة سيدنا (الشريف علي باشا)، وذلك في أخشاب كانت مركوزة فالتهبت، فاستُدرِكت بسرعة وأطفئت، وكانت تلك الدار بالطائف، ووقعت هذه الحادثة قبل تمام عمارتها، ليلة الثلاثاء، لسبعة عشر خلت من شهر جمادى الثانية، سنة ألف وثلاثمائة وأربعة وعشرين هجرية، فقلت:

يـا ابن النبي، وصفوة الـزهراء   لا زلت مـن مـولاك في نعماء
وبقيت سيِّدنا علياً كاسمك الســـــامي مُـعـانـاً، دائـم الآنـاء
شيَّدت داراً أعربـتْ عـن منظرٍ   حَسنٍ على التقوى، وعُلْو بنـاء
وقرنْتها بالسعد منك فأصبحت   واللّـهُ حـافـظُها مـن الأسـواء

نظرتْ لها عينُ الحسود فقصّرت عن أن تنال منازل السُّعداء
فاشتبَّ فيها بعضُ أخشاب فديْتُك، وهو لو حققت دفعُ بلاء
مدّ الحريقُ لها صفيحةَ وجهه فلطمْتَه حالاً بكفِّ الماء
فانحاز عنها خائباً واشتبَّ في قلب الحسود الحامل الشحناء
سلمتْ بحمد اللّه مما نابها وغدت كأحسن ما رآه الرائي
ومن السرور تمامُ لطف اللّه في تبديله الضراء بالسرّاء[1]
فاشكر صنيعته عليك وزد تُزَد نِعَما، وأسأله قبولَ دعائي

– ٦٢ –

وقلت، في صدر كتاب لبعض غرضي:

لك في حشايَ مودةٌ يدري بها منك الفؤادْ
وهو الشهيد فسلْه عما في فؤادي من وداد
فإذا دنا وقتُ العشيِّ، أو الصباحُ عليك عاد
فارددْ جوابَ تحيّتي واللّهُ يُبلغُكَ المُراد

– ٦٣ –

ليهنك يا ابن خير الرّسْل بشرى بها المولى على الإسلام أنعم
وجاء بها بشيرُ السِّلك يُنْبي بصحة ذات مولانا المعظّم
أميرِ المؤمنين ومَنْ دعوْنا بإخلاص له، واللّهُ أكرم
فنحمد مَنْ بصحبته حبانا وعافاه، وفضلُ اللّه أعظم
فسلطان الورى عبدُ الحميد الْـ ـهمامُ، مليكُنا الشهمُ، المقدَّم

---

(١) الضراء بالسراء: كذا بالأصل، والصواب دخول الباء على المتروك.

أدام بقـاه ذو الإحســان منّـا فإنّ بـقـاه لـلإسلام مَغْنـم
وإنّ دعـاءنـا لـكـمـا جميعـاً بـطول بقاكُـمـا فـرضٌ محتّم
نَـوَدُّ دوامَـه ودوامَ مـلـك لـه، وكـذا بـأنْ تبقى وتـسلم
فـطبْ منـه بفـوْزٍ والـتـفـاتٍ إليك بـأجمـل الحسنى متـمَّم
لعمـري أنت أوفى الناس فيـه عـلى الإطلاق إخلاصاً، وأعلَم
وإنك كـاسمـك السامي عليٌّ وجـدُّك مَـن عليـه اللّـهُ سلّم
جلبتَ لـه الـدعـاء بكـل خير فـظلَّ البيتُ يشكـره، وزمـزم
حنـانيك الصـداقةُ ليس تخفى وأنت أجـلّ من يـدري ويفهم
فـدم يـا ابن النبي قـريـرَ عين مـن المولى كما ترجوه، واسلم

- ٦٤ -

وقلت، مشجراً في اسم أحمد:

أهـوى مـلـيـحـاً مـا لَـهُ بـيـن الـبـريّـة مـن مـثـيـلْ
حـكَـمَ الـغـرامُ عـلـيّ أنــــي عـن هـواه لا أمـيـل
مـا فـيـه مـن عـيـب سـوى بـوصـالـه أبـداً بـخـيـل
دع يـا عـذولُ الـعـذْلَ فـي مَـنْ كـلُّ مـا فـيـه جـمـيـل

- ٦٥ -

وقلت، مهنئاً دولة سيدنا الشريف علي باشا أمير مكة بشهر رجب سنة ١٣٢٤ :

شـوقٌ يُـزَيِّـد دائمـاً وجــدي هيهات يُجْزي الصبْرُ أو يجدي
هو ما جنت عيني فـلا برحتْ مـفتـونـةً تـبكـي مـن الـبعـد

هل ما درت أصل الهوى نظر ... في صورةٍ حسناءَ أو خدّ؟
ومن المنايا ما به عطفتْ ... غَيْداءُ في رمح من القد
كيف الخلاص ولات حين منا ... صٌ من فتاةٍ من بني سعد.؟
بيضاء، سوداءَ المحاجرِ، إنْ ... ترنو بصارم لحظها تُردي[1]
ما كنت أحسبُ قبل رُؤيتها ... حوريةً فرَّت من الخُلد
كملتْ محاسنُها فليس بها ... نقص سوى لم تُوفِ لي وعدي
يا قاتلَ اللّهُ الغرامَ وما ... في ذا الهوى مِنْ متلفٍ مُرْدٍ
كم من شهيد طل فيه دماً ... من غير ما حصر ولا عد
فلئن جنَتْ هند فلا عجب ... يا ليت ما يجني سوى هند
فاستسمِحُوها عن جنايتها ... واقضوا على أنّ الخطا عندي
حاشا أقول لها ظلمتِ بما ... أحرمْتني من ظَلْمك الشهد[2]
وسقيتني سمَّ الفراق ومِنْ ... ماء العُذَيب منعتني وِرْدي
يا هندُ ما هذا الجفاء.؟ وما ... أخلفتُ في وعد ولا عهد
هل كان من ذنب نُسِبْتُ له ... حتى قطعت علائق الود.؟
فتبسمتْ تفترّ عن بَرَدٍ ... أو عن شتيت الجوهر الفرد
قالت وقد أومت إلى رَجِلٍ ... كالليل منها فاحم جَعْد
ومحاسنٍ ماءُ النعيم بها ... يجري صِباً في خدِّها الوردي
: يا حاملَ المصباح عارِضُه ... هلّا هداك الشيب للرشد.!
هذا الصباح بأم رأسك لا ... ح وأنت في غيٍّ الهوى تَرْدي[3]
شيب وعشق، إنّ ذا عجب ... ما أنت من ندّي ولا بِدِّي[4]

---

(١) لم يحذف حرف العلة من المضارع المجزوم.

(٢) أحرمتني: الصواب لغوياً حرمتني. والظَّلْم: الريق.

(٣) تردي: ردَى الفرس يردي، إذا رجم الأرض بحوافره في سيره وعدوه.

(٤) البِدّ: بالكسر، المثْل والنظير.

فـأجبتـهـا والـدمـع مـنـحـدر يبكي لـه خـدي مـن الخـدِّ[1]
مـا رابـني أنـي فُـتِـنْـتُ ولـي من عفّتي ما مـالـىءُ بُـرْدي
يـا أختَ سعدٍ عشتِ سـالمةً، بـالـلـه ردي مـهـجـتـي ردي
فـإذا غـدا قلبي معي فـصِلي أو بـالغي إن شئت في الصد
لا والـذي لبَّى الحجيـج لـه وغدت مطاياهم بهم تَخْدي[2]
تـأتـمّـهـا كُـومٌ مـجـلّلـة مثل الهضاب عَرضْنَ في وَهْد[3]
فنُجـرن حيث الهـدْي يقبلُه ذو المنة العظمى من المُهـدي
مـا شـاقني أنـي على ثـقـة من عـارض يـرضيـك مسـوَدّ
كـلا ولا أنـشـدتُ قـافـيـةً نـضّـدتـهـا إلا عـلـى مـجـد
أو سـؤدد ضـخـم يـقـوم بـه مِلِكٌ يقـول: المصطفى جـدي
شَـرْوى ابن عبـد الله سيِّدنـا طلْق المحيّا، الضيغم، الوَرْد[4]
نجـل البتـول، أمـير مكـة مَنْ جـلا نـظيـراً جـلَّ عن نـد
فهـو العليّ اسمـاً ومـنـزلـةً لم يعْـدُ فيها مـطلع السعد
للـه شبـل منـك سـار على مـا سـرّ مـن آبـائـه الأسْـد
ومحا ظلام البغي عدلُك، في رأيٍ أسـدّ، وصـارم جَـلْد
كم من طعين قبـل تـطعنَـه خـوفـاً، ومـغلولٍ بـلا قـيـد
والنـاس أشكـال فـديتُـك من بـاغٍ، وبـاغي العفـو والـرفـد
فـاسأل حسـامك، بـالعصاة لـه علم، وما لَك سل عن الوفـد
فـالصيت أسمعَ مِنْ تهـامةَ مَنْ بـالجـوّ والـدهنـاء مِنْ نجْـد
يسـري بك السـارون في قمـر من أمنِك الضـافي وفي جنـد

---

(١) من معاني الخد: الشّق، والأثر في الجلد ونحوه.
(٢) تخدي: من الوخد، وهو نوع من السير.
(٣) الكوم: جمع كوماء، وهي الناقة ذات سنام كبير. والوهْد: الأرض المنخفضة.
(٤) الورد: الأسـد.

مولاي من أستعيذ به ... وعلى صروف الدهر أستعدي
خوّلتني النعم التي وفرتْ ... حظي، وشدت من قُوى عَضْدي
وملكت بالإحسان كل فتىً ... حرٍّ، فأصبح نعْمَ من عبد
فكأنما يَرِدون من نَهَر ... أو يَرتَوُون لديك من عِدِّ(١)
هذا لعمري مِنتهى أملِ الْـ ... ـعَلْياء منك وغايةُ القصد
ما في (بني عون) وأنت لهم ... مَن قيل: محتاج إلى نقد
كصفائح الفولاذ مشتبها ... تِ أو أنابيب القنا المُلْد
ورثوا العلى والمجد في كرم، ... أو صارم، أو نثرة سَرْد
فلهم بنات الريح ما ركبوا ... من حرة، أو سابحٍ نَهْد
ولك الإمارة والوزارة عن ... مجد طريف، أو عُلاً تَلْد
يا ابن النبي ولم أقل هزُؤاً ... واللّهُ يعلم صاحب الجد
دِيني وأنت هما لديّ سُوًى ... متكانفان الحب في كبْدي
لولا صفاتك لا تُعَدُّ لَما ... أبقيتُ فيك لواصفٍ بَعْدي
فإليك ما غاصت له فكَري ... في بحر وصفك واسعِ المد
واسترع سمعَك درَّ منطِقه ... من كل معنى باهرٍ فرد
واستجْلها بكراً معطَّرة ... وافتنْك في خُمُر وفي وَرْد
بالمسك يُزري طيبُ ما وصفت ... من عَرْف خُلْق فيك، والنَّد
ودت نجوم الأفق لو نُظمت ... في حَلْيها بدلاً عن العِقد
تُتلى فيحسدني الصديق بها ... طرباً، ويبهر حسنُها ضدي
لا زلت والأيام مشرقة ... بالعدل، لا عادٍ ولا معدي
وغدا قريراً بالمنى رجب ... ما عاد منك بمسعد مُسْد
شهرٌ حرام زاده شرفاً ... معراجُ طَه للعلِي الفرد

(١) العدّ: الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع.

فلتهْنَ غرتُه ببدرك، ما أسفرتَ في يُمن وفي سعد
واسلم ودم في صحة أبداً مختومةٍ بالشكر والحمد

- ٦٦ -

وقلت، معرِّباً معنى تركيًّا:

من عادة الدهر إعفاءُ المآثر من أهل المساعي فلا يُبقي لهم أثرا
فلو رأى منهمُ اسماً لاح في حجر بادٍ على جَدثٍ يَقْراه مَنْ نظرا
لازال يجهد في إعفائه فإذا أعيَ عليه انمحَاءُ كسَّر الحجرا
ورام من صحف التاريخ محوَهمُ ومحوَ آثارهمْ منها فما قدرا

- ٦٧ -

وقلت، أيضاً في معنى ذلك:

إن يمح ذا الدهرُ أسماء الأماجد من أحجار أجداثهم أو كان أبلاهم
فإن في صحف التاريخ باقيةً أثارَهمْ زينةً فيها وأسماهمْ

- ٦٨ -

وقلت، على لسان أخينا عبد الرحيم قاضي الطائف، مرسَلَة من طرفه للشيخ عبد الحفيظ القاري بالأستانة:

عليك أزكى سلام كالروض ظلاً وزهرا
والمسكِ عرفاً وطيباً والدرِّ نظماً ونثرا
يزفه لك قلب فِداك، بالشوق أدرى
فإن بدت لك شمس أو أبصر الطرف بدرا

فاردد جواب سلامي فإن ذلك ذكرى
يا خال واعلم بأني ما قلت والله نكرا
يا فاضلاً لا يحاكى وعالماً جلّ قدرا
لمّا كتابك وافى سجدتُ لله شكرا
لله منه كتاب بصحة عنك سَرّا
لا زلت ألثم كفاً وافت به ليَ جهرا
تلوْتُه ودموعي تسيل في الخد نهرا
ومهجتي تتلظى على فراقك جمرا
لو أنني ذُو جناح ما قلت: يا قلب صبرا
وأنت أدرى بحالي فلا أزيدك خُبْرا
وما بعثتَ به لي أزال عنّيَ عسرا
قبضته مثلما في الْـ ـكتاب عشراً وعشرا
أما كفاك بأن كنـ ـت مفْرد العلم، حَبْرا
حتى تدفّقتَ جوداً فصرت حَبْراً وبَحْرا
لا زال عبدَ الحفيظ، اللـــهُ يوليك سترا
والله يَجزيك خيراً وزادك الله عمرا
حتى أراك على ما يَسُرُّ لا زلتَ ذُخرا

- ٦٩ -

وقلت، في صدر كتاب على لسان بعض الأصحاب:

أزف أزكى سلام صاف كقطر الغمامِ
ما الريح هبت صباً أو أضاء برقٌ تهامي
على أجل عظيم في النفس والقدرِ، سامٍ

الماس صبري فريد الصـــفـات، عـالي المقـام

لا زال في خيـر نُعْمَـى عـزيـز مصـرَ الهمـام

وطـول عمـر على مـا يـروم طـول الـدوام

– ٧٠ –

وقلت، مهنئاً دولة سيدنا الشريف علي باشا أمير مكة المكرمة بقدوم شهر رمضان المبارك سنة ١٣٢٤:

أنـوح ولي قلب نكَتْـه قُـروح فسلْ هذه الورقاءَ فيم تنوح.؟

فما رابهـا بين ولا شفَّها نوًى، وبيني ومَنْ أهـوى مهامـهُ فِيح

إذا ما تذكرت العُذَيْبَ تتـابعت دمـوعٌ بمكنـون الفؤاد تبـوح

فإني فقدتُ الصبر يوم فقدتهمْ وحسن عـزائي بعـدهم لقبيـح

رعى اللـه أياماً بمنعـرِج اللِّوى ونحن جميـع نغتـدي ونـروح

فنستاف من نجد شميمَ عَرارها بحيث ترى الأرْطى، وينفح شيح

فمن بين عِينٍ رائعـاتٍ سوانحٍ، ومن حُـور عينٍ كالبـدور تلوح

وركب تبـارَوْا مُتْهِمين يحثهـم إلى البيت شوقٌ للثواب مُتيح

يجـوزُون أجواز الفلا بعرامس طلوح، عليها ساهمون، طلوح[1]

فعلقت وجنائي بهم وهمُ على أحاديث كالمسـك العتيق تفوح

فحـاكٍ يذيب الهنـدوانِي فعالـه وشاكٍ فرى الأحشاء منه نَزُوح

ففـاوضني منهـم أغرُّ مهـذّب عليم بـأخبـار الغـرام، مـزوح

فقـال: أجِزْ بيتين سـالا لطافـةً ولفظُهما سهـلُ النظام، مليح

أكلِّف عيني أن تجـود بمـائهـا وإني بـه لولا الهـوى لشحيـح

ويعـذلني خلي ويـزعـم أنـه نصيح وهل في العاذلين نصيح.؟

(١) عرامس: جمع عِرْمس، وهي الناقة الصلبة. وطلوح: جمع طليح، وهو المتعَب.

فآنستُ منه مثلَ ما بي من الجوى فقلت وعيني بالدماء تسيح:
ليجْنِ كما شاء الحبيب فإنني صفوح، ومن يهوى الملاح صَفوح
ألا مَنْ لأحشاءٍ تلظَّى عليهمُ جوًى، وجفونٍ دمعُهن سفيح.؟
فلما تقضى الليل إلا أقله وحان من الفجْرِ المطلّ وضوح
وناهزتِ الشِّعرَى العَبورُ مَغيبَها وآذن ديكٌ بالصباح يصيح
أنخنا المطايا برهة نستريحها وملنا إلى ذرْعانِهنّ نُريح[1]
فأقبلت الحسناء تخطر مثلما تصاغت بخوط البان تخطر ريح
عداك الردى، كيف اهتديت وبيننا مَهاوٍ وقفرٌ لا يجاب، طروح[2]
قرُبْنا فحال الهجر يا سلمَ بيننا، فكيف تزورينا ونحن نُزوح.؟
وأهدى لنا منك الخيالُ منيعةً فيا ليت ما أهدى الخيالُ صحيح
فثوَّبَ داعي الفجر، والليلُ مدبر ومن فلَقِ الأصباح لاح مليح
ففتحتُ طرفي حيث لا طيف مؤنس ولا سهمَ من حظ الوصال مَنيح
وصليتُ معْ ربعي سليباً كأنما أزاح الحجى منّي الغداة مُزيح
وسارتْ بنا العيسُ المهارِي كأنها سحائب زفّتها الجنوب دَلُوح[3]
نمني مطايانا بأمرع مَرْبع وأشرفِ من يُهدَى إليه مديح
عليّ بن عبد الله سيدِنا، ومن عن الناس طراً ما مدحت مُريح
أميرُ بلاد الله، خيرُ مملّك عليمٌ بمقدار الثناء، مَنُوح
فماذا على من أمَّه أن يُغيثه من المزْن منهلُّ الغمام سَفوح
ولا مَنْ به الآمالُ وافت بأن يفي على من لديه النُّجْحُ ثَمّ سَحيح.؟
نفى الذمَّ عنه عزةٌ هاشميّةٌ ونَجْرٌ بخير الرسل فيه صريح
وهمة ورّادِ الموارِدِ أروعٍ له نفس طلّاب العلاء طَموح

---

(١) ذرْعانهن: جمع ذراع.
(٢) لا يجاب: لا يُسلك.
(٣) دلوح: بطيئة في سيرها من كثرة الماء.

سداداً لما تُومي المعالي لنيله وكفؤٌ لدفع النائبات، كفوح

سل البيض عنه في الزحام إذا عدا به بين أطراف الرماح سَبُوح

وسل عنه يوم الروع حين تطلعت هوادي المذاكي، والرؤوسُ تطيح[1]

فهذا صريعٌ بالجَدالة ذاهل وذاك تطاه الخيلُ وهو ذبيح[2]

عليه لواء النصر يخدم حظه فلا قصدَ إلا وهو فيه نجيح

فإن كان في عقل (السعيديّ) لوثة وفيه عن الكسب الحلال جموح[3]

وفي يده داءٌ توارثه عن اللـ صوص قديماً، لم يداوَ، قبيح

فسيفك راقٍ ما أشرت به وفي سراياك ما يجتثه ويريح

فيا أيها المولى الذي صيتُه بما أشاد من المجد الأثيل صَدوح

أجزت لي النعماءَ حتى جنيتُها وقبلك أوطاها لديّ جُموح

فلي منك ما للمرء من نفسه التي له ما حيي منها عليه جنوح

وللناس والبطحاء ما قد نشرتَهُ من الأمن، حتى لن تُراع سُروح

كأنك لِلْقُطر الذي أنت ربُّه وربُّك من أمن السلامة روح

فأرجو بأن الله راضٍ، وبيتَه ومن ضَمَّ بين اللّابتين ضريح

فديت ابن عبدِالله ذا النائل الذي يضيق لديه البحر وهو فسيح

تساوى فرنْدُ السيف شرحاً ورأيُهُ كلا ذا وهذا في المضاء شَروح

فما رابني دهر ينازعني الغنى ولي منه فياض العطاء، جزيح[4]

---

(١) المذاكي: هي الخيل التي أتى عليها بعد أن قرحت، سنةٌ أو سنتان.

(٢) الجَدالة: الأرض.

(٣) السعيدي: قال في حاشية المخطوطة: قوله (السعيدي): أحد السعائد، قبيلة بطريق الطائف من هذيل، تـأذت الجمّالة والناس منهم، فأرسل لهم ثلاث سرايا في ليلة واحدة، فضربتهم واجتثت أموالهم، وذبحت منهم وأسرت.

(٤) جَزيح: جزيل.

أباح ليَ الآمالَ في صوب كفه ... ومن قبله الآمـال قط تبيـح[1]
وما لي بـه إلّا ولاءٌ عقـدتُـه ... وحمدٌ كنظم الدرّ فيه، فصيـح
وذكـر لـه رتّلتـه فكـأنـمـا ... معـانيـه في عُنْق الثنـاء منيـح
فما هو إلا الراحُ طاب أريجها ... فمنْـه غَبـوق رائقٌ، وصبـوح
أعـرنيَ سمعـاً وارْعَهـا عـربيـة ... لها أبداً من حسن وصفك روح
تودُّ النجومُ الزُّهرُ لـو أنها بهـا ... قـلائـدُ في لبّـاتهـا ووُشـوح
رعى الله طراً آل عون، فكلّهمْ ... كما قيل مثلُ المشرفيّ صَبيح
فقل لمُساميهمْ: لك النجم موعد ... وللْمقتفيهمْ: قف، فأين تروح.؟
متونُ الجيادِ العاديات حصونهمْ ... ومعقِلُهمْ يـوم اللقـاء صفيـح
فطبْ بهمُ قوماً لهم منك سيدٌ ... خبيرٌ بشأن الملك ثَمَّ صَليح
ليهنأ زمانٌ فـاز منـك بمـاجـد ... عليـه سنى تقـوى الإلّـه يلوح
وشهرٌ عظيم أوجبَ الله صـومه ... فـأوسعتَـه بِـرًّا، وأنت ربيـح
فصُمْه دواماً بيتُ عـزك شامـخ ... أمينٌ له بدوام عـمـرك سـوح
وعش ما دعا الداعي لآل محمد ... وناديك معمـورٌ، وأنت صحيح

- ٧١ -

تهنئة ميمونة، ومباركة بالسعد مقرونة، وافت تقبل كف ذي الشرف الشامخ، والمجد الباذخ، الأمير الكبير، ذي الجاه الخطير، أمير مكة المكرمة وشريفها، سيدنا وسيد الجميع الشريف علي باشا، نجل المرحوم المبرور سيدنا وسيد الجميع الشريف عبدالله باشا، وذلك بعيد الفطر المبارك من سنة ١٣٢٤ من هجرته ﷺ:

(١) أي أن الآمال قبله لا تبيح شيئاً. وفي التركيب ضعف ظاهر.

مـا لـلعيـاء ومـا لـيـه يـغنيـه عني حـالـيـه
أومـا درى أن الـهـوى لم يُبْقِ منّيَ بـاقيـه.؟
وهـل الصبابـة غـادرت إلا عَـظامـاً خـاويـه.؟
والحال عـن شكوى الهوى تغني فكيف بما بيـه.؟
يـا درّة مـكـنـونـة ثلَّثتِ قـرطَيْ مـاريـه[1]
وفـريـدةً آلـت عـلـى أن لا تـحـاكَى ثـانيـه
عـذَّبتِ لاعـويـثتِ نـفـ ـساً عنك دومـاً راضيه
لـم تقـتـرف ذنبـاً ولا هي مـا جنيْتِ بجـانيـه
ولئـن سـلوتِ فلا ومُـو هِبـكِ الجمـالَ بسـاليه
أحـرمتني طيبَ الـوصـا ل فعفت طيب منـاميـه
ومـنعـتِـني وِرْد الـعُـذَيـ ـب، ومـا ذكرتِ ظمـائيه
روحـي الفِدا يا هنـدُ يا أخـتَ المـهـاة الجـازيه
ذكـرى لأيـامٍ جـذبـ ـتِ بهـا إليـكِ زمـاميـه
أيـام إذ طـاب الـمُـقـا مُ لنـا بتلك الـنـاحيـه
ويَـرَى خبـاءَك يـوم ذا كَ على العقيق خِبـائيـه
حيث المنـازلُ مـن قبـاً معـمـورةٌ، فـالـعـاليـه
وسميـريَ الـرشـأُ الـذي أنـفـقـتُ فيـه شـبـابيـه
يـفتـرُّ عـن بَـرَدٍ، وعن مثـل الأقـاحي الـزاهيـة
ويـميس عـن قـد كـأن الـرمـحَ مـنـه عـاريـه
فـالـجيـد مـنـه ولحْظُه هــو والضبـاءُ سـواسيـه
ما الخمر تصفو لا ولا الـ ـمسكُ النَّدي، والغـاليه
أشهى من الثغـر الـذي فـيـه وجـدتُ شـفـائيـه

(١) مارية: هي جدة الغساسنة، وكان قرطاها مضرب المثل، لنفاستهما.

لله من تلك المنا زل والليالي الماضيه
كم بت فيها مُنْعَماً لم يُشْقِ شيء باليه
والغصن غضٌّ والزما نُ مكلَّف برضائيه
لم أشكُ من بُعْدٍ، ولا منعَ الحبيبُ وصاليه
واليومَ أقنعُ أن يزو ر خيالُ هِنْدَ خياليه
بالمنحنَى من أضلعي نزلتْ وفي أحشائيه
يا ليتها رحمت، ولم تذهب بفضل ذمائيه
لولا سهام لحاظِها لم تشْكُ قطُّ حشائيه
فلوَ انّها لما نأتْ ألقتْ إليَّ حباليه
نفرتْ وما رعَتِ العُهُو دَ، وعلّقتْ أحشائيه
فكأنما أنا لست ذا ك وأنّها هي ما هيه
ما هكذا يا هندُ أحـ سبُ أن يكون جزائيه
إن كان شعري فيك قد رقّقتُ فيه حواشيه
لَلْمدحُ أطيبُ في بني طَه وجل مُنائيه
آلُ الرسول وحيدرٍ نسلُ الأُسود الضاريه
قوم سموا نسباً بطَـه المنْزِلات الساميه
كم منهمُ من أروعٍ ملكٍ سعيدِ الناصيه
مِنْ كل شهمٍ من بني عَوْن أطال عواليه
لم يرض في نيل العلا حتى يشاور ماضيه
متقلدٌ عن أوّليـه السابقين يمانيه
شرْوَى ابن عبدالله ذي الـ ـهِمَمِ العظام العاليه
عالي الجناب (عليٌّ) الْـ ـمُوفِي بكل رجائيه
ما قام يشكره المقا مُ ويحمدنّ مساعيه

ضافي الأمان، وحكمُه بالعدل ظل مباريه

يسري الثناء عليه ما تسري النجومُ الساريه

وافي الجميل، ومثلُه منه تكون الوافيه

رفع الإلَهُ مَقامه بين الورى ومعاليه

فصفاتُه حذْوَ الكوا كب، كلُّها متباريه

كمشارق الأنوار في أُفْق العلا متساويه

سل حاضري البطحاء عن أحكامه والباديه

وسل المشاعر عنه أد رى بالخلال الزاكيه

فله لواء النصر يخْـ ـفق والجياد العاديه

ملك أطال بقنّة الْـ ـمَجْد الأثيل مبائيه

قرن الأمور المدلهمّـ ـة والخطوبَ الطاميه

فيه وفي آبائه ما في السيوف الماضيه

فالغيثُ يُخْلِف، وهو أوْ فَى منه كفًّا ناديه

سحّاء تُزْري بالسحا ب، وبالبحورالجاريه

يا ابنَ الرسول وصفوة الْـ ـغُرر السَّراةِ الهاديه

عِرْني فديتك مسمعاً واسمع رقيق ثنائيه[1]

إني وصلت المدح فيـ ـك مقارناً بولائيه

فالشعر أبلغُ ما يكو ن إذا استجدْتَ معانيه

ولديْك أترابُ التي نبغت كأفصح جاريه

غراءُ ذاتُ غرائب وافت بأوفى قافيه

تُتلَى مدى الأيام مغـ ـبوطاً عليها الراويه

لو أُنشِدتْ للأصْبها ني ما. استطابَ أغانيه

---

(١) عرني : الصواب لغوياً: أعرني.

لو لم يخنها حادث الْـ ـمرض المخلّ بحاليه
ما أبطأت مع أنها تُزْري بأحسن غانيه
فصداقُها منك القبو لُ المبْلِغي آماليه
ولأنتَ دمتَ أجلُّ مِنْ حمدٍ رواه لسانيه
شهرُ الصيام بلغت منْـ ـه الطيِّبات الباقيه
صمتَ النهار لذي العلا برًّا، وقمت لياليه
قابلتَ أوله بتوْ فيق الإله وتاليه
وليَهْنَك العيدُ الذي لا زلت ترضي باديه
وكفاه منك مساعد كفؤ الهبات الكافيه
عيدٌ أغرُّ وغُرَّة بالسعد لاحت دانيه
فحبوتَها ما ترتَجي وحبتْك ثوب العافيه
فاسلم، ودُم، واللهَ أر جو أن يجيب دعائيه

- ٧٢ -

وقلت، مؤرخا بيت أخينا المحترم الشيخ ماجد أفندي كردي الذي عمره بالشُّبيكة(١) فجاء على أحسن ما ينبغي إتقاناً وحسناً وسعة، متّعه الله بسكناه سنة ١٣٢٤:

أبا كاملٍ دمت في نعمة وأبقاك ذو المنة، الواحدُ
شهدت بأن لا نظير لخُلْـ ـقك والله من فوقِ ذا شاهد
حباك كما شئت كلَّ الكما ل مولاك فليحسدِ الحاسدُ
فإنك نعم الكريمُ الذي له لم يخب دائماً قاصد
وجدّدت بيتاً على ما يحب محبُّك في الناس، والوافد

---

(١) الشبيكة: تصغير شبكة على الطريقة العامية، وهي مكان بمكة معروف.

تسامى بجيرة بيت الإله فما لمزيته جاحد
وقارنه السعد فانزل بما له أنت يا ذا العلا شائد
فسيح جميل على ما يُرا م، ما فيه ما ينقُد الناقد
فيا حبذا أثرٌ بالشّبيـ ـكة أنشأته، خالد تالد
فشكراً ولا شك أنك للّـ ـه دوماً به شاكر حامد
وبالخير مُذْ تمّ فالسعد أرّ خ: أتقن تعميره ماجد

١٣٢٤

- ٧٣ -

وقد وصلني من الشيخ عثمان الراضي هذه القطعة يهنئني بها، بعد الشفاء من حمى أصابتني بالطائف سنة ١٣٢٤، وقد أحسن وأجاد جازاه الله خيراً:

أبا عصام صح جسم العلا ونال إذ عوفيت ما أمّلا
زال إلى أعداك ما تشتكي من سقَمٍ وافاهمُ معضلا
فقل لهم: من شاء منكمْ بأن يموت غيظاً فليمتْ مُعْجلا
ولا تُرَعْ من شدة أقلعت عنك، ولا تأس لها، لاَ ولا
واللهُ من حكمته يَبْتلي من خلقه الأمثلَ فالأمثلا
ما خصك السُّقْمُ ولكنه عمم أحبابك حتى انجلَى
فاسلم بما خوّلك اللهُ من عافية، واشكر لمن خوّلا
وعش لنيل المجد في نعمة تريك عمراً في الْهَنا أطولا
إن الثمانين وبُلِّغتَها تزداد عشرين فعشراً إلى
ولا برحْتَ الدهر في رفعة ممتّعاً تملأ صدْرَ العُلا

- ٧٤ -

فقلت، مجيباً لـه:

يـا فاضـلاً، باعُـك مـا أطـولا	في نيلك المجدَ، وما أكملا.!
لا زلت ترقى في المعالي إلى	أن جُزْت أقصى منْزلاتِ العـلا
ولم يفتْـك النجمُ أن تنظمَـا	منه عقـوداً تُجتلَى في الـطّلا
شنّفتَ سمعي منك بـالـدرِّ مـا	أحسنَـهُ درًّا.! ومـا أجمـلا.!
معنى كـذَوْب الشُّهـد أفـرغتـه	في ظرْف لفظٍ مثل كاس الطّلا
هـنَّيْتَـني مـنـه بـغـراء حسْـ	ـنُ اللفـظ منهـا للشِّفـا كمّـلا
تـخـالُ هـاروتَ إذا أنـشـدَتْ	أوْدَعـهـا السحْـرَ الـذي حصّلا
فباهِ من شئتَ، فمـن حاز مـا	حزْتَ لعمري فـي المعالى عـلا
أخلصتَ لي الـوُدَّ، يـا حبـذا	ودٌّ كـفـاني عـن جميـع المَـلا
مـولاي يـا عثمـانُ دم راضيـاً	عمراً، وسعـداً بـالمنـى مُقْبلا

- ٧٥ -

وقلت، مجيباً الشيخ عثمان الراضي أيضاً عن بيتين:

يـا مفرداً بـاهت بـه أمُّ القـرى	فضلاً وفي كل العلوم ممـارسٌ
إن قلتَ: إن الإلْفَ طبْع خامس	ولديك وجهُ الأنس بعديَ عابس
فـالإلْف طبـعٌ أولٌ مـنـي ولـــــكن ربعُ أُنْسي بَعْدَ بُعْدك دارس	
ولئن تغبْ عن مقلتي فبمهجتي	لك منزِلٌ بك ـ لا عدمتُك ـ آنس
مولاي يا عثمانُ عذراً، مَنْ سوا	كَ أحبُّ من كـل الأنام أوَ آنس
يفديك قعقاع بن ثور، أنت لا	شك الذي لم يَشْقَ فيه مجالس

- ٧٦ -

إن البكاء على قدر المصيبات يا عينُ فابك بأجفانٍ قريحات

فمن يلم عينَ مثلي في البكاء على كبْدٍ نأت، وهي في روحي، وفي ذاتي

- ٧٧ -

العقل أرشدَ هابيلَ، وأحسن من عزَّى، وأنتَ لعمري سيِّدُ العُقَلا

واللهُ بالصبر أجزى، وهْوَ مَعْك، ومن ذو العرش مَعْه كفاه الحادثَ الجَلَلا

- ٧٨ -

وقلت، مادحاً الشيخ سليمان البستاني اللبناني صاحب الإلياذة وصاحب دائرة المعارف:

خلبَ اللبَّ ما نظمتَ وأطربْ وأتى شرحُه بما هو أطرب

لا تلمني إني فُتنْت بتأليـ ـفِك، والفضلُ عن مزاياه أعْرب

إن يقل هوميروسُ شعراً عجيباً فلعمري تعريبُه منك أعجب

أو أتى في نسيجه بغريب فنسيجُ نسجْتَه منه أغرب

كان عند اليونان معناه عذْباً فنقلتَ المعنَى لما هو أعذب

هل إلى حكمة أشار لها الذكْرُ نظمتَ المقصود في خير مطلب

كان يُعْزَى لبابلَ السحرُ قِدْماً ولك اليوم يا سليمان يُنْسب

كم سمعنا من التآليف في ذا الـ ـوقت ماحقَّ عن أولي الفضل يحجب

من كتاب مسطَّر فاض جهلاً وعجيبٍ به المؤلِّفُ مُعْجَب

ورأينا معرَّباتِ أناسٍ ذهبوا في تنقيحها كلَّ مذهب

ما ملا عَينَ من تأمل شيء مال منها لما يرامُ ويُطلب

سهل النقشُ واليراعُ عليهمْ فملَوْا صُحْفهمْ بجهل مركّب

فنـــدبْتَ الآداب تحـت لـواء	لـك بالحمـد في معاليك يُنصب
ومزجت اليونان بالعُـرْب شـعراً	فـي كتاب عذب المقاصد مُعرب
فهُـوَ البستانُ الـذي تـم غرسـاً	يجتنَـى منـه مـا يُحَـبُّ ويعجـب
لو شققتَ اسمه من النسبة الغرَّ	اء حـقـاً بقــدره كـان أنـسـب
راقني روقـك البعيـد المـراقـي	ونحا بي إليـك خُلْـقٌ مـهـذّب
دام منك النفعُ العميم، ودامـت	حِكَـمٌ عنـك مـا بقي الدهرُ تكتب
واهنَ، واسلم، واقبَل ثناء محبٍّ	وصـلِ القـول في أغـرَّ محبَّب

— ٧٩ —

وقلت، أيضاً مادحاً الشيخ سليمان البستاني المذكور:

يا مفردًا وصلتْ أقصى الـدُّنا حِكَمُه	وأوْطأتْه عـلـى هام السُّهى هممُهْ
هيهات يُدْرَك شأوٌ منك في رجلٍ	رحبِ الجميلِ سبوقاتٍ به شِيَمُه
أفضى بفضل عميم نفعُه، وقضى	أن لا نظير له بين الورى قلمُه
هذي تآليفـه كالشمـس طـالعـةً	في كـل فن منيراتٍ بهـا كلِمُه
باهى به الغربَ أهلُ الشرق قاطبةً	وأكرمُ الناسِ من باهت به أُمَمُه
ومن بمثل (سليمان) الزمانِ مـلاَ	كفاً كفاه بـه ما أحرزتْ قسَمُه
فِدًا (سليمانَ) مَنْ أمـوالُه عُمُمٌ	ومـا لَه فضلُه كـلاًّ، ولا كرمُـه
مجد قديم يفـوتُ النجمَ رفعتُه	وأشرفُ المجد ما أربى به قدمُه
بمن أشبِّهه في الناس أجمعِهمْ	وما بدا لي الذي في عظمه عظَمُه
لو أقسم المرءُ أن اليوم ليس له	مقارِنٌ، برَّ في تصـديقه قسَمُـه
خلائقٌ مثلما انفضَّ الغمامُ صفَتْ	وصْفاً، وأعرَبَ عن مقدارها شَمَمُه
ومحتِدٌ مشرِق عن كل أبلج ذي	شمائلٍ ثبتت فوق العلا قـدمُه
وكل أروعَ مخبورَ الفِعال غدتْ	تنهـلّ جوداً ونفعـاً دائمـاً دِيَمُـه

فقارنَ النجمَ إشراقاً بنور سنَى علْمٍ تمادَى مداه، واعتلى عَلَمُه
وأثمرت نسبةُ البستان فيه جَنى شكرٍ لمن يبلغ المقصودَ ملتزمُه
إن لم أصل بثنائي حمدَ مثلِك لا سما قريضٌ، ولا زادتْ به قيمُه
فيك اكتفاءٌ لمن يشدُو بمدحك، أو يشنّف السمعَ حادٍ مطربٌ نغمُه
إني إليك كما شاء الصديق أخو صدقٍ، محبٌّ غدت محفوظةً ذِممُه
لا يُخلقُ البينُ بل والدهرُ جِدَّةَ ما بقلبه لك من ودّ، حمىً حرمُه
يسرُّه أن تُرى في صحة أبداً تبقى وفيك دواماً زائدٌ عشمُه
ودُمْ كما شئتَ مقرونَ المعارف في أمْنٍ تباريك من مولى العلا نعمُه

— ٨٠ —

وقلت، مؤرخاً ولادة مولود اسمه عبد العزيز، لعلاء الدين أفندي ابن شيخنا عبد الجليل أفندي برادة وذلك عام ١٣٢٢:

هبةُ الله من يُفدْها يسرْ وهبات المولى الكريم غُررْ
فاهنا منها بوافد ابنٍ تجلّى عن سنا الشمس أو ضياء القمر
إن شيخي عبد الجليل أباك الـ ـبَحْرَ لا زال فيه تلقى الدرر
طال عبدُ العزيز عمراً علاءَ الد ين حتى ترى به خيرَ بر
ما ترد شكر من حباك به أو ما تؤرخ: أهلُ بنجل أغر

١٣٢٢ هـ

— ٨١ —

وقلتُ في اصطباحة يوم غيم على شاءٍ أخضر، وساقٍ حسن:

هذا الذي من قبلُ أطلبُهُ روضٌ وساقٍ كاملٌ أدبُهْ
ومنزل حفّ الشقيقُ به ويومُ غيمٍ طبقتْ سحبُه
هات أواني الشاهي نحظ بها آنَ أوانُ الأنس نجتذبُه

وانظم لنا الأقداح في قدْرِنا ... من كل كاسٍ لامع ذهبُه
في وسطها البرَّاد منتصبٌ ... يا حبَّ ما يعجب منتصبُه
شروى أميرٍ حوله عربُه ... أو مِلِكٍ حفت به عُربُه
أو هالةِ البدر استدارت به ... أو فلَكٍ في وَسْطه قُطبُه
قم وأدرها نصطبح أخضراً ... منسبكُ الأبريز منسكبُهْ
ما فاتت الخمرُ به غيرَ ما ... كأصغَر النجم طفا حبَبُه
هذا يزكّي عقلَ شاربه ... وتلك تأتيه فتستلبُه
هل غيرُه خمرٌ هدَى شِرْبَهُ ... ومسكرٌ يهدي التُّقَى طربُه
يُنشِي ويُضْحي حسوُه عجباً ... كأنما منْ جدِّه لعبُه
نشوةُ سكرٍ صادقٌ كِذْبُها ... وخمرُ دنٍّ بيِّنٌ كذِبُه
من خدِّ ساقِيهِ صفا لونُه ... فحرتُ أيًّا منهما أعِبُه
أألثم الكأس وأشربُه ... أم أشرب الكأس وأنتهبه.؟
هذي نجومُ الأفق أم أكؤسٌ ... طافت بنا، أم هذه شهبُه.؟
ومن سنا الشمس سناها انجلى ... أو من ضياءِ البدر مكتسبه.؟
ما شاق كأساً أتْرعتْ منه أن ... يشوقها المدام أو عنبُه
نشا بأرض الصين منبِتُه ... كأنما اختيرت له تُرَبُه
فهُو بعيدُ الدار، مغتربٌ ... مُكْرَمَة مسرورةٌ غُرَبُه
دام حليف الأنس أين غدا ... ودامت الأرض التي تَهَبُه

— ٨٢ —

وقلت، في الجناب الأعظم ﷺ:

أنا من فَرْط بُعدِه كم أقاسي ... شت فكري وضاع فيه قياسي
ملَكٌ في جمال يوسف حسناً ... ومليك يجلُّ عن مقياس

لم يفته من اللطافة شيء ... غيرُ قلبٍ على محبِّيه قاس
زدتُ وجداً فازداد بُعْداً كأني ... لم أُرِد من هواه غيْرَ انتكاسي
ذق فؤادي جناك في الحب واشربْ ... كلَّ يوم من النوى سمَّ كاس
وامزجي الدمع بالدماء، جُفوني . ! ... أنتِ أسلمتِ للهوى الصعب راسي
كل يوم يمرُّ من (آل حرب) ... في صباح من النوى عباس
هي نفسٌ فليقض فيها الهوى كيْـ ... ـفَ يشاءُ ما على الهوى من باس
بيد أني أحب ألثم تُرْباً ... منه فرعي ومنه أهلي وناسي
وبه قبر أشرف الرسل طَه ... وبنيه وعمِّه العباسِ
وكرام الآل الذين سمَوْا نُو ... رَ هدًى والشهيدُ بالمهراس
هي دار الشفيع أشرف خلق اللـ ... ـه طراً وآله الأكياس
فأغثني يا خير غوث وغيثٍ ... غدِقٍ صيِّب شديدِ المراس[1]
أنتَ ذخري دون البرية طراً ... ورجائي ونعم منك المُوَاسي
وطبيبي ما عزّ طبٌّ طبيب ... ولَنعْمَ الطبيبُ منك الآسي
فاجتذبني إلى ذراك وحقِّقْ ... فيك ظني وامْحق بفضلك ياسي
لا ومن أنزل الكتاب على من ... أسَّس الدين منه أقوى أساس
وجلا ظلمةَ النفاق بسيفٍ ... قوم الحق عن خَفا الالتباس
ليس ينسى ذكراك قلبيَ ميْتاً، ... لا، ولا ما حيِي الفؤادُ بناس
فاتخذْني عبداً لبابك أرْعى ... وافر الحظ وافر الائتناس
وعليك الإلّه صلّى، وآلٍ ... طُهِّرُوا من وصائم الأرجاس
وكرامِ الصحب الذين همُ مِنْ ... خير قوم فازوا به وأُناس
ما المحب المشوق لازم باباً ... لك في راس قنّة المجد راس

(١) إذا كان الخطاب موجهاً إلى الله، فلا إشكال. أما إذا كان موجهاً إلى الرسول ﷺ، فذلك لا يجوز إطلاقاً، إذ لا يستغاث إلا بالله.

وقلت، مادحاً السيد علي أفندي أنور عشقي المدني، وذلك عما نقله إلي من مودته، وذكَره على لسان الصدق والوفاء حضرةُ الأستاذ العلاّمة الشيخ عثمان أفندي الموصلي سنة ١٣٢٥:

أنت عندي لا شك أدرى وأخبرْ ... أنت من نور مقلتي، أنت أنور
لك قدر من معتلَى النجم أعلى ... وكمالٌ من السِّماكين أشهر
في خصال من الكواكب أبهى ... وخلال من مُزْهِر الروض أزهر
حسدتني عليك عينُ حسودي ... يا حسودي عليك الله أكبر
كيف قل لي؟ فِداً لروحك روحي ... إن مثلي حياً على الرغم يُقْبر
قبَروني في ساحة البعد عنهمْ ... ما درَوْا، لا دَرَوْا، بأني أظهر
فلساني معي ودُرُّ بياني ... أينما كنت مُظهَراً غير مضْمَر
إنْ أبو ماجدٍ بَقِي يُكْفَ منه ... نَيِّرٌ واسمُه المبارك أنور
نجل طَه الرسول والمحرزُ العلـ ... ـياءَ، من بالجميل لا شك أبصر
في فؤادي له من الودّ بيت ... منْ قباب السبع السمواتِ أعْمر
لم يشبهُ شك، ولا ريْبَ فيه ... ومن الشرك والنفاق مطهّر
فارْعِني السمع منك، واسمع ثناءً ... فيك يُتلى، كأنه عِقد جوهر
فصّلته يدُ المحبة مني ... فغدا يسلب العقولَ ويسحر
وله الشكر في اجتماع كريمٍ ... عن عُلا قدرِك المعظم أخبر
زادني منّةً بأخبار أني ... باق على لسانك أذكَرْ[1]
نعم منه عثمانُ من لا يبارى ... فهو فرد بالفضل منه تكثّر
حق للموْصِلي الشهير بهِ لو ... يباهي كل الديار ويفخر[1]
دام في نعمة ودمت بخير ... في لباس من السلامة أخبر

(١) في البيت كسر عروضي. يصح لو قال في الأول: (أني أنا باق)، وفي الثاني: (أن/ لو يباهي).

- ٨٤ -

فأجابه أنور بقوله[1]:

دمت في نعمـة، ودام بخيـر   حيث عثمانُ عن ضميريَ عبّـر
فلك الفضلُ، والهمام له الفضـ   ـلُ علينـا فيمـا نـواه ودبّـر
حـرك الشـوق والهـوى لتلاقيـ   ـنا، وكم قلب يا فؤادي تصبّـر
عـاد باليُسْـر سالمـا بعـد حـجٍّ   بنشيـد مـن اليـواقيت أفـخـر
من نـظام الأستـاذ أيّـده اللـ   ـهُ عقـودا بين الورى لا تقدّر
كـل بيتٍ منها حـريٌّ بـأن يـو   ضـع سمـطين للمليحـة جوهـر
لـو مدحت المليـك منها ببيتٍ   مـاس تيهـاً من عجبه يتبختـر
تتغـالى الأحباب في حـلّ معْـ   ـنَى سرِّها الغامض الدقيق فتُحصَر
من يباريك إن نـظمت قريضـا   أو يجاريك إن خـطبت بمنبر؟
هل يضاهيك في فنونك حَبْر.؟   أو دَرَى ما يجر علمـك مُضمر
سيمـا أنت يـا ربيب المعـالي   ورضيـعَ العلوم لا شك أشهـر
بت في أيّ بلدة كنـت فيهـا   تتبـاهى بـك الـديـار، وتفخـر
إنـك الشمس في سماء المعالي   ومع الشمس لا ترى النجم يظهر
(بَا عصام)، عذرا، فليس بوسعي   أن أجاري هـذا القريض المحبّر
غيـر أني أدّيت واجب حمـدي   وابتهـالي لدى الحبيب المـطهر

- ٨٥ -

وقال، في تهنئة أمير مكة بالحج:

سعيتَ إلى اللـه سعيـاً جميـلا   فكنتَ النـزيـلَ عليـه الـدخيـلا

---

(١) قصيدة أنور عشقي هذه، ليست موجودة بالمخطوط. وأثبتناها من دفتر علي حافظ.

فما خاب من أمّ يرجو الإلّه وأمل منه الثواب الجزيلا
فبشرى بحج عظيم، به بلغتَ المراد، ونلت القبولا
فهذا الذي العِيسُ أمّت له تشقُّ الحزون وتَفْري السهولا
ثقالاً على البُعد تختالهن طلاحاً عرضْن وإلا نخيلا
ضوامرُ من كل فجٍّ تَسِلن إلى البيت تحسبهنّ السيولا
طوين المهامهَ مشكورة على سعيها، وقطعنَ السبيلا
كأن لديها اشتياقاً لأن ترى شامة أو لترعى طفيلا[1]
وكائنْ عظيمٍ شديد القُوَى يسرُّ الخواطرَ عرضاً وطولا
يشدّ على الموج شد الحنيق فيعدو هزبْراً، ويمضي صقيلا
جريء على السير لم يكترث أطَلْتَ السُّرى أم أدمت الرحيلا . ؟
كأنك منه برضوى تسير فتفري الخضمّ العريضَ الطويلا
عجبت لهذا البخار الذي به النفعُ حيَّر منا العقولا
ووابورُ بحرٍ به قد مشى على كف ذي العرشِ عرضاً وطولا
كأنْ قدْ غدا نُوحُ رُبّانَه وبالأمن ظلَّ عليه كفيلا
يوطِّىء راكبَه مركباً سريعاً، وطيئاً، وظلاً ظليلا
عليه وفوق المطايا سرى إلى الله شعثٌ أجابوا الخليلا
ولبُّوْا إلى موقف العفو للإ لّه، وقاموا لديه مُثولا
فهذي مِنًى حيث يَلقى المنى الـ ـحجيجُ، ويشكُر ربّاً جليلا
تودّ النجوم على بُعْدها بأن يد الحاج لوْ أن تطولا
ليلقُطَ للرمْي منها الجمارَ فيرمي الجمارَ الثلاث المثولا
فلا أرضَ أرْضَى إلى الله أو على الله أكرمُ منها نزولا
فلله من جمرات رُميـ ـن ومِنْ دمِ هدْيٍ عليها أُسيلا

---

(١) طفيلاً: طفلها.

ولـلـه أيامُ عيدٍ غدا … عظيمَ النوال، عميماً شَمولا
وأوقاتُ سعد كسعد الأمير … مَنْ جدُّه كان طَه الرسولا
عليُّ السِّمات الذي كفه الـ … ـكريمةُ تحكي السحاب الهَطولا
تفرَّدَ عن أن ترى مثله … شريفاً سريّاً، وغيثاً هَمُولا
وجل مثيلاً فليس ترى … قريناً لسيدنا، أو عديلا
يحارُ الممثّل في وصفه الـ … ـحميدِ، فيعجز عن أن يقولا
فقل: قف لمن رام تشبيهه … بشيء طلبت به المستحيلا
وهل يدرك الوصف حتى يرى الـ … ـممثّلُ للشيء شيئاً مثيلاً.؟
مليك من الشمّ، شُمُّ الألى … حمَوْا حَرَم الله دهراً طويلا
فهمْ صفوة الله من خلقه … سموًّا ونَجْراً، وأكرمُ جيلا
أليس الألى خصَّ دون المَلاَ الإِ … لَهُ لخدمتهم جبْرئيلا
ففي آل عون بني الطهر مَنْ … تروم العلا كُفْؤَها والقبيلا
غيوث الندى، وليوث الوغى، … وهل تلد الأسد إلا شبولا.؟
كفى ما بسيِّدنا عنهمُ … شواهدُ لم نبْغ معْها دليلا
سل البيت عنه وهذا المقامَ … وحيدرةً جدَّه، والبتولا
يشوقُك منه أغرُّ النقيبةِ(1) … ما في جميع مزاياه قيلا
يصدّ الخطوب بآرائه … ويوطىء هامَ العدوِّ الخيولا
له عزَماتٌ متى جرِّدت … غدت مُصقِلات لديه نُصولا
فشكراً لسلطاننا أنْ حباك … بما أنت أهلٌ له أن تطولا
أفاض عليك بفضفاضة … تجر على النجم منها الذيولا
مطرزة تبهت الشمس أن … تسير وتوقفها أن تميلا
فهذا بسعدك فرْمانُه … تُلي، فسمعنا الثناء الجميلا

---

(1) النقيبة: الخلق الحسن.

فكنت الصديقَ وفاءً له ... وكان بما ترتجيه وَصُولا
ودونك عذراءَ عزّت على ... سواك وحبّت إليك الوصولا
تقبُّل أعتابك الساميات ... ولا عنك من كان تبغي بديلا
تُخال إذا أُنشِدت أنها ... تدير على سامعيها الشَّمولا
تهنِّيك أنك بالحج فُزْت ... ونلتَ من المنعم البَرِّ سُولا
ودمْ كلَّ عيد بأهنى السرور ... ونسأل ذا العرش أن لا تزولا

- ٨٦ -

(وقال فيه):

الحج بالخير مقرون مدى الأبدِ ... فاطلب به فضلَ عفوِ المنعم الصمد
وابلُغْ عظيم المنى فيه فقد جَمعتْ، ... مِنًى لك الأجرِ من فوزٍ، ومن رَشَد
هيَ المشاعر لا ما اشتقْتَ من دِمَنٍ ... عفتْ سوى أُثفيات شَنٍّ أو وتد
وهي القباب التي وفْدُ الإلهِ بها ... لا ما بنَتْ إرَمٌ قدْماً من العَمَد
أقسمتُ بالراقصات القود ضُمّرها ... سُرَى الدجى عامداتٍ خيْرَ ما بَلد
وبالتي نضحت أوداجُها علقاً ... فبَنَّ في كبد عارٍ، وفي عضد[1]
ما الشوق أحمدُ من شوق يقرِّب من ... قُرْبَى تَفيك ببشرى الواحدِ الأحد
فانثر سروراً يواقيتَ المدامع في ... هاتي المواقيتِ شكرا، غيرَ متئد
ما الدمع يجري سروراً كالمدامع في ... هوىً يصرِّح عن شكوى، وعن نكد
فانظم سموطَ عقودِ الدر في بلد ... له من الأمن أهنى عيشةٍ، رَغِد
لله من بلد، لله منتسبٌ ... أربَتْ مزاياه أن تحصى على العدد
تهوي القلوبُ له شوقاً فيملؤها ... مسرةً وهَنًا حتى تقول قدِ[2]

(١) بنَّ: أقام.
(٢) قدِ: اسم فعل بمعنى يكفي.

فكم به طِيفَ بالبيت العتيقِ، وكم … فِدًى بواديه للمولى العظيم فُدِي

آلَ الصفا هل صفا ودي لغيركمُ . ؟ … وهل سواكمْ قسيمُ الروح في جسد . ؟

وهـل نزيـلٌ نزلتمْ بين أضلُعـه … غيري فأصبح منكم آهلاً خَلَدِي . ؟

يا جيرة اللـه إن غيري لغيركمُ … فهل سواكم رجوتُ العمر من أحد . ؟

رَغْبـاً أحبَّايَ حـرًّا رقّ عنـدكمُ … وجْداً، فظلَّ رقيقَ القول والجلَدِ

فقِبْلةُ اللـه دون العـالمين لكمْ … يا فوْزَ مَنْ قصد المولى بكم فهُدي

هذا يمينُ إلّه العرش يشهد بالْـ … ـفضل القديم لكم، والسؤددِ الأبدِي

يـا ليتمـا كـل يوم عادَ عادَ لنا … بالخَيْف عيداً سعيداً لا إلـى أمد

وليتما من ليالي الخَيْف أجمع ما … أعَدَّه الدهـرُ من ليلاتنـا الجُدُد

لولاي بالحج ذو نُسْك لمِلْتُ إلى … ما يوسع البِيضَ أوصافاً ولم أجِد

مالي وللغيد يسلبن العقولَ إذا … ما مِسْنَ في الحِبَرِ المُوشاتِ، والبُرُد . ؟

كـأنهن الصِّعادُ السمهـريّـة، أو … كـأنهـن الغصون المُلْـدُ في المـيَد

مِنْ أحسنِ البِرّ في حجي الثناءُ على … آل النبيِّ، ومَنْ هم جلُّ معتمدي

عِزْني مسامعَ مشتـاقٍ إلى مِدَحي … في ابن الرسول، وما تشدو به قُصُدي

فلو نقدتُ ـ لعمري ـ الناس أجمعَهمْ … قصد المثيل له، هيهات . ! لم أجِد

هذا (عليٌّ) وهذا منتهى أملِ الرّا … جي، وأوّلُ منقـودٍ لمـنتـقـد

مَلْكٌ تفـرّد أوصافاً، كمـا انفردت … أمُّ القرى منـه بالصمصامة الفَرِد

أحيـا معالمَ (عبدِ اللـه) والـدِه … يـا نعم من والد بَـرٍّ ومن ولد

فلن تـرى كفَّـه مقبـوضـةً أبـدا … إلا على قلم، أو صـارم حَـرِد

بِشْـرٌ تكفّـل بـالآمـال يُنجزُهـا … ومنطِقٌ مثلما تجني مـن الشَّهَد

في هيبة ذلّلَتْ أُسْدَ العرين له … رغْباً غدا فيهمُ أقوى من الصَّفَد

وهمة حلّقت فوق السماك إلى … ما لا يقدِّرُ من عُلوٍ، ومـن بُعُد

سل القنا عنْـهُ والجُرْدَ العتاقَ إذا … ما خضن في حَلَق الآذيِّ والزَّرَد

فالأمنُ ضافٍ، مديدُ الظلِّ، فارْعَ به ... في أيِّ ما منزلٍ وافيتَه، وَرِدِ
كأنما أنت أنّى كنت في ثقةٍ ... مِنْ جنْده آمناً تمشي، وفي حَشَد
يُرْجى ويُخشَى، كذاك اللهُ صوَّرَهُ ... يرجى النوالُ، ويُخشى سطوةُ الأَسَد
يا كوكباً طلعتْ سعدا إمارتُه ... في أفْقِ أبلجَ وضّاحِ السنا سنَدِ
من (آل عون) حماةِ الضيم، أشرفِ مَنْ ... في نَيْلِ أقصى العلا والمجدِ، مجتهد
لا يسأم الجارُ منهم ما أقام، ولا ... منه يملُّون، فاختـرْ أيُّهم، وَفِد
تقاربوا كأنابيب القنا شَبَهاً، ... من كل شهم كصدر الرمح، مُطَّرِد
عاري الظنابيب، لا ينفك في شرف ... ما بين عُقْرٍ صِعابٍ، أو قنى قَصِد[1]
أنت الكفيل بهم يا ابن الرسول، وهمْ ... أوفى عصابتِك السمحاءِ والحَفَد
إليك عذراءَ وافت من ثنائك في ... نظمٍ كسمط اللآلي البيضِ منتضِد
تكامل الحسن في أبياتها شبَهاً ... من كل معنى بديع الوصف، مُنفرد
فلو أرادت مزيداً فوق ذاك على ... ما أحرزتْ من بديع الحسن لم تزِد
يقضي لها من دَرَى حُرَّ الكلامِ بأنَّ ... السحرَ في عِقْدها المنضودِ لا العُقَد
وافت إلى بحرك الفياض واردةً ... ومن يرى البحر لا يَرْوَى من الثَّمَد
وقبَّلتْ أرضك العلياءَ تهنئةً ... من قبل تقبيل كفٍّ شُرِّفت، ويد
فدمْ هنيئاً بعيدِ النَّحر منتحرا ... نَحْرَ العدو، ومن يَشْناك من حسد
والبسْ مدى الدهر خِلْعاتِ القبول على ... سماع قارىء فَرْمانٍ تُـلي، غَرِد
فاسلمْ، ودمْ واهنَ، واقْضِ العيد في سعةٍ ... شكراً على نعمة المولى، وجُدْ وزِد

---

(١) الظنابيب: جمع ظنبوب، وهو الساق.

- ٨٧ -

وقال:

لا تحسبنَّ لباسَ الرسم تلبسه   موشًى يُشبِّيك من فضل ومن أدب[١]

إن الحمار حمارٌ لو صنعتَ له   سرْجاً من الفضة البَيْضا، أو الذهب

- ٨٨ -

خطبة تسليم السيد عز الدين بن الفاضل السيد جعفر هاشم ليلة ٢٠ في شوال المبارك سنة ١٣٢٧ هـ على بنت المحترم السيد فريد أعظم.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

حمداً لمن وفقنا لتحلية صدور الخطب بدر فريد حمداً فتَحَ به كتابه، وأشكره على ما أجرى على هذه الأمة من جعفرِ[٢] فيضِ القبول بإنجاز السؤل وإسعاف الإجابة، والصلاة والسلام على حبيبه الشفيعِ الشفيق بأمته المبعوث رحمة للعالمين، ورسوله الرفيق بكل عبدٍ رَقَي سلَّمَ التسليم للعلي القادر حسَنِ الظن واليقين، وعلى آله وصحبه ما تهنّتْ بسلسبيل التهاني الخواطرُ والنفوس، فلا أهنأ من كؤسٍ دارت بنيل الأمانيّ ولا عطر بعد عروس.

أما بعد:

فلا شك أن اتّباع السنّة السنية سببٌ لبلوغ كل مطلوب، سيما النكاح الذي ربما تَرقّى من السنّة إلى الوجوب، وناهيك ما ورد فيه من الأثر الذي عن كل قول يُغْني، قولُه ﷺ: «النكاح سُنّتي فمن رغبَ عن سنتي فليس مني».

---

(١) يُشبِّيك: يعزك، ويرفع قدرك.

(٢) جعفر: نهر.

دارٌ بناها رفيعُ المجد فانبجستْ　أنـوارها بـدور أسـفرتْ شـرفـا
علمٌ وفضلٌ، وأهل للكمال، فلن　ترى سوى قـادةٍ أو سادةٍ عُـرَفا
ومن خطيب له قسُّ الفصاحة لو　أصغى لمـال إلى التسليم واعترَفا
يحذون من أمِّهم طيباً بقـربهم　ويتحفون المـوافي جوهراً أنـفا
ومَنْ خطبْنا له، وافي المكارم مِن　دين رصين، وآداب بهـا اتّصفا
فحبذا منه عزّ الدين، نجل أُولي　تقوى، بني هاشم، والسادةِ الشُّرَفا
يـرجو إجـابةَ سُؤْل في مخـدَّرة　عفيفةٍ، أصلُها من فوق ما وُصِفا
من نسل طه على الدين الذي اعتصمتْ　به، وحسبك أصلٌ طاهرٌ، وكفى

فمن أجابَ بجميل قبول معجَّل الصداق الكامل سدّد الله مسعاه، وبلغ من الحور العين إن شاء الله مناه. اللهم إنا نسألك السعادة والعافية في المبدإ والمآل، وإتمـام ما اجتمعنا لأجله على وَفْق ما يكون بالرِّفاء والبنين بين صاحبَيْه وحسن الحال، ونسألك اللهم نصْرَ هذا الدين القويم، ببقاء دولة مولانا السلطان محمد رشاد خان الذي قام بتقويم العدالة أحسن تقويم، وأن تنجح لكل من الحاضرين مطلبه في كل ما يتمناه، بجاه الفاتح[1] الخاتم أشرف من أرسلْتَه بالحق فأداه وأدناه. اهـ.

ـ ٨٩ ـ

وقلتُ، مهنئاً دولة أمير مكة المكرمة سيدنا الشريف علي باشا، وذلك بالمولد الشريف سنة ١٣٢٥:

نوى كَتْمَ الغـرام فمـا استطاعا　وكلُّ هوى أسال الدمـعَ شاعـا
فما عذري إذا لـم أبْكِ شوقـا　وخفـقُ البين يقذف بي ضياعا.؟
وهـل لـومٌ إذا مـا الحب أعيـا　علـى كتمـانـه سقَمـاً فـذاعـا

(١) للعلماء في التوسل بجاه الرسول ﷺ أقوال معروفة، ولينظر كتاب (التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

فشنِّف يا هذيم[1] بهِمْ، وتابعْ ... نشيدَكَ في صفاتهمُ تباعا

لعلي إن يفتْني أن أراهمْ ... عيانا أن أشاهدهم سماعا

قضوا ألا أكون وهُمْ قريبٌ ... وأن لا أرتجي لهمُ ارتجاعا

فكفكف في صدور العِيسِ شيئا ... فإنك حيثُ مني العقلُ ضاعا

ألم ترها منازل مقوياتٍ ... رهيناتِ العَفاء، خلَتْ رِباعا

تبدلت الغواني الغيد فيها ... أوابدَ ما تألفت القناعا

جوازيَ لا يَرِدْن الماء غبًّا ... ولا يأنسن ما كنَّ ارتياعا

وعهدي أنها روضاتُ أنْسٍ ... كما شاءت خواطرنا اتساعا

قدودٌ كالغصون موشّحاتٍ ... يَمِسن، وأوجهٌ سطعتْ شُعاعا

يخرّ البدرُ ما سِرْن انبهاتاً ... ويهوِي الغصنُ ما مِسْن انخضاعا

فيالَلّه ما أهْنا مُقامي ... بسفح قباً، وأطْيَبَها بِقاعا

قريرَ الطرف لا أخشى ملالاً ... بذات الدل، أو أشكو خداعا

وأحسبني وكنت بها حفيًّا ... بأني لم أخَفْ منها انقطاعا

فما أدري بي الأيام ألْوتْ ... أمِ الحسناءُ ساءَتْنا طباعا.؟

كأني لم أكن للبدر منها ... سميرًا، أو نعمتُ بها اجتماعا

فإن يا عَزَّ ساءَ لديكِ حظي ... وصبري فيكمُ عَزَّ امْتناعا

وبت بمهجة حرَّاءَ شوقاً ... ولي نفْسٌ بكمْ ذهبت شَعاعا

فما شوقي إليكم مثلُ شوقي ... إلى بابٍ سما النجْمَ ارتفاعا

وخيرِ جنابِ أشرفِ هاشميٍّ ... رحيبٍ طالَ صاحبُه ذراعا

عليِّ القدْر، ماضي الأمر، ضخمُ الدَّ ... سيعة، واسعٌ صدراً وباعا

فما للغيث ما فيه سماحاً ... وما لليْث ما فيه دفاعا

يسرُّك ما يسرك مشرفيٌّ ... إذا ما طمَّتِ الجُلَّى قِراعا

---

(١) يا هذيم: كذا بالأصل.

مليكٌ من بني الزهراء أرضى ... حِمَى المولى أماناً وانتفاعا
فلن تخشى غشوماً في حماه ... يخاف أذًى، ولن تَلْقى مُراعا
فأيّاً ما نزلت نزلت حصنا ... منيعاً أو حللت به قِلاعا
أقام صَغَى الزمانِ بسيف عدلٍ ... به أصمى فواجعَه الضِّباعا(١)
وقام نصيرَ بيت الله حتى ... تراجع سَرْحُه سعةً، وراعا
تعدَّى الصاعدِينَ فلن يُسامَى ... وفات السابقين فلن يُساعَى
وسامى النجمَ آباءً ونفْسا ... فحَلُّوا المجد والشرَفَ اليفاعا
فسَلْهمْ كيف تصطدم المذاكي ... مسوّمةً، وتنتقد الشجاعا
وسل بطحاءَ مكة كيف صانوا ... وذبوا عن مشاعرِها السِّباعا
فهم آلُ النبي ولا نزاع ... ومن ذا يبتغي معهمْ نزاعا
هنيئاً ما تعاقبتِ الليالي ... وما الأيام عاصيها أطاعا
وما وافى ربيعٌ كلَّ عامٍ ... يقبل كفَّك العُلْيا اختضاعا
تبارك مولد فيه تساعت ... له الأملاك بالبشْرَى سراعا
وعمَّ العالمين بزوغُ شمس الـ ... ـهدَى طَهَ، وقد ملأ الصِّقاعا
فشكراً أن أراك به دواماً ... يوافيك الثناءُ بما استطاعا
وغرسُ جَداك يُثْمر عن قوافٍ ... بدائعَ تخلب اللبُّ ابتداعا
يرتلها إليك أبرُّ مولىً ... وأوفى من تملّكتَ اصطناعا
وإنك يا ابْنَ عبدِ الله ذخري ... فحاشا أن أُخيَّبَ أو أُضاعا
ولو أني أتيتُك بالثُّريّا ... مقلّدة بها قُصُدي اختراعا
وغار على المعاني الغُرُّ فكري ... فأوردني المجرَّةَ والذِّراعا
ففيك أجلّ من مَدْحي صفاتٌ ... وأوفى من شوارديَ اطلاعا
فعفواً دمْتَ سيِّدنا، وعذراً ... فما أغنى لساناً أو يراعا

---

(١) صغى الزمان: ميله.

وجهدي أن يدوم بقاك فيما تسرُّ به أمانا واتِّراعا
وعبدُك لن يزالَ ملاحظاً مِنْـك بالأنظار مرْعيًّا مراعا
وصلِّ على الرسول وآله الغـرِّ، مَنْ طبِعوا على الخير انطباعا
وأصحابٍ كرامٍ ما تناهى ثنائي يمدَحُ الملِكَ المُطاعا

– ٩٠ –

وقلت، في ذات جمال باهر، وخلق زاهر، وطبع سليم، ووصف مستقيم، ساقها القدر المتاح، مذ كنت مجاوراً تلك البطاح، بخستخانة البلدية، ببيروت البهية. فاستأذنتْ ذات يوم لزيارة أهلها فتوحشتُ لغيبتها، وذلك سنة ١٣٢٧ وكانت في تلك المدة قائمة جزاها الله خيراً بإصلاح شأني في مرضي مدة كنت مقيماً بالخستخانة المذكورة:

يا دعد أين غدا قلبي وقد ذهبا لمَّا ذهبت فهل عنه وجدت نبا.؟
فقدتُ بعدك نور الشمس طالعةً فكلُّ شيء على عيني قد احتجبا
ما كنت أحسبُ أن البعد يُقلقني ويجمعُ الليلُ لي من بعدِك الكُرَبا
فمذ بعُدتِ رأيتُ الأرض ترجف بي مشرَّد النوم، هامي الدمع، مضطربا
إذا سمعتُ صدى صوتٍ يخيَّل لي كأنه منك صوتٌ بالْهَنا اقتربا
وإن على حجرتي قد مرَّ بي أحد خال الفؤاد خيالاً منك فارتقبا
وكل شيء عليه العينُ قد وقعت فيه أرى اسمك بالتقدير قد كُتِبا
لوغبتِ عن ناظري ماغبتِ عن كبدي فأنت أنت تنائَى الوصلُ أم قَرُبا
فلو نظرت إلى نفسي يخيَّل لي بأنني أنت، لولا الشيبُ بي لعبا
إذا رآني خليُّ البال يحسبني في راحة بالغاً من دهري الأَرَبا
أُبْدي التبسمَ والأحشاءُ في ضرم والشوقُ يعرفه مَنْ بالهوى انْتشبا
لا تحسبي أنني أسلو هواك ولو فيك العواذل قَدُّوا مهجتي إرَبا
إن تسألِينيَ عن أسباب حبِّيَ أو عن ذا الهوى، فاطلبي من حُسْنك السببا

وإن همو عجبوا أني أُحِبُّ بلا ريب غزالاً بديع الوصف، واعجبا.!
فلينظروا بعيوني إن بهم عَمَهٌ ما كل عين ترى الأشيا كما وجبا

- ٩١ -

وقلت فيها أيضاً:

يا ربَّة الحسن، يا دعدُ فديتُكِ بي والناسُ أجمعُهمْ عندي فدَى دعْدِ
ما كنت أحسب دارَ الخُلْد أدخلها قبل الممات بلا ريب ولا جَحْد
حتى وصلتُ إلى بيروت معتمدا في رتْقِ (فتْقِيَ) بالمولى العلِي الفَرْد
فاخترتُ أبقى بمستشفى البلاد إلى خَتْم الجراح الذي شقُّوا له جِلْدي
فقابلتْني برحب الصدر غانيةٌ عذراءُ حوريةٌ فرت من الخُلْد
لله منها فتاةٌ لا نظيرَ لها في الخَلْق والخُلْق والآداب والرُّشْد
كأنها البدر لولا دُرُّ منطقها أو أنها الشمس لولا نصبةُ القدّ
إذا نظرت إليها خلْتَها ملَكًا في أحسن الوصف من قدٍّ ومن خدٍّ
شُفِيتُ أولَ يومٍ قد نظرتُ لها من السرور الذي استولى على كبْدي
حتى توهمتُ ما بي قطُّ من ألمٍ وعاد حظي جميلاً، واعتلى سعْدي
والحمد لله زال البأس، ليت به لم تَقْطع الوصل، أوتَبْقَى على العهد
ولتهني يا دعدُ بالعمر الطويل وبالرِّ زْق الوسيع، وهذا منتهى قَصْدي

- ٩٢ -

وقلت، فيها أيضاً:

لا بد ذا الدهر يا دعد يُطوِّح بي فليس يهتمُّ من لوْمي ولا عَتَبي
ما بيننا نسبةٌ في العُمْر تحفظ لي عهداً لديك فأخشى أن يُغيِّر بي

وأنتِ والبدرُ في شبْهٍ وفي عُمُرٍ ... سيّان، لو لم تزيدي عنه بالأدب
والشمس أختكِ لو رُمْتُ الوصولَ لها ... لم أحظ منها بغير الكدِّ والتَّعب
ولا أؤمِّل أنَّ القلب منك لـه ... ميلٌ لمثلي فيسعى الدَهْرَ في طلبي
نعمْ كبِرتُ وشالَ الشيبُ مشْعله ... في ليل فَوْدي وقلبي بَعْدُ لم يَشِب
إن تعجبي أن فيك الحبَّ أفتنني ... فالدهرُ من أولِ الدنيا أبو العَجَب
ما كنت أحسب أن الحورَ قبلكِ إن ... شاءت لنا برزَتْ من داخلِ الحجب
كلاّ ولا خلتُ أن الظبْيَ ينطِق عن ... دُرٍّ نضيدٍ ولفظ مُعرِبٍ عـربي
ولا ظننت بأن الغصن يرفل في ... وشْيِ الحرير، ولا حَلْيٍ من الذهب
في ذمة اللـه مني إن سفكتِ دمي ... لا مَنْ يُداعيك فـي نفْسي ولا سَلَبي
فالمالُ مـالُكِ مـا فيـه مشارَكةٌ ... والأمر أمرك في روحي وفي نَشَبي
سبحان مَنْ فيكِ هذا الحسنَ أبْدَعه ... لتـذهبي بالحجى منـي وتستَلبي
إذا تَبَسَّمتِ لاح الـدرُّ منتـظمـا ... وإن تكلّمتِ كان اللفظ من ضَرَب
فلا وربكِ لا أنساكِ أين غدت ... نفسي، وأين مضت بي تنتحي نُجُبي
وأنت في الحِلِّ إن تنسَيْ محبَّكِ أو ... إذا تـذكّرتـه في السهل والرُّحب
وما عليْـكِ إذ مـا قلتِ فارقَنـا ... شيخٌ كبيرٌ نحيلُ الجسم مثلُ أبي
قد كان ذا مرضٍ قضّى لياليَهُ ... وراح ما همَّني، دعْني من اللعب
إن المحبين لي كالرَّمْل عدَّتُهـمْ ... فهل يَظُـنُّ بأنْ عيني تراه صبي
باللـه يا أُمَّتَا إنْ جاء يسأل عن ... دعْدٍ دعيه فمـالي فيه من أَرَب
مـا لـي وهـاريـةٍ قـضَّـى شبيبتَـه ... عـاري الظنابيـب، محسوبٍ من الخَشـب
فـلا مـلام فـإنـي لستُ أنكـره ... لكنما أنـتِ في أحْشايَ لم تغب
مضى زماني ولم يُوهِ الهوى جَلَدي ... ولا تعرَّض بـي بيْـنٌ إلى العطب
ما بين لحمي مشى هذا الهوى ودمي ... فلم يدَعْ فـيَّ عضواً منه لم يُصبَ

كـأنني بالليـالي عنـك تبعـدُني والحال بعد الهنا تعدو إلى نَصَبي
أستودع اللـه بدرًا منك فارقني ودّعتـه سـرَّ قلبٍ رقّ منْعـطِـب
وارحمتـاه لصبٌ ما رضيتِ بـه خـلا ببيتٍ يعـدُّ النجمَ منتحب
وأنت لا زلت في نُعمَى وعافية وخيرِ رزقٍ بِطُولِ العمر مُنْعصِب

- ٩٣ -

وكنت مارًّا بالشام، فنظر بعض الأصحاب شخصاً مليحاً فقال: هذا أجمل بهاءً من دعد. فقلت ارتجالاً:

يقول بعض أُصَيْحابي وقد نظرتْ عيناه شخصاً مليحاً أهيفَ القدِّ
أظن هذا على دعْدٍ يزيد بهًـا. فقلتُ: دعني وقولَ الزُّور في دعد

- ٩٤ -

(وقلت):

لا شيء أهنأ لـي وأكملُ راحةً من أنَّ ذا رحمي أراه في هَنا
فـإذا تكون مصيبة عـارضَتْهـا مـن دونـه وكفيتُـه فيهـا العَنـا
لَحْمي له حِـلٌ، وعندي لَحْـمُه أبـدًا حـرام مـا أسـاء وأحسنـا
أنا في غنـى عن أن أكلِّفه ولو جـار الزمان، وما له عنّي غِنى
أشقَى لأَبْنيَ مجْـدَه، حـتى إذا أتممتُ مبنـاه لـه هـدَمَ البِنـا
ويفـرَّ من تعبي لـه لعنـائـه جهلًا، وماذا ضره لو أن دنا.؟
وعلى الحقيقة راحتي في أن أرا هُ بـراحة فـي قُـرْبنا أو بُعْـدنـا
يجني علـيَّ ونفْسِه جهلا، ولا يدري، ولستُ ألومه لو قد جَنَى
هـذي مـعـاملتـي لـه فتـأمّلوا حبِّي الـذي جازاه بُغضًا أمْكنا
يـا ربِّ لا تـأخذ عليـه قطيعتي وأزِل بـلطفك بُغضه المتمكنـا[1]

---

(١) البيتان الأخيران غير موجودين بالمخطوط، بل هما في دفتر علي حافظ، من زيادة محمد =

وقال، حضرة الأستاذ العلامة الشيخ عثمان أفندي الموصلي، سنة ١٣٢٥: وقلت حين أوردني عذب مورده بعد الظَّمَا، وفتح عينَ فكري بعد العمى: رجلٌ (عشْقي) قادني إلى هواه، فعاد طريقي (أنْوَرَ) بهداه، مؤدبي ومحبوبي، الأستاذ صاحب الفضيلة خطيب منبر طَه مُنْيتي ومطلوبي، نور عيني الشيخ إبراهيم أفندي الأسكوبي لما زارني بكل ابتهاج، بمقر صاحب السعادة أمير الحاج، وملأني سروراً، ونلت من محاضرته حبوراً:

أهلا بمن صاغ البديعَ نظامُه ... في قالب حسَنٍ وفي أسلوب
سكبَ المضامينَ الحسان بأسرها ... فلذا دعَوْه السيِّد الأُسكوبي

فأجبته وأنا إبراهيم الأسكوبي:

أفدي حبيباً قديمُ الفضل قدّمَهُ ... فمن (حبيب) لديه (والوليد) معا[1]
لله بيتان أهدَى من مكارمه ... حرُّ القريض إلى معناهما خضعا
لو قيل خذ فيهما ألفين مُثْمَنَةً ... من القصيد الذي في حسنه برعا
هيهات أسمح في نجمين قد طلعا ... سعدا وشادا بذكري عندما طلعا . !
يا شاعر المصطفى يرجو شفاعته ... لا زلت تمدح دوماً خيْرَ من شفعا
برزْتَ في مدحك المختار فاهن به ... مدحاً به نورُ طَه المصطفىٰ سطعا
ونلتَ في حجِّك المبرور خيرَ مُنَى ... والقدْرَ منك هنيئا ذُو العلى رَفعا
مولاي عثمانُ إني حامدٌ أبدا ... مولًى بك اليومَ في أمِّ القرى جَمعا

= سعيد دفتردار، رحمهما الله.
وقد ذكر الدفتردار أن الأسكوبي كتبها استرضاء لأخيه محمد، الذي كان يحقد عليه.

(١) يقصد بحبيب أبا تمام. وبالوليد: البحتري.

ـ ٩٦ ـ

فأجابني بقولـه:

يـا ناظمـا زُهْرَ النجـوم قـوافيـا   تـزهـو مَـطالعُهـا لكـلِّ أريب
وبمجْمـع الأخـيـار فـرْدٌ كامـل   وبجامع المختـار خيرُ خـطيب
وبـأمْكـنِ الألباب أقـوى لاعبٍ   بنظامـه المسبوكِ والمسكـوب
إنـي لمقتـرحٌ عليـك قـصيـدةً   تُـزري نفـاستُـها بعَرْف الطيـب
تبـدو قــوافيهـا معـطرةَ اللَّـهَى   بنعـوتِ خيـرِ المرسلين حبيـبي
ويجول فـي تخميسها فكري كما   فـي غيرها قـد جال كاليَـعْبـوب
وأنـا الكفيلُ بـأن خـيـرَ مشفَّع   سينيلنـا من طَـوْلـه بنـصيـب
فالقولُ صدْق في علاه، وإنمـا   فـي غيـره لا بدّ من مكـذوب
زيِّـن قـوافيـك الحسـانَ بنعتـه   لتطيـب فـيـها روحُ كـلِّ حسيب
واسكب قـوالبهـا ببَـوْتقـة الثَّنـا   لبني النبـي، لأنـك الأسكوبـي

فنظمت القصيدة وأسلمتها له وهي محررة بهذا الديوان التي مطلعها:

أنـا مِن فرط بعـده كم أقاسي   شت فكري وضاع فيه قياسي[١]

ـ ٩٧ ـ

وأضفته في داري فقال ارتجالا:

هـذا أبـو الضِّيفـان إبـراهيمُ   قـد شـاد بيتـاً فضلُه معلوم[٢]
تـأوي إلـيـه الأنبـيَـا فـتحـجُّـه   وبـه لأُمَّـتهـا الـفـيـوضُ تـدوم

---

(١) انظر القصيدة رقم (٨٢).

(٢) المقصـود بإبراهيم هنا: إبراهيم الخليل عليه السلام. وبالبيت: الكعبة.

واليوم شاهدتُ الخليل سميَّه[1] يبني بيوتاً بالفخار تقوم
يتعلق العِرْضَ المكرَّمَ نَشْرُها وعن الأداني عِقدُها معصوم
ما النَّدُّ والمسك الشميمُ وختْمُه . ؟ ما طيبُه . ؟ ما الجوهر المنظوم . ؟
ما الغادة الحوراء . ؟ ماوجنَاتها . ؟ ماوَرْدها . ؟ ماخالُها المختوم . ؟
ما الأغيدُ الألْمَى . ؟ ومالحظاته . ؟ ما خَدُّه . ؟ ما عطرهُ المشموم . ؟
بأجلَّ من بيتٍ بنَى أركانَهُ باني المعاني الحَبْرُ إبراهيم
لقد اقتدى بسميِّه فأضافني في داره، وبها الصَّفا موسوم
معَ خيْرِ شهمٍ في الأعالي (ماجدٍ)[2] سفرُ النفائس عنده مرقوم
والصفو لاح لنا بمورد (أحمد الصافي بن طَه)[3] من له التعظيم
وجرت محادثةٌ بها يَحْيَ النُّهى ويعود غصنُ العمر وهو قديم
شملَ الجميعَ لطافةٌ في طبعه فغدا الجميعُ له هو المحكوم
لا زال عشقي فيه مبتَدأً كما خبرُ الثَّناءِ له هو المختوم

- ٩٨ -

ثم قال ارتجالاً أيضاً:

دار لإبراهيم حفَّ بها الصفا وبدا بها نورُ السرور عظيما
أركانها انتظمت بأشرف عصبة بالدين أصبح شملُها منظوما
شمل الجميعَ سخاءُ إبراهيمهمْ أنعم به من مُكرِمٍ مكروما
كرَعَ اللطائفَ والعلومَ جميعَها كأساً فأسقى جالسيه علوما
فنظامُه وكلامُه وطعامُه كلٌّ علينا أغدقَ التسنيما

(١) هنا يقصد الأسكوبي.
(٢) ماجد: لعله الشيخ ماجد كردي، المكي.
(٣) أحمد الصافي: من رجالات المدينة، وآل الصافي من الأسر المشهورة فيها.

فيها اجتمعتُ وشيخَ كلُّ مطوف   مَنْ أحرزَ التقديم والتعظيما
مَنْ فعلُه بين الورى مثلُ اسمه   هو (أحمد) يدعى أبوه رحيما
والكلُّ منهمْ أحوذيٌّ ماجد   للمجد شيّدَ مرْبَعًا معلوما
شكراً لإبراهيمنا بمقامه   الكلُّ منا أحرزَ التعظيما
ملئت مزاويدُ النُّهى من زادِهِ   ووداده، أنِعمْ به مخدوما

ـ ٩٩ ـ

فأجبته ارتجالاً بقولي:

لله من حَبْرٍ تفرَّد بالعلى   واستعبد المنثورَ والمنظوما
جادت مكارمُه فزار مُحِبَّهُ   فازددتُ تشريفاً به ونعيما
فكأنما ابراهيمُ[1] زار تكرُّما   ولدي منه غدا الكليمُ كليما
ما خلتُ يوماً قبله أن التقي   موسى الكليم به وإبراهيما
شعر كما الزُّهرِ الثوابتِ نظمُهُ   قد نظُّمته يدُ النهى تنظيما
يا واحداً جمع الفضائل كلَّها   واللهُ شرَّف قدْرَه تعظيما
أغرقتني في بحر فضلك فاتئد   هيهات مثلك أن أنال عليما
فإذا نظرت قصور شكريَ، فاعفُ عن   مثلي، وكن بالعفو منك رحيما
مولاي عثمانُ الكريمُ خلائقاً   وكفى بمثلك أن يكون كريما

ـ ١٠٠ ـ

وقلت، مؤرخاً نيشان الامتياز الوارد لدولة سيدنا أمير مكة الشريف علي باشا، وكان ورود النيشان مع فرمان الإمارة وفرمان الوزارة سنة ١٣٢٦:

لا زلت يا ابن الرسول طَه   موفر الحظ كيف شِيتَا
ترعاك عينُ الإله دوْماً   باليُمْن والسَّعد ما حييتا

(١) لا تقطع الهمزة، لضرورة الوزن.

وليهنَك الوافدُ الذي مِن (فَرُوقَ)[1]، ولتهْنَ ما هَنِيتا
فدامَ سلطاننا الذي قد علا جميع الملوك صيتا
ذو النصر عبدالحميد من فُزْ ت من رضاه بما حُبيتا
صداقةٌ منك ليس تخفى كفتْهُ أن يطلب الثبوتا
فاحمِلْ نشان امتيازهِ حا مداً شكورا بما مُنِيتا
ومن يقدِّرْ له إلّه السـ ـماءِ فوزاً فلن يفوتا
وأنت يا ابن الرسول أهلٌ والفوزُ لا شك ما لَقِيتا
فبيتكم آل بيتِ طَه عَلا بمقداره البيوتا
فالعز في بيتكمْ قديم فمن يضاهيكمُ نعوتا.؟
كأنما مكةٌ قديما تُصغي إليك الدوام لِيتا[2]
وتطلب الله أن تَليها فحقق الله ما وَليتا
فدمْ عليَّ الجنابِ وَسْماً واسْماً سما أخمصاه حُوتا[3]
لمَّا النشانُ الكريمُ وافَى وكاد مَنْ كاد أن يموتا
وقرَّتِ النفسُ منه عينا أن كنت ممن له اصْطُفِيتا
وأسْعفَ الله أن سمعنا فرْمَانَكَ الواسعَ السُّمُوتا
أهديتُ بِكراً زكتْ ثناءً تستلزِمُ المصْقَع السكوتا
فالدرُّ أوفاه فيك نظما وربما قد أتَى شَتِيتا
فطب هنيئاً بما يفوق الـ ـمسك الذكيَّ الشذَى، الفتيتا
إني اتخذتُ الثناء وِرْداً عليك قد قارن القُنُوتا
فذا ولائي والخيرُ لا شك فيك يُرجى، والخيرُ يؤتى

---

(١) فروق: كصبور، لقب القسطنطينية، كما في القاموس.
(٢) لِيتا: صفحة العنق.
(٣) حوتا: كذا بالأصل.

وجُلُّ قصْدي حلولُ أنظا رِك السوامي، ودُمْ بقيتا
والسعد من ذي العُلا دواماً عليك يكفي، وقد كُفِيتا
يَهْنَا نشانُ سما سعودا يقول أرخ: به حُظيتا

- ١٠١ -

دام (عبد الرؤوف) ينظم درا من نفيس الخطِّ البديعِ نظامُهْ
إن من رام أن يباريه خطّا ورسماً في ذين عزَّ مرامه[1]
هو جار البيت الحرام وممن قَدْرُه واجبٌ علينا احترامه
فلقد بانَ لَوْ بك الأرض باهت غير بدْعٍ، والخط أنت إمامُه
كل حرفٍ كتبتَ دُرَّةُ غوّا صٍ بها بعد أن عَيِي جاد عامه
يشرق النور منه حسناً كما يشْرق بدرُ السماء تَمَّ تمامه
شهد الخطُّ أنك اليوم فرْدُ لا تبارَى، وأذعنَتْ أقلامه
وعجيبٌ تأتي بأحسن رسم يُبْهِتُ الناظرين فيه ارتسامُه
من جوارٍ في البحر تجري، وأنها رٍ، وقَفْرٍ تشابهتْ أعلامه
ورياضٍ غصونُها كقدود الْـ ـغِيد، والزهرِ فُتِّحَتْ أكمامه
لا عدِمْناك ما توالى زمانٌ، بك تزهو سوافرٌ أيامه

- ١٠٢ -

(وقلت، في أمير مكة):

يا ابن الرسول، وصفوةَ الآ ل الميامين الغُرَرْ
وأميرَ مكة من له أسمى مقامٍ في مضر
عالي الجناب (عليٌّ) الْـ فيّاضُ، ذو الشرف الأغر
ما كل بانٍ إن أرا د نظيرَ ما تَبْني، قَدَرْ

---

(١) فيه كسر عروضي، ولعلها: (وارتساماً).

بيتٌ بشُبْرةَ شذْتَه يا نعمَ ذلك من أثر
بالطائف المأنوس با قٍ ما بقي دهرٌ وكر
لا غرو إن باهى بك الشمس المنيرة والقمر
وبمثله همم الملو ك الشمُّ حقًّا تُعتبر
فاهنأ به من غُرَّةٍ في جبهةٍ للدهر قَر
لا زلتَ تسكنه قرينَ السعدِ دوما والظُّفر
مذ تمَّ مبناه أتى التا ريخُ: يعجب من نظر

١٣٢٥

- ١٠٣ -

وقلت، مخمساً بيتين لأبي يزيد البسطامي[1]:

عرف الأمور وشقُّها من شام حقا بَرقها
فإذا أردت أحقها (أعطِ المعيَّةَ حقها
والزم بها حسن الأدب)
من كان دوماً جهدُهُ في ربه لم يَعْدُه
عفوُ الإله ورفْدُهُ (واعلم بأنك عبدُه
في كل حال وهْوَ رَبّْ)

- ١٠٤ -

وقلت، مباركاً بمولود اسمه محمد صادق وُلد لأبر رفيق وصديق، بل

(١) أبو يزيد البسطامي: هو طيفور بن عيسى بن سَرُوسان وهو من أصل فارسي، كان جده سرُوسان مجوسياً فأسلم. وكان أبو يزيد هذا من المتصوفين الموغلين في التصوف. (شذرات الذهب ٢ : ١٤٣).

أشفق شفيق بي وشقيق، حضرة جناب أخينا الأجل الشيخ محمد ماجد أفندي الكردي المكي، وذلك غاية ربيع الأول من سنة ١٣٢٥ :

مبارَكٌ وافدٌ يا ماجدٌ وفَدَا ... فنعم والدُهُ شهما وما وَلَدا
لا زلتَ لا زلتَ مغبوطاً به، ونَشَا ... سمحاً يكون على ما ترتجي وُلدا
محمداً صادقاً برًّا بوالدةٍ ... ووالدٍ، ولإخوانٍ له عَضُدا
فوصفه في اسمه لا شك وهْوَ لَهُ
فالٌ فطبْ، واهْنَ، واشكر واحداً أحدا
فالله يبقيكمُ، هذا يُسَرُّ بِذا ... دوماً، وأنت وهُمْ في نعمةٍ أبدا

ـ ١٠٥ ـ

البدر في أفقِ السماء كأنه ... ملك تنزَّهَ وسْطَ روضٍ مُزْهِرِ
ودنتْ له الجوزاءُ تسحب ذيلها ... في حُلَّةٍ قد كُلِّلت بالجوهر
لما رأت عِقْدَ الثريا عنْده ... قالت له: يا سيدي ذا تشتري
فأجابها الدَّبَرانِ أهداهُ لنا ... فدَعِيه، أو فتَناوَلِيه واشكري

ـ ١٠٦ ـ

وقلت، مهنئاً الشيخ محمد الشادي بقدومه للزيارة النبوية:

شدا فأطربني في وصفك الشادي ... من قبلِ القاكَ في خيرٍ أبا شادي
لما التقينا رأيتُ الذات أعظمَ مِن ... أن يبلُغَ الكُنْهَ في أوصافها حادي
محمدُ أنتَ في كل الفعال ولا ... إخالُ يحوي خصالاً منك إنشادي
فقرَّ عينا هنيئاً بالقدوم إلى ... مقر رحمة كلِّ الأمة الهادي
وابسط يديك لنيلِ العفو مغتنما ... بشرى القبول، وفُزْ منه بإسعاد

وصلٌ في روضة ما بين منبرِه وقبره، واجْنِ منها زهْرَ إرشاد

واعلم بأن الذي أمَّلت مُنجِزُه إليك ذو العرش في نفس وأولاد

إني لأشكر يوما منك شرَّفني بكامل ماجدٍ من نَجْرِ أمجاد

حَبْرٍ تصوَّرَ في بحرٍ يَفيض بما يُرْوِي الفؤاد، ويشفي غُلَّة الصادي

ومنطق كاللآلي البيض تَنْظِمها في مدح طَه ومحبوبينَ أجواد

فزر شفيعَ البرايا، وابقَ في سعةٍ واللّه يكفيك دوماً شرَّ حُسّاد[1]

- ١٠٧ -

وقلت، في محمد شوقي من أهل مصر وكان يُسوِّي لنا قهوة متقنة في سكة الحديد الحجازية[2]:

قهوة أتقنها شوقي لنا مثلُ لون الخال ِ في خدِّ الجميل

فأدِرْها قهوةً متْقنَةً يَمنِيٌّ بنُّها، تَشفي العَليل

فهي راحي، وهي (كِيفي)[3] يامحمدُ شوقي، ما لها عندي مثيل

فاملإ الفنجان لي فضلاً، وزِدْ ثانياً وارْوِ فديناك الغليل

- ١٠٨ -

وقلت، هذه القصيدة حينما كنت بدمشق الشام سنة ١٣٢٧ :

بدمشقَ حسنٌ باهر هيهات يلحقه مثال

خُودٌ كأمثال الدُّمى يَبْرزن في حَلْيِ الجمال

---

(١) تمثل هذه القصيدة نهاية صفحة ١٧٣ من المخطوط.

(٢) بداية ص ١٨٢ من المخطوط. أما الصفحات ١٧٤ ـ ١٨١ فإنها مفقودة.

ويسوِّي: يعمل، بعامية الحجازيين.

(٣) كيفي : متعتي ولذتي، (عامية).

فـقـدودهـن مـن الـقـنـا   وجـفـونـهـنّ مـن الـنـبـال
مـن كـل فـاتـكـةِ الـقـوا   م، للحظها يفري النصال[1]
فكـأنهـا أختُ الـمـهـا،   أوْ أنـهـا أخـت الـغـزال
فهنـاك تـلعـب بالأسـو   دِ البيضُ ربـاتُ الحجـال
وتـردُّ كـلَّ أخـي حـجـى   فـي حُبِّهـا مشغـولَ بـال
يشكـو مُـقـاسـاةَ الـهـوى   متـرقبـاً طِـيب الـوصـال
متحيـراً في وصف نَحْـ   ـرِ مشرق، أو وصف خال
سـلبتْـه أعـيـانُ الـمـهـا   وشجَتْـه صـاحبـةُ الـدلال
فـاحـفـظ فـؤادك في دمشـ   ـق، وعدَّ عن هـذا المجال
هيَ بلدةٌ كـمـلـت سـنـاً   لا ذمَّ يـلحـقُـهـا بـحـال
مـا نـشـتـهـي مـن روضـة   أو سـلسـلٍ عـذْبٍ زُلال
وجـلـيسٍ خـيـرٍ عـقـلُـه   عـمـا يـدنّـسـه عِـقـال
شـهمٍ يـسـرُّك في الـفـعـا   لِ، كـريمِ عمٍّ بـل وخـال
سـامـي الـشـمـائـلِ والمكـا   رم، قـدْرُه في الفضل عال
عـالـي الحـديـث، بـليغِـه   زاكٍ فصيح اللفظ، حـال
يـغـنـيـك تـحـريـرٌ لـه   جَزْلُ الصنيع، عـن السؤال
فـي كـلِّ يـومٍ بِـكْـرُ فكـ   ـرٍ منه تبدو، في كمـال
تـبـدو مع الإشـراق مُشْـ   ـرِقةٌ مـمـيّزة الـخـصـال
لـمّـا تـزل فـي خدمـة الـ   ـوطَن العزيز، ولـن تـزال
تـرجـو تَـقَـدُّمـه الـدوا   مَ، وليس ذاك مـن المحال
لـلّـه مـنـهـا حـرة   أخذَتْ على أيدي الضلال
تـدعـو إلى خـيـر المكـا   رم فـي مـعـانٍ كـاللآل

(١) كذا بالأصل، ولعلها: (ولحظها يفري النصال).

مطبوعةٍ في قالب الطّـ ـبْع السليم من الرجال
كم أعْربَتْ عن حكمة تشفي من الداء العضال
أوفَتْ بكل نصيحة ودعَتْ إلى أوفى الخلال
لم يأل جهداً نُصْحُها والحق حق أن يقال
تُنْبيك بالأخبار في وصف من السحر الحلال
يُصغي لها الحرُّ الذي تأبى خلائقُه الشكال
فيمِيزُ بين أولي اليميـ ـن بها وأصحابِ الشمال
لا زلت مقتَبَسي، ولا عرضَتْ دمشقُ على الزوال
وأمينُ بيتكما الرفيـ ـع رفيعُ حقٍّ لا جدال
وينال من يؤذيكما ما نال قبلُ أبو رِغال

- ١٠٩ -

وقلت، وقد أرسلتها في كتاب لصديقي الحافظ عثمان الموصلي سنة ١٣٢٧:

روحي فدى الشهم الذي جُمِعَتْ به أمُّ القرى في أبرك الأزمان
ذي الفضل عثمانَ الأغرِّ الموصلي، بحرِ العلوم، وحافظِ القرآن
للّه منه سيدٌ بلغ السُّها في مَنْطِق عذبٍ، وحسْنِ بيان
هيهات عِقْدُ مديحه في المصطفى يحكيه من كلِّ البرية ثاني
ما أنسى لا أنساك، دمتَ إلى العلا تَرْقَى بأهنأ عيشةٍ وأمان

- ١١٠ -

وقلت، مهنئاً ومؤرخاً ولادة محمد أنور بن نجيب بيك بن عبد الرحمن باشا بيضون من أهل بيروت سنة ١٣٢٧:

هـنيئاً بطالـع سـعـدٍ بـدا ... ويشرى بنجلٍ لأصلٍ مُطَهّر
فـطِبْ يا نـجيبُ بِـه، إنـه ... هـدية رَبٍّ بَـراه وصـوّر
لـيَحْيَ ويـبقـى لـه جـدُّه ... وتـبقـى لـه في أمـان مُقـرَّر
وفـاطـمـةُ أمُّـه الـبَرّة الّـــــتي حـظُّها منه بـاليُمْن بشَّر
فـمـا آلُ بـيـضُـون إلاّ هـمُ ... نجومُ سما المجدِ، مِنْ خير معشر
لعـزّهـم يـتنـاهَى العـلا، ... وطيبُ الفروع من الأصل يَظهر
لينْـشَ بيُمْنٍ لـه أرّخْتُ: ... وللخيـر سـامٍ محمدُ أنـور

- ١١١ -

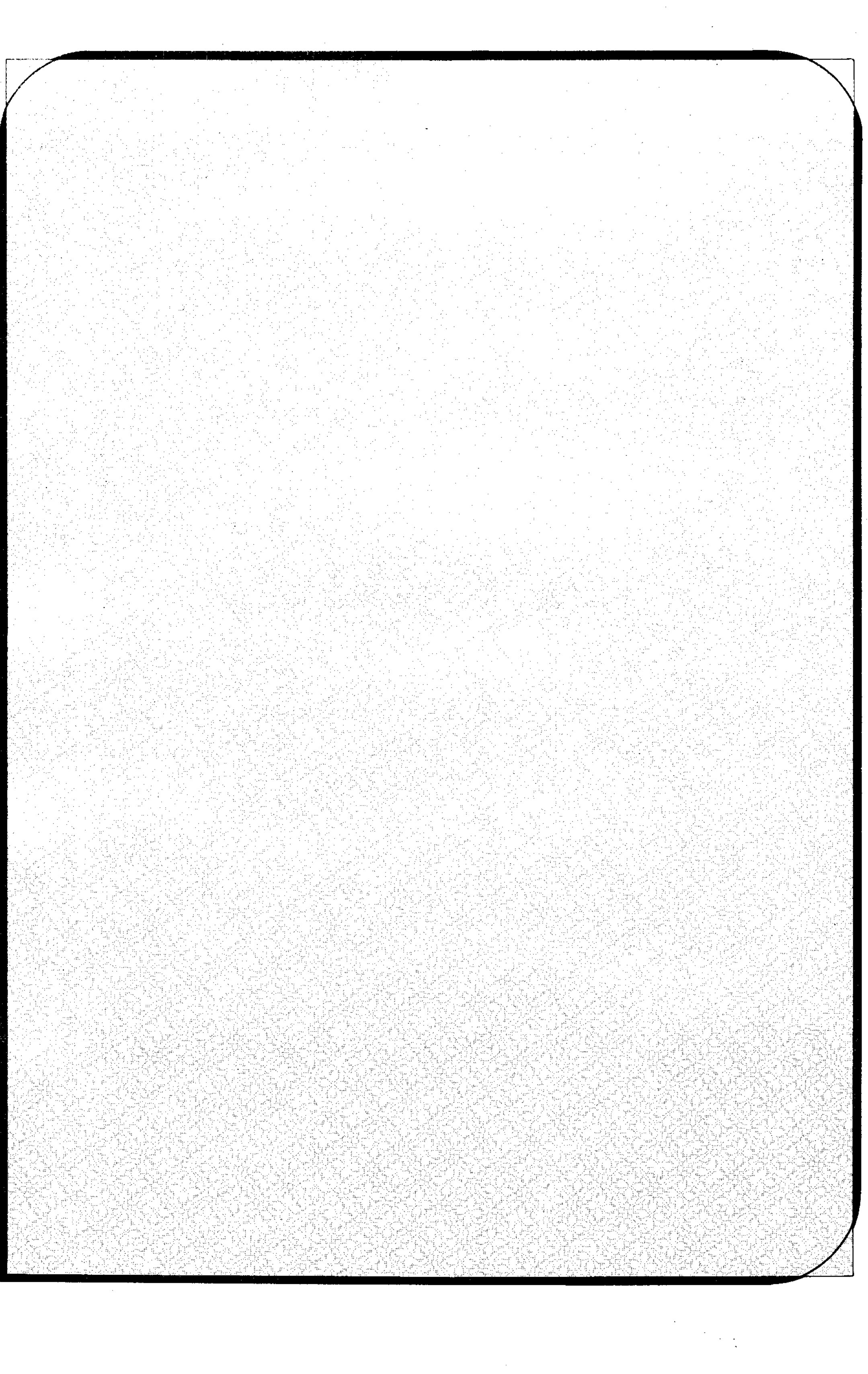
وقلت، مهنئاً نجيب بيك على زواجه بفاطمة بنت صالح بيك الطبّاع سنة ١٣٢٦:

قـرانٌ سعيد يـا نجيبُ بفاطمةْ ... فلا زلتُما في نعمةٍ دُمتَ دائمه
هي الشمس زفُّوها لبدر علا سمـا ... بجرثومةٍ مـن كـل شان سالمه
ومـا أنـت إلا طيِّبٌ فاز حظُّه ... بطيِّبة نالت مُنَى النفس غانمه
مـطهّرةِ الأطبـاع من كـلّ ريبـة ... نقيَّةِ ذيلِ الأصل والفرع، حازمه
أتيح لها بعلٌ كريمٌ أخـو تُقى ... لـه نفْسُ حرٍّ، للمعالي مُلازمه
هنيئاً مريئاً، قارَنَ السعدُ شكْلَهُ ... فكونا على وَفْقيْ رحيمٍ وراحمه
وعيشاً جميعاً في الرفاء وفي البنيـــــن واللّهُ كـلاًّ منكما ظلَّ عاصمه
فمـا أنتما إلا قـرينـا سعادة ... وإلْفَا سرورٍ، يا نجيبُ وفاطمه
ونعم بشهم (عبد رحمنَ باشا) مِنْ ... أبٍ ذي مزايا بـالمكارم قـائمه
وأعظِم لها بالوالد الشهم صالحٍ ... من اللّـه أعـلاه وزاد مكـارمه
فما كل طبّاعٍ سريٍّ كصالـحٍ ... يُجيـد بفعـل الـطيبات مباسمه
ولا زلتُمُ يا آلَ بيضون كلّكمْ ... على نعمـةٍ دوماً إليكـم مُسالمه

وقلت، مهنئاً حضرة جناب دولتْلو خديوي مصر عباس باشا، حين حج وزار النبي ﷺ، وذلك سنة ١٣٢٧ :

هي دار الحبيب يا خيرَ وافدْ ... فلنِعَمْ المقصودُ، بل والقاصدْ
وهنيئاً بالحج فزْتَ وأهلا ... بك يا مَنْ ببرِّه اللّهُ شاهدْ
فالْقَ بُشراك بالقبول، وقِفْ في ... مهبِط الوحي حيث تُقضى المقاصد
والزم البابَ بابَ طَه، وحقِّق ... فيه ظنا، تفزْ بما أنت رائد
واشهدِ الخير في مشاهده العظـ ... ـمى فيا فوْزَ من رأى ذي الْمَشاهد
شكرَ اللّهُ منك سعياً جميلا، ... وعليك الإلَهُ بالفضل عائد
ولِمصْرَ في صحةٍ وسرور ... لك بالعَوْدِ ذُو العلاء مُساعد
فعلى أهلِ ذَا الجوارِ تعطُّفْ ... بحلول الأنظار، يا ذا العوائد
فهمُ بين شاكرٍ لك فضلاً ... ولأسلافك الكرام، وحامد
ما ظننا يزورنا النِّيلُ حتى ... أعربَتْ عن سناك هذي المعاهد
أنت لا شك مفردٌ في رفيع الـ ... ـمجد، سامٍ عُلاكَ، مِن غير جاحد
ولأهل الإسلام ظلٌّ ظليل، ... فائضُ العدل، واكف الغيث، زائد
رفع اللّه شأن (عبّاسَ باشا) ... والِيَ القُطْر، قُطْر مصرَ الماجد
وأثاب الحسْنَى خدِيوِيَّنا الشهـ ... ـم العظيمَ، إبن العظام الأماجد
دم عزيزاً عزيزَ مصْرَ بِحظٍّ ... في المعالي مدى المدى متزايد
وابقَ في نعمة تقرّ لها عيـ ... ـن محبٍّ، وتعمى عين الحاسد
وأراك الإله نسلك يرقَوْ ... ن المعالى، ويكسبون المحامد
ما بمسكِ الختام وافتْ عَرُوب ... بثناءٍ عليك تسمو القصائد

زيادة الدفتردار على المخطوط



- ١١٣ -

وقال:

حسناء تُزرِي بشمس الأفق طلعتُها   من رام تشبيهها بالبدر ما صَدقا
تصاغر البدرُ لمّا أن بدتْ خجلاً   فانقضّ محترِقا بالخدِّ فالتصقا[1]

- ١١٤ -

وقال:

قهوةُ البنِّ طفلةٌ   تتباهى بحسنها
وابنةُ الكرم عانسٌ   عجُزتْ وسْط دنِّها

قهوةُ البنِّ تدعى   بابنة الكرم شِبْهَها
كذبَتْ في مقالها،   سوَّدَ اللّه وجْهها

- ١١٥ -

وقال:

مخمِّساً بيت الشريف الرضي:

نفسٌ براها اللّه فيَّ من الأزَلْ   تهوَى العلا طبعاً وتأبى مَنْ نزل
لما عمي دهريَ عَنّيَ واعتزل   (رُمتُ المعالي فامتنَعْنَ ولم يَزل
أبدا يمانع عاشقاً معشوق)

---

(١) المقطوعات ١١٣ ـ ١١٥ من زيادات علي حافظ.

فطلبتها وحلفت أني لم أمِلْ عنها، سواء نلتها أمْ لم أنل
ولزمتُ أسباب الصعود ولم أزل (وصبرت حتى نلتهن ولم أقل
أبداً جزاءُ الفارِكِ التّطليقُ)

[من هنا تبدأ زيادة المرحوم محمد سعيد دفتردار].

- ١١٦ -

وهذه قصيدة كلفه والده بها ترحيباً بالضيوف من العلماء. وهي من أول شعره:

يا مرحباً بالزائرين تنوّرتْ بكمْ مجالسنا، وطاب أريجُها
نعم الضيوفُ الأوفياء توهّجُوا كالشمس يحدوها الغداةَ بُروجها
ألبستمونا خِلعَةً علميةً يُزري بأبراد الدمقْسِ نَسيجها
وصفا لنا كأسُ الإخاء بليْلةٍ غرّاءَ هانئةٍ يُساغ مَزيجُها
زُوّارَ طه المصطفى قد فزتُمُ بالروضة الفيحاءِ طاب أريجها
صلُّوا، وزُوروا، واسعدوا بمآثرٍ للسيد المختار عزَّ حجيجُها

- ١١٧ -

وهذه قصيدة قالها في رثاءأخيه محمد:

جزَعي عليك أطار من أجفاني طِيبَ الكرى، وأمدَّ في أحزاني
إني فقدتُك يا أخي ففقدت ما يحلو من العيش السعيد الهاني
كنتَ المنَى من قبلِ باعثةِ الأسى إذ كان لقياك الردَى أرْداني
مدّتْ لك الأيامُ حيناً، وانطوتْ من بعد فقدك طيِّباتُ زماني
حُمِّلتُ بَعْدك لوعةً قد أحرقت كبدي، وأذكتْ بالشقا نيراني

وتنكّرتْ لي طيْبةٌ، ففضاؤها أمسى بعيني قاتمَ الألوان
ورمانيَ الناسُ افتراءً أنني خنتُ الإخاءَ مقالةَ البهتان
يا سوْءتي أأخونُ عهد أُخُوّتي ويطيب عيشي بعدَهُ وأماني
حاشا لمثلي أن أكون رزيّةً لأخي الشقيق وقد عرفت مكاني
ما لي عزاءٌ بعده كلاّ ولا تسمو بي الدنيا ليوم رهان
عفتُ الحياة، فلا أطيق بقاءها، وكرهت شعري بعده وبياني
أغشى البقيعَ وفي فؤادي حرقة أدعو لك الغفّار بالغفران
ويعودني في كل يوم طيفه وتزورني عند الكرى أشجاني
طبْ ميّتاً، واسعد بواسع رحمة واترك لنفسي ثورة الأحزان

- ١١٨ -

وقال الأسكوبي هذه القصيدة في الاحتفال الذي أقامه له والده، يوم دخل المحراب النبوي، وذكر فيها أستاذه الشيخ حبيب الرحمن الهندي، والشيخ عبد الجليل براده وغيره:

ألا نعم الحياةُ حياةُ عزٍّ بطابة كونها البلَدَ الرغيدا
لقِينا في حماها كلَّ خير أمانَ اللّه، والجارَ الحميدا
درجْنا حول منبرها المفدَّى وبُلِّغْنا بروضتها سعودا
وكان حُداتُنا أذواءَ علْمٍ قطعنا إثْر موكبهمْ نُجودا
عرفناهمْ لنا آباءَ خيرٍ فأبررنا الأبوَّةَ والجدودا
أخذْنا العلمَ عنهمْ مستفيضا ورُقِّينا بهم نهجاً بعيدا
إلى أن أوردُونا بعد جُهْدٍ إلى محراب قُدْوتنا ورودا
أقولُ لشيخِنا القاري (خبيبٍ) سليل المصطفى: نلْتَ الخلودا
تسمَّعْ يا إمام العلم شعري وباركْه ارتجازاً أو قصيدا

فقـد علّمتني نـظمَ القـوافي وقـد لقّنتني العـلمَ السـديـدا
وحيـا اللّـهُ بـالإحسـان شيخـا أبـوّتُـه استـوتْ ظـلاً مـديـدا
وبارك عُمْـره، واحفـظه فينـا يعيشُ حيـاتَـه أبـداً سعيـدا
تقبـل يـا إلـهي مـا دعـونـا ونـوِّلـنـا بمـنّـتـك الـمـزيـدا
وعـام دخولنـا المحـرابَ أرخ: بـه عـدد لنـا الشّـرفَ المزيـدا

- ١١٩ -

وهـذه قصيدة الشيـخ إبراهيم أسكـوبي التي اشتهـرت وأذيعت في الصحف، وأُبعِد عن المدينة لأجلها، ورحل إلى الأستانة للمحاكمة. قالها في عام ١٣٣١ وهي:

يا آل عثمانَ فالمغرورُ من غُرّا بأهل أوربـةٍ، أو عهدهم طُـرًّا
أتـأمنـون لِمـوتُـورين ديـدنُهـمْ أن لا يَـرَوْا منكمُ فـوق الثّرى حُرا
تمالؤوا، فخـذوا حـذرا فـإنهـمُ يرون إبقاءكمْ بين الورى ضُرّا[1]
فهـذه دولةُ الـطُّليانِ حين رأت إسطولكمْ ليس يُغني، فاجأتْ غدرا
وشقّتِ البحر بالأسطول مُعْجَبةً تختالُ تِيهاً به، مغرورةً سكرى
وأنـزلـتْ بـطرابُلْس عساكرهـا فهـل أُرُبَّةُ كفّت عنكمُ الشرا
فما على من رأى لحماً على وَضمٍ يجتـرّه غيرُه، لَـوْمـاً إذا اجتـرّا
أتركنون لمن دبَّ الضـراء لكم ومدَّ عُنْقا يُغادي سرحكم عَقْرا
دون الـدنيئـةِ إيثـارُ المنيَّـةِ في قوم من البغْض ودُّوا محوكمْ مَكرا
لا تحسبوا أنهمْ ناسون ما فعلتْ أسـلافكمْ بهمُ في سالفٍ مـرّا
أو يجهلون التواريـخَ التي سُطِرتْ ومنكمُ همْ بما في كُتْبِكمْ أقـرا
أوَما درَوْا ما الذي التنزيلُ أنزله من الجهاد وهذي صفحـةُ تُقْرا
هي التي أنتمُ فيهـا منـازِلهمْ غصبتموها عليهمْ فاعلمُوا قَهْـرا

---

(١) تمالؤوا: تمالأ الأوربيون عليكم، أي تجمعوا متفقين.

من يجحدِ الشمس يجحدْ أنها لهمُ ... كانت فجعجعتمُ مَلْئاً لها جبرا

أيقظتموهمْ بضرب السهم فانتبَهُوا ... من نومهمْ ورقدتمْ أنتمُ الدهرا

فليتكمْ ما خطوتُمْ نحوهمْ قَدَماً ... وما أغرتم على أملاكهم شِبْرا

نبهتموهمْ فشَدُّوا نحوكمْ حنَقا ... كأنكم قد أقلتمْ منهمُ العَثْرا

فجدَّدُوا عُدَداً للحربِ فاتكةً ... برًّا وبحراً، فجازُوا البرَّ والبحرا

واللّهُ أرسل طَهَ رحمةً وهدى ... لكل ما نفعتْ أنوارُه نشرا

فعمَّت الخلق نفعا بالعلوم فمِن ... كسّابِ دنيا أو الدنيا مع الأخرى

فقامت العُرْبُ قبل الناس أجمعِهمْ ... دنيا ودينا وشدُّوا عزمكم أُزْرا

فجد جدّهمُ جهدا بما شرعت ... شرائعُ الدين حتى وطّدوا الأمرا

وأهلُ أوربةٍ والغربُ أجمعُه ... في ظلمة الجهل تستاقونهم أُسْرى

فتحتموا بكتابِ اللّه أرضهمُ ... فأحجمت بكمُ من رجسهم طهرا

ثم اجترأتمْ على الدين القويم بما ... يسوؤه بدَعًا كادت تُرَى كفْرا

فحينما انتبهتْ أعداؤكمْ لكمُ ... مسلَّحين يدكون الدُّنَى زأْرا

رجعتمُ القهقرَى عنهم مداهَنةً ... فزاد طغيانهمْ من بَعْدها كِبْرا

فمن كمصرَ وأرضِ الهندِ نام لهمْ ... أرَوْه كيف يُرَى نجمُ السُّهى ظُهرا

ومن تنبَّه كالجابُونِ ردُّهمُ ... مثلَ النعاج على أعقابهمْ قَسْرا(1)

فما بَقِي غرضٌ للقوم عن كثَبِ ... يرمي سواكمْ وطيراً يقْبَلُ الزجرا

وأنتمُ تحسبون الدهرَ مال بكمْ ... ضعفاً ووهْنا وألقاكمْ لهم جَزْرًا

عجزتمُ فاستوت آراؤكمْ عجبًا ... في الداء هذا الذي أعيا بأنْ يَبْرا

حتى قربتمْ على أن تيأسوا أمَلاً ... من الشُّفاء ولم تستدركوا العُمْرا

فأقبلتْ حكماءُ السوء عامدةً ... تسمّكُمْ كي تموتُوا موتةً كُبْرى

سلوا الحشايا التي ملّتكمُ ترفاً ... هل قبلُ كانت لأجداد لكم تُطْرَى

أو الأسرَّة تعلو فوقها كِلَلٌ ... هل تعبرُ البحرَ إن رمتمْ بها عَبْرا

(1) الجابون: اليابان.

بئست بها راحةٌ أفضتْ إلى تعب ... عمَّ البلاد وأعْمَى داركمْ فقرا
هل من خبيرٍ بداء في قلوبكمُ ... أعمى البصيرةَ حتى أغلقَ الفِكْرا
عقائدُ فسدتْ فيكمْ فأفسدت الـ ... ـمُلْك العظيمَ، وأفشت فيكمُ الذُّعرا
ظننتُم أن دينَ اللَّه أخّركمْ ... عنهمْ وهمْ حمِدُوا كفراً به المسرى
لا تظلموا رحمةً للعالمين أتتْ ... أهدتْ إلى حِكَمٍ عظمى جرَتْ نهرا
فلو عملتمْ بها ما فاتكمْ أحد ... سبْقاً، ولا أحد يوماً بكم أزْرى
تذكَّروا كمْ خطيئاتٍ لكمْ سلفتْ ... بها تأخرتمُ عنهمْ أبت حَصْرا
تاللَّه تاللَّه إن لم تَتْبعوا الذكْرا ... مالُوا عليكمْ فلم يبقوا لكم ذكْرًا
نعم الشفاءُ بقرآن الإلّه إذا ... قبِلْتُموه، وإلا فاسكنُوا القبرا
إن تنصروا اللَّه ينصرْكم فكم فئةٍ ... قليةٍ غلبت أمثالَها كُثْرا
يا لَلرجالِ ثقُوا أن ليس ينفعكمْ ... إلا ثباتُكمُ كي تركبوا الوعْرا
وأن تخوضوا غمارَ الموت مترعةً ... من كلِّ أغلَبَ من ليثِ الشَّرى أجْرا
مسلَّحين بما أوفى العدوُّ به ... من السلاح، وأن تُوفُوا له صبرا
فهذه العُرْبُ والأتراكُ قاطبةً ... ما عندهمْ منه ما يكفيهمُ قَدْرا
فرخِّصوا لجميعِ المسلمين به ... بلِ اكشفُوا لهم عن صُنْعه السِّترا
فيصنَعُوه بأيديهم فيغتنموا ... حياتَهمْ ويَفُوا مولاهمُ بِرًّا
فليس عندهمُ علما بصنعتهِ ... ولا تركتمْ لهمْ في أرضهم حَذرا
قطعتمُ فاتقوا المولى عزائمهمْ ... حتى غدوْا نَعَماً تستنظر النَّحْرا
فلا لكمْ قوةٌ في دفع أوربّةٍ ... ولا تسبَّبْتُمُ أن يأخذوا حِذْرا
فاللَّه يسألكمْ عنهم وعن بِدَعٍ ... جهلاً رضيتمْ بها في دينكمْ تُجرى
عليكمُ وزْرُهمْ أن أصبَحُوا هدَفاً ... يُرْمَى، وليتكمُ استعظمتُم الوزْرا
لو ألفَ عام طلبتمْ علمَ أوربّةٍ ... وحالكمْ هذه لم تبلُغُوا العُشْرا
لم يكفِ ما طار من صيتٍ لهمْ خبَراً ... حتى يطيرُوا فطارُوا فوقكم خُبْرا

مكاتبٌ كخيال الظل هل أحـدٌ سما بها فضلُه، أو طالب أثْرى[1]

إن كان مبلغكمْ في العلم ذلك فالْـ ـجهلُ البسيط بكمْ مِن غيره أحْرى

فاليوم أنفعُ علمٍ في البنادق والْـ ـبيـض الصوارِم تنْفي العار والعرّا

فنبِّهُوا من بقِي من أهلِ ملتكمْ ولا تُبقوا لهمْ يوم الوغى عذرا

ودرِّبوهمْ على تعلِيم صنعةِ مـا يغنيهمُوا، واطلبوا المولَى بذا الأمرا

وألقِمُوا خجراً من قـال: إنهمُ إذا شكـوه حملتمْ أنتمُ العسـرا

وفـارَقُوا أربُعـاً كـانت تـذلِّلهمْ فلم يُبَقُّـوا لكمْ نهيـاً ولا أمـرا

ليخسأ الخاسرُ الملعون غشكمُ فهل بِنا هُوَمِن ربِّ السما أدرى..؟

واللـهُ يـأمـرنـا أن نستعـدّ لمن عاداه، كي لا تولُّوا في الوغى دُبْرا

فإن فرضْنَا بأن شـقّ العصا رجلٌ لا بد آخرُ يسقيه الردى المـرَّا

وإن بـه فئـةٌ قـامت مسلَّحـةً بغياً عليكمْ به قامتْ لها أخرى

كان السلاحُ سلاح المثل قبلُ بلا ريبٍ، وكانت ملوكٌ تُرْعِب القُطرا

يكفي من الغشِّ ما ضاع الزمان به فما بَقِي ما سوى أن يلعقُوا الصِّبْرا

وتتبعُوا الشرع في نيل العَلاءِ وفي نصر الإله إذا مـا رمتمُ النَّصرا

وأن تكونوا من الدين الحنيف على أقوى اتِّساقٍ، وأن لا تظلموا العَصْرا

نصيحةٌ حقُّها النصر المبين لكمْ عسى عسى بعدها أن تَنْفع الذكرى

واللَّـه أرسل طَـه رحمةً وهدى بالعدل والأمنِ، لا تعصُوا له أمرا

واللَّـه أرجو بطَـه العفوَ في زمن وأن يبدِّلنا من عسرنا يُسرا[2]

وبالصلاة أخصُّ المصطفى شرَفاً والآلِ مع صحبِه والعترةِ الغرَّا[3]

---

(١) مكاتب: مدارس.

(٢) في التوسل بجاه الرسول ﷺ أقوال معروفة للعلماء، وانظر كتاب (التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) وكتب الدفتردار في آخر هذه القصيدة ما يلي:

رحمك الله يا شيخ إبراهيم أسكوبي، كأنك كنت مكاشَفاً، حتى لم تمض على =

– ١٢٠ –

ومن شعره النبطي قوله لمحمد بن رشيد:

يا اللّه أسألك يا حي يا معبود   يا من تجيب العبد إذا جاك سائل
تجعل عزيز النصر مقرون بسعود   والحظ خادم للعطايا وحامل
وسعود لولاك منْك باللّه مسعود   نجا من كلْ عدو مماطل
كلا ولا دارت حواليه الجنود   في رايه معها سنا عيس حايل
بيض الوجوه إلا أسد دون العضوض   يوم المنايا والردايا حوايل
قالوا لمتعب قصدنا الصِّيدْ وانقود   وما دروا بأن اللّه ما هو بغافل

– ١٢١ –

ومن قوله في القهوة:

قهوة البن عِرَّه   سُودَه وسخْنه ومرَّه
لو كان فيها أمل   ما حرَقْ الناس بُنَّها

– ١٢٢ –

وقال من الطائفي:

تملكتني بالود يا ريم رامه   ويا ظبي نفّاح
وغربتني عن ديرتي بوادي تهامه   ونقضت الأجراح
غنيت وحدي جاوبتني الحمامه   طوِير العنَبْ صاح
شربت ما لذ من روح المدامه   وطاب لي الراح

* * *

= قصيدتك خمسة أعوام، حتى سقطت الدولة العثمانية، وها نحن أولاء الآن تتساقط بلادنا تباعاً بيد إسرائيل والمستعمر، ونسأل الله تعالى، أن يحسن العاقبة.

المحتـوى

صدر للمحقق

١ ـ شعراء من أرض عبقر ـ جزآن ـ نادي المدينة المنورة الأدبي.
٢ ـ الرائد في علم الفرائض ـ الطبعة الرابعة ـ مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة.
٣ ـ شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ـ بيروت).
٤ ـ عارف حكمة: حياته ومآثره ـ وهو شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم ـ لأبي الثناء الألوسي (تحقيق) الطبعة الأولى ـ مكتبة دار التراث بالمدينة.
٥ ـ المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية) الطبعة الثانية.
٦ ـ المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الأدبية) ـ الطبعة الأولى.
٧ ـ المدينة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية الاجتماعية والسياسية والثقافية) الطبعة الأولى.
٨ ـ المدينة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية) الطبعة الأولى.
٩ ـ الفصول في سيرة الرسول ﷺ ـ للحافظ ابن كثير ـ الطبعة الرابعة ـ تقديم وتحقيق بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو ـ دار التراث بالمدينة ـ دار ابن كثير بدمشق.
١٠ ـ المقاصد السنية في الأحاديث الإلّهية ـ للحافظ علي بن بلبان المقدسي ـ الطبعة الأولى ـ تقديم وتحقيق بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو.
١١ ـ أمجاد الرياض (ملحمة شعرية) الطبعة الأولى ـ دمشق.
١٢ ـ غناء الجرح (ديوان شعر) الطبعة الأولى ـ نادي المدينة المنورة الأدبي.
١٣ ـ همسات في أذن الليل (ديوان شعر) ـ الطبعة الأولى ـ نادي المدينة المنورة الأدبي.

١٤ ـ **ديوان محمد أمين الزللي** ـ تقديم وتحقيق ـ الطبعة الأولى ـ دار التراث بالمدينة.

١٥ ـ **ديوان عمر بري** ـ تقديم وتحقيق ـ الطبعة الأولى ـ دار التراث بالمدينة.

١٦ ـ **المرور بين العلمين في المفاخرة بين الحرمين**، للزَّرندي ـ تحقيق وتقديم الطبعة الأولى ـ دار التراث بالمدينة المنورة.

١٧ ـ **المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي**، للسخاوي ـ الطبعة الأولى ـ تحقيق وتقديم ـ دار التراث بالمدينة.

١٨ ـ **المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي**، للسيوطي ـ الطبعة الأولى ـ تحقيق وتقديم ـ دار التراث بالمدينة.

١٩ ـ **ديوان إبراهيم بن حسن الأسكوبي** ـ تقديم وتحقيق ـ الطبعة الأولى ـ دار التراث بالمدينة.

٢٠ ـ **حروف من دفتر الأشواق (ديوان شعر)** ـ الطبعة الأولى ـ نادي المدينة المنورة الأدبي.

٢١ ـ **تفاصيل في خارطة الطقس (ديوان شعر)** ـ الطبعة الأولى ـ نادي المدينة المنورة الأدبي.

دار الأصفهاني للطباعة بجدة